المواجهات الأولى... للتاريخ

معارك سوريا في لبنان

الجزء الأول



بلاّ - الفياضية - البقاع

حرب المئة يوم - كور

الأرز - العاقورة - قنات



كلوفيس الشويفاتي



المواجهات الأولى... للتاريخ

معارك سوريا في لبنان - الجزء الأول

بلاّ - الفياضية - البقاع
حرب المئة يوم - كور - الأرز
العاقورة - قنات

كلوڤيس الشويفاتي

هاتف: ٠٣/٤٨٣٣٤١ - ٠٩/٤٧٨١٦١
بريد الكتروني: clovischoueifaty@hotmail.com

سوفتغراف - جبيل - ٠٩/٥٤٨٠٠١

الإهداء

إلى الذين قدّموا أرواحهم ودماءهم ولم يُنصَفوا يوماً

إلى عائلات بَكَت غياب غالٍ وعزيز

إلى كلّ موقع غيّرت الحرب معالمه

إلى أجيال لا بدّ أن تعرف تضحيات الأوّلين

الى الّذين نَسَوا أو تَنَاسَوا...

مقدمة

اعتاد الكثيرون رواية قصص الحرب وأحداثها بالتركيز على تصاريح السياسيين والقادة، مغفلين أدوار أبطال حقيقيين صنعوا الانتصارات وتكبّدوا الهزائم ونزفوا دماً ودمعاً ... فيما كان يتباهى الآخرون ببطولاتهم الوهمية ويحوّلونها الى انتصارات سياسية ما هي الاّ رقصٌ على الجثث كمصاصي الدماء.

ينظر بعض من امتهن السياسة الى بطولات رجال أعطوا من دون مقابل بإستخفاف وسهولة، فيما تلمع صور هؤلاء السياسيين على الطرقات وتسمّى بأسمائهم المجمّعات والبولفارات والملاعب والساحات.... أما أبطال هذا الكتاب فهم كانوا مجهولين والكثيرون منهم آثروا ان يبقوا مجهولين لأنّ لا حماية لهم بعد نحو ثلاثين عاماً على أحداث كانوا في صلبها وصنعوا تاريخها ومجدها.

كثيرون كتبوا عن مراحل الحرب... وعمّا عانوه وهم كانوا لا يروون سوى عن قذيفة سقطت بقربهم، أو عن «ميليشياوي» تحرش يوماً بصديقتهم، أو فلسطيني أو سوري أوقفهم على حاجز... البعض الآخر كتب وهو يصفّي حساباته مع «رفاقه القدامى»... والبعض ليتخطى بطريقة غير مباشرة عقدة الذنب لبقائه خارج لبنان طيلة أيام المحنة، والبعض الآخر كتب مدحاً لهذا المسؤول أو ذاك ليكون له مكانٌ في بلاط ما.

البعض تحدث عن إلقائه السلاح وكيف غرّر به يوماً... وللأسف، البعض توقّف الزمن عنده في تواريخ معينة ١٩٧٨ أو ١٩٨٢ أو ١٩٨٦ أو ١٩٩٠ والبعض لا يعرف سوى حروب الغضب والبغض والحقد والعبثية.

في ظل كلّ هؤلاء، هناك قلّة لم تتخّلَ عن الايمان ولبنان ودفعت حياتها وأغلى سنيّ عمرها، ومع ذلك لم تنصف يوماً.

هذا الجزء الاول من الكتاب مهدى الى هؤلاء، الى تضحياتهم وتعبهم ودمائهم التي روت كل المطارح والى شهداء معارك الشرف الذين احتضنهم تراب الوطن.

الوقت قد يميت بعض الأحداث لكنّه لا يزيل آثارها بسرعة، بعض المشاعر قد تزول مع الوقت لكنّها تستيقظ مع كل ذكرى وعند كلّ جرح جديد، فالبراكين قد تخمد طويلاً، ثمّ تعود فجأة الى تصدير الحمم والرماد. هكذا هو التاريخ الذي لا يمكن تجاهله وعدم أخذ دروسه والعبر.

العبرة من رواية هذه الأحداث ليس نكء الجراح ولا استرجاع الأوجاع، بل كتابة تاريخ لا يجب أن يندثر ويطوى من دون أن تؤخذ منه العبر.

فالتاريخ لا يتقاعد ولا يشيخ ولا تحجبه غبار السنين ولا مهالك الحياة. التاريخ لا تلغيه الاحلام والاوهام. فهو يتسلّل عبر الحكايات والأمثال تحييه الروايات والاغاني العتيقة ولا بد ان ينقل الى أجيال جديدة من دون أي تلاعب بالوقائع والحقائق.

توطئة

الصراع الذي بدأ بين اللبنانيين والفلسطينيين وطبع أحداث العامين ١٩٧٥- ١٩٧٦، توسّع مع دخول قوات الردع العربية الى لبنان، وخصوصاً القوات السورية التي شكّلت القوة الاكبر والأفعل في قوة الردع واستمرّ بقاؤها ٣٠ عاماً.

قبل دخوله تحت راية قوات الردع العربية، دخل الجيش السوري الى لبنان تحت أسماء عدة (جيش التحرير الفلسطيني، منظّمة الصاعقة، لواء اليرموك، لواء حطين...) وكان لهذه القوى الآتية من سوريا دور مهم ولافت في الحرب اللبنانية ابتداءً من العام ١٩٧٦، فهي اجتاحت وهجّرت الدامور والسعديات ونفّذت الهجوم الشهير على زغرتا وخاضت معارك في المتن الاعلى (بولونيا والمروج وترشيش والمتين...)، اضافة الى مهمّات أخرى نفّذتها على الاراضي اللبنانية، حتى تقرّر في مؤتمر القمة العربي السداسي في الرياض في ١٨/١٠/١٩٧٦، وفي مؤتمر القمة العربي في القاهرة في ٢٦/١٠/١٩٧٦ ان تمثّل قوات الردع كلّ العرب لكن القوات السورية أمسكت بزمام الامور وحدها.

قرّرت قمة الرياض تحويل «قوات الامن العربية» الى «قوات ردع عربية» بإمرة الرئيس اللبناني، وتألّفت هذه القوى من ٣٠ ألف مقاتل عمادها القوات السورية، الى جانب كتائب من السعودية والسودان وليبيا واليمن والامارات. ونشأ الغطاء العربي للوجود السوري، مع الإشارة الى أن الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل كانتا عارضتا وجود قوات سورية في لبنان، حتى قدّم الرئيس حافظ الاسد ضمانات بأن لا تعمل قواته ضد اسرائيل، ونفّذ ذلك بعدم دخولها الى الجنوب حيث وقفت على خط نهر الاولي على بعد ٤٥ كيلومتراً من الحدود اللبنانية الاسرائيلية.

دخل السوريون شرعياً بموافقة واشنطن وموسكو والدول الغربية للمحافظة على الدولة اللبنانية ومؤسّساتها. وفي التاسع من تشرين الثاني ١٩٧٦، قبل يوم واحد من تنفيذ المرحلة الأولى من نشر قوات الردع العربية في كلّ لبنان، تنفيذاً لمقرّرات قمّتي الرياض والقاهرة، نفّذت المناطق المسيحية اضراباً شاملاً لأنّ قرار الانتشار لم يستثنها، لكن الاحتجاج لم يحل دون ما كان مرسوماً. فالواقع كان أقوى من الإرادة وفرض نفسه ميدانياً.

تعامل قسم كبير من اللبنانيين، وخصوصاً المسيحيين الخارجين متعبين من حرب أكبر من قدراتهم، بحذر مع الوجود السوري الغريب. فتمركُز القوات السورية في قلب المناطق الشرقية لم يكن مقبولاً ومألوفاً.

لم يكن هناك مشاكل كبيرة في الأشهر الأولى لوجود القوات السورية في المناطق المسيحية. فالوجود السوري كان خفيفاً ومحدوداً، لكنّه تعزّز بعد انفجار كبير في شارع العكاوي في الأشرفية في ٣ كانون الثاني العام ١٩٧٧، أدّى الى مقتل ٤٠ شخصاً. على إثر ذلك، تمركزت القوات السورية في الأبنية المرتفعة واتّخذت مواقع استراتيجية وقتالية بعدما كانت سيطرت على معظم التلال التي تشرف على المنطقة الشرقية لبيروت.

في ١٦ آذار ١٩٧٧، اغتيل زعيم الحركة الوطنية كمال جنبلاط ووجّهت أصابع الاتهام الى سوريا... وأعلن جورج حاوي قبل اغتياله في سيارة مفخخة أنّ رفعت الأسد هو من كان وراء اغتيال كمال جنبلاط...

بدأ القلق والخوف لدى الكثير من اللبنانيين، لكن لم تحدث أي مشاكل كبيرة بإستثناء بعض التوقيفات على حواجز قوات الردع.

حصلت المواجهة الأولى مع القوات السورية في أيار العام ١٩٧٧ خارج بيروت، اذ شهدت منطقة بشري شمال لبنان معركة عنيفة بين الكتائب والسوريين في قرية بلاّ. واتّخذ السوريون من خطف مواطن من القرية على أيدي مجهولين ذريعة للدخول الى قرى قضاء بشري والتنكيل بها. ففي ١٤ أيار، قاومت قوات الكتائب دخول السوريين الى قرية بلاّ وسقط عشرات القتلى والجرحى.

بعد بدء المفاوضات الاسرائيلية المصرية لعقد اتفاق كامب دايفيد وزيارة الرئيس أنور السادات الى القدس، اتّخذ السوريون قراراً بدعم منظمة التحرير الفلسطينية ووضع لبنان تحت قبضتهم بشكل كامل، فبدأت المعارك الضارية بين الأحزاب المسيحية وقوات الردع العربية التي اختزلتها القوات السورية، وذلك في ظلّ صمت غريب للسلطات

اللبنانية وحذر عربي وغربي... ولم تستثر إراقة دماء اللبنانيين عواطف أحد، ولا حرّكت المواجهات الطاحنة والقصف العشوائي للأحياء المدنية الضمائر، فالعرب كانوا يكتفون بتبرئة المعتدين، بينما يضع الغرب اللوم على الضحايا.

كانت الدولة تعاني من تراجيديا حقيقية تفتقد الى الشجاعة، بينما السوريون الذين ادّعوا إحلال الاستقرار والامن أداروا اسلحتهم بإتّجاه المدنيين، وأخذوا الدولة اللبنانية رهينة، وعوض التّعامل مع لبنان كدولة، اختارت سوريا إقامة علاقات مع شخصيات تتزاحم على السلطة، ولعبت على التناقضات وفرضت حلفاءها في مراكز السلطة لتأمين مصالحها.

المواجهة الاولى في بيروت بين السوريين واللبنانيين لم تكن في الأشرفية كما كان متوقّعاً، بل حدثت مع الجيش اللبناني في ٧ شباط ١٩٧٨، عندما دارت معركة عنيفة وطوّقت ثكنة الفياضية، وتمكّن الجنود المحاصرون من الصمود والمقاومة.

طالبت سوريا إثر معركة الفياضية بمحاكمة الضباط والعسكريين الذين اشتركوا في المعركة وأبرزهم النقيب سمير الأشقر، وأنشئت لأجل ذلك محكمة سورية لبنانية مشتركة.

في نيسان وأيار العام ١٩٧٨، شهدت محاور الشياح - عين الرمانة اشتباكات عنيفة أدّت الى سقوط ٧٠ قتيلا و٢٨٠ جريحاً، وأجبر السوريون على الخروج من عين الرمانة ومن محاور خطوط التماس وحلّت محلّهم قوات سودانية.

في هذه الأثناء، بدأ الصراع يكبر داخل الجبهة اللبنانية، خصوصاً بين الكتائب والرئيس سليمان فرنجية الذي انسحب من الجبهة في ١١ أيار ١٩٧٨ بحجّة تعاملها مع اسرائيل. وتلاحقت الأحداث بين الكتائب وجماعة الرئيس فرنجية وخصوصاً في محافظة الشمال، فقُتل جود البايع المسؤول الكتائبي في شكا، ثم حصلت مجزرة إهدن التي ذهب ضحيتها الوزير والنائب طوني فرنجية وزوجته وابنته وعدد من مناصريه.

وقعت الفرقة النهائية بين الموارنة وأصبح جسر المدفون الحدّ الفاصل بين الكتائب والمردة. وبغضّ النظر اذا كان السوريون مسؤولين عما حصل في الشارع المسيحي أم لا، فإنّهم بالتأكيد استغلّوا الانقسام الحاد والثغرات لتقوية نفوذهم ووجودهم.

في ٢٨ حزيران، سيطرت القوات السورية على القرى المسيحية في البقاع وحصلت مجزرة أودت بحياة ٢٦ شخصاً.

في الأول من تموز، بدأت حرب المئة يوم إثر اعتقال القوات السورية الشيخ بشير الجميل. وبدأ الحديد والنار ينصبّ على المناطق الشرقية لبيروت. في آب، توقّفت المعارك جزئياً في بيروت لتتوسّع شمالاً حيث قامت القوات السورية بحملة واسعة، وسيطرت بشكل كامل على مناطق زغرتا وبشري والكورة ووسط البترون حتى جسر المدفون، بعدما خاضت مواجهات عنيفة في بلدة كور، ثمّ سيطر السوريون على قرى البقاع المسيحية دير الاحمر- عيناتا ومحيطهما، وحصلت مجزرة شبيهة بمجزرة البقاع بعد مواجهات في بشري والارز.

في أيلول، استؤنفت معارك بيروت بضراوة أكبر، ولم تتوقف إلاّ بقرار دولي اتّخذه مجلس الامن في ٧ تشرين الاول ١٩٧٨ وحمل الرقم ٤٣٦، وألزم دمشق وقف اطلاق النار بعدما أخذت القضية منحاً عالمياً.

اعتبرت الجبهة اللبنانية قرار مجلس الامن أول اعتراف دولي بشرعية المقاومة اللبنانية، وهو أدى الى تجميد الوضع العسكري وانسحاب السوريين بعد أسبوعين في ٢٠ تشرين الثاني، من مداخل بيروت الشرقية، من برج رزق والأشرفية، وحلّت محلهم القوات السعودية التي كانت تعمل في إطار قوات الردع العربية، ففتحت المناطق الشرقية على بعضها وتنفّست جزئياً، وبقي السوريون في مواقع استراتيجية في تلّ الزعتر وجسر الباشا وسن الفيل والمكلّس والشفروليه والحازمية وجسر الواطي.

في آذار ١٩٧٩، انسحبت قوات السعودية والسودان وقطر والامارات واليمن بقرار من الامين العام لجامعة الدول العربية، وذلك بعدما دأبت مجموعات مسلحة تابعة للنظام السوري بالاعتداء عليها لإفشالها في تحقيق مهمّتها، فخلت الساحة تماماً للقوات السورية التي رسمت بينها وبين المقاتلين خطوط تماس أسقطتها معركة جرود العاقورة على

خلفية شقّ طريق بين البقاع وجرود جبيل.

في شباط ١٩٨٠، حصلت معركة قنات بهدف السيطرة السورية على محافظة الشمال بشكل كامل، فصمدت البلدة ستة أيام في ظروف مستحيلة تكبّد السوريون خلالها خسائر فادحة.

تبدّلت خارطة الانتشار السوري في لبنان على مدى ٣٠ عاماً، فإزداد عدد القوات السورية ونقص وفق المعطيات العسكرية ميدانياً، وتقلّب الظروف والمراحل مع استمرار مقاومة وجوده بأشكال مختلفة حتى خروجه النهائي عام ٢٠٠٥.

الجيش السوري يدخل لبنان عن طريق المصنع



انتشار قوات الردع وتشكيلها العسكري على الأراضي اللبنانية

بعد صدور قرارات القمة السداسية في الرياض في ١٩٧٦/١٠/١٨، وضعت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مشروعاً لتعزيز قوات الأمن العربية الرمزية لتصبح قوة رادعة، وقدّمت هذا المشروع الى مؤتمر القمة العربية الثامنة في القاهرة الذي عقد بعد ثمانية أيام مفنّدة مهام قوات الردع على الشكل التالي:

١- منطقة بيروت:

- يخصّص لها لواء مشاة ولواءان ميكانيكيان (مؤلّلان) وكتيبة خاصة، أي ما يعادل ٩٥٠٠ فرد تقريباً، وتناط بهذه القوى المهمات التالية:

- إنشاء منطقة عازلة في بيروت بين القوات المتحاربة - تعيين نقاط مراقبة (في بيروت وضواحيها) - تمركز لواء في بيروت الشرقية ولواء في بيروت الغربية كقوة ردع - الإشراف على سحب المسلحين من جبل لبنان وبيروت وضواحيها والإشراف على جمع الأسلحة الثقيلة - حفظ الأمن الداخلي - مساعدة السلطات اللبنانية عند الاقتضاء على تسلّم المرافق والمؤسسات العامة وحماية المنشآت العسكرية والمدنية - تأمين المقاومة في أثناء تنفيذ اتّفاق القاهرة في بيروت الغربية في المرحلة الثانية بواسطة لواء.

٢- منطقة الشمال (طرابلس):

- يخصّص لها لواء ميكانيكي (مؤلّل) وكتيبة خاصة، أي ما يعادل ٣٥٠٠ فرداً تقريباً، وتناط بها المهمات التالية:

- المهمات نفسها المحددة لمنطقة بيروت تقريباً - الاحتفاظ بكتيبة مدرعة من اللواء الميكانيكي كقوة ردع وتأمين المقاومة الفلسطينية في أثناء تنفيذها اتفاق القاهرة.

٣- منطقة الجنوب:

- تمركز مماثل لمنطقة الشمال من حيث القوى والمهمات، تأمين الطرقات والموانئ والمطارات، ويخصص لذلك لواءا مشاة، أي ما يعادل ٦٠٠٠ فرد تقريباً، وتناط بهذه القوى المهمات التالية:

تأمين الطرقات الرئيسية المحددة (في الملحق بقرارات القمة السداسية) - تخصيص دوريات على الطرق غير الآمنة - تأمين مطار وميناءي بيروت وجونية.

٤- منطقة البقاع:

- يخصّص لها لواء مدرع وكتيبة خاصة، أي ما يعادل ٣٥٠٠ فرد تقريباً. وتناط بهذه القوى مهمة تأمين منطقتي عكار والبقاع.

٥-احتياط عام:

- يخصّص للاحتياط العام لواء مدرع، أي ما يعادل ٣٠٠٠ فرد تقريباً ويتمركز وفقاً لما يلي:

- لواء مدرع، ناقص كتيبة في منطقة بيروت الغربية - كتيبة مدرعة مدعّمة في منطقة بيروت الشرقية.

فيكون إجمالي القوة المقاتلة: - ثلاثة ألوية مشاة - أربعة ألوية ميكانيكية (مؤلّلة) - لواءان مدرعان - أربع كتائب خاصة، أي ما يعادل ٢٩٠٠٠ فرد تقريباً.

أما قيادة قوات الأمن العربية فتؤلّف من حوالي ٥٠٠ فرد موزّعة كالتالي:

- سرية اشارة - سرية هندسة - سرية شرطة عسكرية - سرية نقل - مستشفى ميداني - طائرتا هليكوبتر فيكون العدد الاجمالي لقوات الردع حوالى ٢٩٥٠٠ فرد.

تنظيم الوحدات الكبرى

- لواء المشاة ويتألّف من: ثلاث كتائب مشاة، كتيبة مدفعية ميدان، كتيبة مضادة للطائرات، سرية مضادة للدبابات، سرية مهندسين (هندسة)، ورشة مركبات (تصليح وعتاد)، وسرية نقل.

- اللواء الميكانيكي (المؤلل) ويتألّف من لواء المشاة نفسه، على أن تكون كتائب المشاة ميكانيكية (مؤللة) يضاف اليها كتيبة دبابات.

- اللواء المدرع ويتألّف من: ثلاث كتائب دبابات، كتيبة ميكانيكية، كتيبة مدفعية، كتيبة مضادة للطائرات، سرية مضادة للدبابات، سرية إشارة، سرية مهندسين (هندسة)، ورشة مدرعات (تصليح وعتاد) وسرية نقل.

قوات الردع المعزّزة

أولاً: شكّلت قوات الأمن العربية الرمزية نواة القوات المعزّزة، وكانت تتألّف من ٢٥٠٠ جندي، موزّعين كما يلي:

١٢٠٠ من السودان - ٨٠٠ من ليبيا - ٥٠٠ من السعودية، ووضعت بإمرة الرئيس سركيس فور صدور قرار القمة الثامنة في القاهرة، في ٢٧/١٠/٧٦.

ثانياً: انضمّت الى هذه القوة الوحدات السورية المتواجدة في لبنان، والتي كان يبلغ عددها عشرين ألف جندي، ووضعت بأمرة الرئيس سركيس في ١٥/١١/١٩٧٦.

ثالثاً: انضمّت في أوقات لاحقة الوحدات التالية:

- وحدة سعودية قوامها ١٠٠٠ جندي - وحدة سودانية قوامها ٦٠٠ جندي - وحدة من اليمن الجنوبي قوامها ٥٠٠ جندي - وحدة من دولة الامارات العربية قوامها ٥٠٠ جندي - وحدات سورية قوامها ٥٠٠٠ جندي تقريباً.

رابعاً: أصبح العديد النهائي للوحدات المشتركة في القوات المعزّزة:

- كتيبة سعودية قوامها ١٥٠٠ جندي - كتيبة سودانية قوامها ٢٠٠٠ جندي - كتيبة يمنية جنوبية قوامها ٥٠٠ جندي - كتيبة من دولة الامارات العربية قوامها ٥٠٠ جندي - كتيبة ليبية قوامها ٨٠٠ جندي (سحبت ليبيا كتيبتها في ٣/١٢/١٩٧٦).

- قوات سورية قوامها نحو ٢٥٠٠٠ جندي، لكن عديد القوات السورية لم يكن ثابتاً ومحدداً، بل كان يتغيّر زيادة ونقصاناً بإختلاف الظروف.

خامساً: حافظت الوحدات المشاركة في القوات على تنظيمها الأساسي المعتمد في جيشها الوطني، وخاصة بالنسبة الى القوات السورية التي شكّلت القوة الرادعة الحقيقية، ولم تتبع بالتالي التنظيم الذي اقترحته الأمانة العامة للجامعة في المشروع الذي قدّمته لمؤتمر القمة.[١]



جندي سوري أمام مصرف لبنان في بيروت

(١) الوضع القانوني والسياسي لقوات الردع العربية في لبنان- العميد الركن فؤاد عون.

خطة انتشار قوات الردع

مرّت خطة الانتشار بمخاض صعب لأن الرئيس سركيس حرص على الحصول على موافقة جميع الأطراف في لبنان، فضلاً عن موافقة القيادة السورية على تفاصيل هذه الخطة. لذلك كلّف قيادة قوات الأمن العربية الرمزية وضع خطة انتشار القوات المعزّزة، وذلك بالإتّفاق مع ضابطين من الجيش اللبناني فعُقد لهذه الغاية في الأول من تشرين الثاني ١٩٧٦، اجتماع ضمّ اللواء محمد حسن غنيم (قائد القوات)، ونائبه العميد نور الدين مبارك، والعميد موسى كنعان، والعقيد أحمد الحاج من الجيش اللبناني (كان الرئيس سركيس سيختار أحدهما لقيادة القوات المعززة).

قامت اللجنة المكلّفة بوضع خطة الانتشار بإتّصالات واجتماعات عدة مع قيادة المقاومة الفلسطينية والجبهة اللبنانية والسيد كمال جنبلاط، ثم عرضت النتائج على الرئيس سركيس الذي وافق على الخطة وأوفد العقيد أحمد الحاج الى دمشق لاطلاع المسؤولين السوريين عليها.

حضر الى بيروت موفدان سوريان هما العقيدان محمد الخولي وعلي المدني لإبلاغ الرئيس سركيس ملاحظات المسؤولين السوريين على الخطة، واجتمع الرئيس سركيس بالسيد حسن صبري الخولي، ممثل الأمين العام للجامعة العربية، وطلب اليه درس الملاحظات مع قيادة الردع والفرقاء المعنيين.

توالت الاجتماعات مع اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين، واتّفق على الخطة بصورتها النهائية.

قبل بدء الانتشار، كانت القوات السورية متواجدة في البقاع بكامله وفي الشمال حتى جبل تربل، ثم تقدّمت في الجبل حتى بحمدون وضهور الشوير، وفي الجنوب الى جزين نزولاً حتى بلدة لبعا.

وُضعت الخطة لتنفّذ على ثلاث مراحل:

أولاً: المرحلة الأولى

نفّذت في ١٠/١١/١٩٧٦، ابتداءً من الساعة السابعة صباحاً، على الشكل التالي:

- اللواء ٨١ من القوات السورية، تقدّم على المحاور التالية:

المحور الأول: عاليه - الكحالة - غاليري سمعان.

المحور الثاني: عاليه - القماطية - سوق الغرب - عيتات - عين عنوب - الشويفات.

المحور الثالث: سوق الغرب - قبرشمون - عرمون - خلدة.

- اللواء ١٢١ من القوات السورية تقدم على المحورين التاليين:

المحور الأول: برمانا - بيت مري - المنصورية - تل الزعتر.

المحور الثاني: ضهور الشوير - بكفيا.

أنهت القوات انتشارها وتمركزت في الأماكن المحدّدة لها، ولم تصادف أي عقبات، وتمكنت بسهولة من إزالة العوائق والحواجز، ونّوهت قيادة القوات بالتجاوب الكامل الذي لاقته من جميع المواطنين ومختلف الفرقاء.

ثانياً: المرحلة الثانية

نفّذت في ١٥/١١/١٩٧٦، ابتداءً من الساعة السادسة صباحاً، وقامت بتنفيذها مجموعة من القوات السورية مؤلّفة من اللواء ١٢١ واللواء ٨٥ وعدد من الوحدات الخاصة. وتقدمت هذه القوات في محافظتي بيروت وجبل لبنان على المحاور التالية:

المحور الأول: جسر الكرنتينا - شارع المرفأ - ساحة الشهداء - الأسواق التجارية - باب ادريس.

المحور الثاني: مستديرة الصياد - غاليري سمعان - المريجة - مستديرة - ساحة الشهداء.

المحور الرابع: مستديرة الصياد - طريق الشام - فرن الشباك - الأمن العام - ساحة الشهداء.

المحور الخامس: طريق صيدا القديمة - الطيونة - شارع بشارة الخوري.

المحور السادس: غاليري سمعان - الحدث - تحويطة الغدير - الكوكودي - مستديرة المطار.

المحور السابع: خلدة - الأوزاعي - الجناح - الروشة.

المحور الثامن: كورنيش النهر - كرم الزيتون - الحكمة.

المحور التاسع: كورنيش النهر - قصر العدل - الأشرفية.

المحور العاشر: الدورة - انطلياس - صربا - جونيه - جبيل - عمشيت.

المحور الحادي عشر: المديرج - عين دارة - الباروك - بيت الدين - دير القمر.

وبعد أن تمت السيطرة على كلّ المحاور الرئيسية في العاصمة، ولا سيّما منها محاور التماس ومفارق الطرق الرئيسية، أمّنت الحراسة والحماية للمرافق الرئيسية في العاصمة والضواحي، ومنها اذاعة لبنان في الصنائع، مبنى التلفزيون، مصرف لبنان، مطار بيروت الدولي، خزانات المحروقات في الدورة، مصلحة كهرباء لبنان، مرفأ بيروت، محطة الارسال في عمشيت.

ثالثاً: المرحلة الثالثة

نفّذتها في ١٩٧٦/١١/٢١ مجموعة من القوات السورية، قوامها اللواء ٢١ واللواء ١٣٢ وعدد من الوحدات الخاصة، وتقدّمت في الشمال والجنوب والشوف على المحاور التالية:

أ) في الشمال

المحور الأول: شكا - كفرحزير - أميون - طورزا - سبعل - كفرحاتا - زغرتا.

المحور الثاني: شكا - أنفه - القلمون - أبو حلقة - طرابلس - الميناء.

المحور الثالث: القليعات - الحسنية - كفريا - جبل تربل - حارة الفوار - طرابلس.

المحور الرابع: القليعات - مخيم نهر البارد - مصفاة طرابلس - مخيم البداوي - طرابلس.

ب) في الشوف

المحور الخامس: دير القمر - دميت - جسر الدامور - رأس السعديات.

ج) في الجنوب

المحور السادس: لبعا - الصالحية - مجدليون - عبرا - صيدا.

المحور السابع: لبعا - عين المير - القريّة - تلة مار الياس - صيدا.

المحور الثامن: القريّة - المية ومية - صيدا - الزهراني.

نفذت المهمة بدون حوادث.[١]

---

(١) الوضع القانوني والسياسي لقوات الردع العربية في لبنان- العميد الركن فؤاد عون

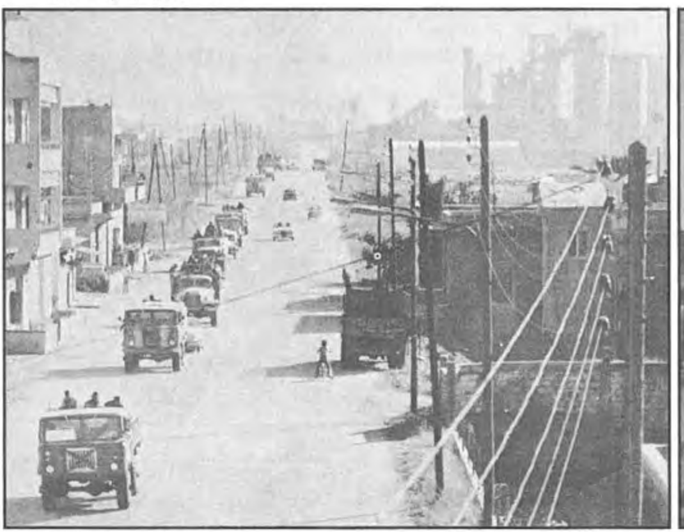
الدخول السوري في ٢١ تشرين الأول ١٩٧٦

شاحنات سورية تعبر نفق شكّا

جنود أمام دير سيدة البلمند



قافلة سورية بين شكّا وأنفه

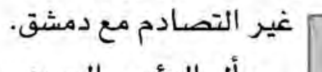


الأسد والحكومة الأولى
لا للإعلام ولكمال جنبلاط

فؤاد بطرس وزير الخارجية والدفاع

في الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧٦، زار الوزير فؤاد بطرس دمشق في محاولة لإقناع سوريا بتشكيل حكومة سياسية، وإذا تعذّر الأمر فبحكومة غير سياسية لا تتمثّل فيها «الجبهة اللبنانية» ولا الحركة الوطنية.

التقى بطرس الرئيس حافظ الاسد، وبعد عبارات المجاملة المتبادلة، أكّد له أن «دخول قوات الردع العربية إلى لبنان وتمركزها تمّا على أحسن ما يرام بفضل جهدكم وانضباط جيشكم، وأيضاً بفضل التعاون والتنسيق الوثيق بينكم وبين السلطات اللبنانية على سائر المستويات». وانتقل إلى موضوع تشكيل حكومة تعبّر عن توجهات العهد من



غير التصادم مع دمشق.


الأسد: القضاء على كمال جنبلاط سياسياً

سأل الرئيس السوري عن الأسماء السنّية المتداولة، وعلّق قائلاً: «لم أر اسم كمال شاتيلا في التداول، وهو مهمّ بالنسبة إلينا، وهناك سواه ممن لم تأتوا على ذكرهم أيضاً». وتطرق الاسد إلى رئيس الحركة الوطنية قائلاً: «كمال جنبلاط انتهى، لم يعد يمثّل شيئاً، إلا إذا أردتم أن تفتحوا له باب العودة إلى المسرح بالواسطة»، فقال بطرس: «إن التصلّب سيخلق لكم مشاكل حتى على المستوى العربي»، فأجاب الاسد «كلا، حتى مصر تتفهم موقفنا، والرئيس السادات أفهم الرئيس سركيس أنه من الطبيعي أن نلعب دوراً في لبنان». وتمنّى أن يكون «الوزير الدرزي الأول أرسلانياً والثاني من آل حمادة». فأجابه بطرس أن ذلك «مستحيل تماماً»، لكن الاسد أصرّ، فقال بطرس: «اسمح لي أن أصارحك، يبدو أنكم تريدون أن تقضوا على جنبلاط كزعيم حزب وكزعيم درزي نهائياً». فردّ الأسد: «لا نقضي عليه جسدياً بل سياسياً، أي على زعامته، سيصبح كمال جنبلاط مواطناً أسوة بأي مواطن آخر».

أثار الرئيس السوري، مسألة الوضع الإعلامي في لبنان، وقال لبطرس «إذا تركتم الإعلام والصحف على حالها فهذا أمر خطير جداً، لأنّه يتعلق بجيشنا ومعنوياته وانضباطيته، لذلك لا يمكننا أن نقف مكتوفي الأيدي، لأنّ أمننا مهدّد من خلال جيشنا الموجود عندكم. إعلام الصنائع يشتمنا منذ سنة، فلابدّ من أن يمدحنا مدة سنتين، لا تستحوا، فلا غضاضة إذا أعلنتم علاقاتكم الخاصة وصداقتكم مع سورية».


حكومة سركيس الأولى بحسب مشيئة دمشق

ثم التقى فؤاد بطرس بعد ظهر اليوم نفسه وزير الخارجية عبدالحليم خدّام الذي قال بلهجة قاسية تعكس الاستياء السوري الكبير من كمال جنبلاط: «أهان جنبلاط الرئيس الأسد وحاول قلب الحكم في سورية، لكنه هُزم ويجب أن يُعامل على هذا الأساس، ولن نقبل أبداً أن نحييه. عندنا تجربة مماثلة مع أكرم حوراني[1] الذي كان أنظف من جنبلاط وأكثر وطنية، وانتهى مواطناً عادياً ليس إلا».

حاول بطرس تمرير فكرة تشكيل حكومة من غير السياسيين تضمّ تكنوقراط فقط. فأتى ردّ فعل خدام سلبياً أيضاً إذ قال: «يعتقد الرئيس الأسد أن مثل هذه الحكومة

(١) أكرم حوراني من أبرز رجال السياسة السورية بدءاً من مطلع عقد الأربعينات بدأ حياته في حماه ناشط سياسي وعقائدي في حزب البعث ومناضل ضد الاستعمار وتبوأ مراكز سياسية مهمة آخرها نائب الرئيس جمال عبد الناصر.

لا تقوي الوضع، أما إذا ارتأى الرئيس سركيس باتّصالاته أنها أكثر خدمة لمشروعه، وأكثر تسهيلاً لمهمته فسوف نتناقش فيها عندئذ، ونتمنى أن يتم الاتصال بنا». وختم خدام: «نحرص على أن يشعر كل من يقف ضد العهد بأنه سيُسحق مادياً ومعنوياً وسياسياً»[1].

وتنفيذاً للاستياء السوري من الصحافة اللبنانية، دهمت قوات الردع السورية، في ١٥ كانون الأول ١٩٧٦، مكاتب صحف «المحرر»، و«بيروت»، و«الدستور»، وطردت الصحافيين وأساءت معاملة بعضهم، واحتلّت المطابع والمكاتب.

عمليات دهم مسلحة لمكاتب "المحرّر" و"بيروت" و"الدستور"

تعرضت امس مكاتب الزميلات "المحرر" و "بيروت" في الشياح و"الدستور" في شارع السادات لعمليات دهم مسلحة استهدفت المحررين فيها.

وقال بيان للجنة الطوارئ المنبثقة عن "المجلس السياسي المركزي" اثر اجتماع عقدته في الساعة مساء: ان "مجموعة من قوة الردع العربية طوقت مقري "المحرر" و"بيروت" ثم دخلتهما واخرجت المحررين والعمال واعتدت على بعضهم واحتلت المكاتب والمطابع ومنعت الدخول اليها".

واضاف البيان: "ان الحركة الوطنية اذ تدين هذا الاعتداء على الصحيفتين الوطنيتين تعتبره تصعيدا خطرا في مسلسل الضغط على الحريات العامة وتطالب الرئيس سركيس بالتدخل الفوري لوضع حد له ورئيس الحكومة بتحمل مسؤولياته كوزير للاعلام واتخاذ كل التدابير لاخلاء مكاتب الصحيفتين وتمكينهما من استئناف الصدور بحرية وحماية حقوق الصحافيين وحريتهم".

التتمة في الصفحة ٨ -

بعد يومين، في ١٧ كانون الأول، دهمت القوات السورية مكاتب ومطابع صحيفة السفير و إحتلتها.

ازاء ذلك وجه رئيس تحرير صحيفة النهار ميشال ابو جوده مذكرة الى رئيس الجمهورية الياس سركيس حول الوضع الصحافي الراهن قال فيها: «استناداً الى التطورات الاخيرة التي تؤكد ان المخفي أعظم، وأن جبل الجليد لا يظهر منه الا رأسه، أرجو الرئيس والمسؤولين عن الأوضاع الصحافية المبادرة الى اتّخاذ التدبير الآتي أو أي تدبير لبناني آخر يراه الرئيس مناسباً.

اولاً: تسمية مجلس أعلى مؤقت للصحافة ولو في صورة غير قانونية، من ثلاثة اشخاص أمثال الرئيس الأول اميل أبو خير، والرئيس تقي الدين الصلح، والنائب نصري المعلوف - والاخيران مارسا الصحافة - يضع يده على الوضع الصحافي تجاه رئيس الجمهورية وتجاه قوة الردع التي هي في تصرفه.

ثانياً: يأمر الرئيس بالتشاور مع هذا المجلس الذي يجب أن يسمّى خلال ساعات، بإخلاء دور الصحف التي دهمت وإرسال ضبّاط لبنانيين من قوة الردع الى كلّ منها في صورة مؤقتة.

ثالثاً: يأمر الرئيس بوقف زيارات ضباط الردع واتّصالاتهم بالصحف المستمرة في الصدور.

رابعاً: يطلب الرئيس من المجلس الأعلى المؤقت للصحافة، وبتفويض منه استناداً الى مقرّرات الملوك والرؤساء، وبصفته القائد الأعلى لقوة الردع تأمين ما يلزم داخل الصحف وفي الصحف على صعيد النشر.

خامساً: تكون كل هذه التدابير مؤقتة، ويعلن رئيس الجمهورية أنها مؤقتة في انتظار انصرافه مع المجلس الأعلى المؤقت ومع المسؤولين عن الوضع الصحافي والاعلامي الى فتح ملف الصحافة والاعلام.

سادساً: تعتذر النهار الى بقية الزميلات عن توجيه هذه المذكرة بمفردها لأنّ الوقت ضيق والاتصالات الكاملة متعذرة، وهي تترك المجال لبقية الزميلات لاقتراح أي شيء آخر لمعالجة الموقف في سرعة.

سابعاً: في حال تعذر اتخاذ أي تدبير مشابه، نطلب الى رئيس الجمهورية اعلان أي تدبير يراه مناسباً.

في مذكرة الى رئيس الجمهورية
ميشال أبو جوده يقترح علاجاً لبنانياً للوضع الصحافي



ميشال ابو جوده في مؤتمره الصحافي.
(يحيى يمني)

صباح امس وجه رئيس تحرير "النهار" ميشال ابو جوده مذكرة الى الرئيس الياس سركيس، تلاها في ما بعد في مؤتمر صحافي عقده في مكتبه، حول الوضع الصحافي الراهن.

وهنا نص المذكرة:

"بمسؤوليتي السياسية عن صحيفة "النهار"، واستنادا الى التطورات الاخيرة والتي تؤكد ان "المخفي اعظم"، وأن جبل الجليد لا يظهر منه الا رأسه، ارجو الرئيس والمسؤولين عن الاوضاع الصحافية، المبادرة الى اتخاذ التدبير الآتي، او اي تدبير لبناني آخر يراه الرئيس مناسبا.

اولا: تسمية مجلس اعلى موقت للصحافة، ولو في صورة غير قانونية، من ثلاثة اشخاص

---

(١) من مذكرات الوزير فؤاد بطرس - انطوان سعد.

وقبل أن يجفّ حبر مذكرة أبو جودة، قامت القوات السورية في ١٩ كانون الأول بإحتلال مكاتب صحيفتيّ «النهار» و«لوريان لوجور».

في ٢٠ كانون الأول، برّر نائب وزير الدفاع السوري اللواء ناجي جميل إحتلال مكاتب الصحف اللبنانية بأنّ هذه الصحف «تروّج لدعاية صهيونية معادية».

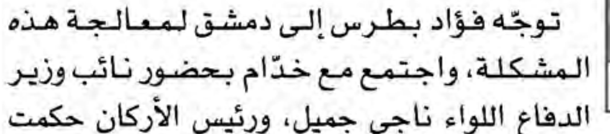
وبسبب ما تعرّضت له الصحف، اعتكف قائد قوات الردع العربية العقيد أحمد الحاج في منزله، الأمر الذي أزعج السوريين كثيراً وهذا ما عبّر عنه اللواء حكمت الشهابي بقوله: «نحن عاتبون عليه لاعتكافه في المنزل احتجاجاً وتسريب الخبر الى الصحف دون أن يكلّف نفسه عناء معرفة سبب الإقدام على هذه الخطوة... فهذه الصحف تتقاضى أموالاً طائلة من أعدائنا ومن أخصامنا لشنّ حملة تشهير كبيرة ضدنا في الوطن العربي والعالم، ولا يوجد حالياً أجهزة لبنانية قادرة على تطبيق القانون وردع هؤلاء من الإساءة الى سوريا ونظامها وتعطيل مبادرتها الأخوية في لبنان...».[1]



الشهابي: رفض اخلاء مكاتب الصحف

الحاج يعتكف والسوريون يستاؤون

توجّه فؤاد بطرس إلى دمشق لمعالجة هذه المشكلة، واجتمع مع خدّام بحضور نائب وزير الدفاع اللواء ناجي جميل، ورئيس الأركان حكمت الشهابي. وقال لهم: «إنّ اللبنانيين قلقون من أن تكون مداهمة الصحف مقدّمة لتغيير في بنية النظام اللبناني القائم على الحريات. المصلحة تقضي بأن تقوى السلطة في لبنان لا أن تضعف والغاية هي أكل العنب لا قتل الناطور» لكن بطرس لم يصل الى نتيجة حاسمة، فعاد الى دمشق في التاسع والعشرين من كانون الأول ١٩٧٦، لمتابعة موضوع الإعلام واجتمع بخدّام وجميل والشهابي الذين رفضوا «من حيث المبدأ» مشروع فرض الرقابة على الصحافة اللبنانية، مقابل أن يخلوا مكاتب الصحف التي يحتلّونها، وأصرّوا على سحب رخص بعض الصحف المعارضة لتوجّهاتهم، وعلى وضع قانون يسمح لوزير الإعلام بإلغاء الرخصة إدارياً.[2]





المقدم سامي الخطيب

أما في ما يتعلّق بقيادة قوات الردع العربية، قرّر مجلس الوزراء اللبناني في ١١ نيسان ١٩٧٧، وبعد طلب القيادة السورية تعيين المقدّم سامي الخطيب قائداً لقوات الردع العربية مكان العقيد أحمد الحاج، الذي أصرّ صديقه الرئيس سركيس على تعيينه قائداً لقوى الامن الداخلي ليحفظ معنوياته وكرامته.

ونظراً لقرب المقدّم سامي الخطيب من سوريا، أطلق عليه لقب «شامي» الخطيب.

تنفيذاً للرغبة السورية أصدرت الحكومة اللبنانية المرسوم الاشتراعي رقم واحد الذي يحدد خارطة طريق للصحف ويفرض رقابة صارمة عليها مقابل إعادة إصدارها وإخلاء مطابعها ومكاتبها من قبل قوات الردع السورية.

---

(١) في عين الحدث خمسة واربعون عاماً لأجل لبنان ص ٤٢٧.

(٢) مذكرات فؤاد بطرس- انطوان سعد

المرسوم الاشتراعي الرقم ١ : فرض الرقابة على المطبوعات

في اول كانون الثاني ١٩٧٧ صدر مرسوم اشتراعي رقمه ١ يقضي بفرض رقابة على المطبوعات.

وهنا نص المرسوم:

"ان رئيس الجمهورية، بناء على الدستور، بناء على القانون الرقم ٧٦/٢ تاريخ ٣٠/١٢/١٩٧٦ (منح الحكومة حق اصدار مراسيم اشتراعية)، بناء على المرسوم الاشتراعي الرقم ٩ تاريخ ٢١/١١/١٩٣٩ (تعيين الموعد الذي تصبح فيه القوانين والمراسيم نافذة)، وبعد استشارة مجلس شورى الدولة، بناء على اقتراح وزير الداخلية ووزير الاعلام، وبعد موافقة مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في تاريخ ١/١/١٩٧٧، يرسم ما يأتي:

المادة الاولى: تخضع جميع المطبوعات للرقابة السابقة للمديرية العامة للامن العام التي يعود اليها ان تلغي كليا او جزئيا ما هو معد للنشر، كما لها ان تمنع صدور النشرة المعروضة على الرقابة اذا رأت داعيا لذلك.

المادة الثانية: اذا صدرت احدى المطبوعات خلافا للمادة الاولى اعلاه، تصادر اعدادها بقرار من المدير العام للامن العام وتوقف المطبوعة عن الصدور بقرار منه. يبقى قرار التوقيف ساري المفعول الى ان تفصل محكمة المطبوعات في اساس الدعوى.

يعاقب المسؤولون بالحبس من سنة الى ثلاث سنوات وبالغرامة من خمسة الاف الى خمسة عشر الف ليرة لبنانية ولا يجوز ان تقل العقوبة عن الحبس لمدة شهر، وللمحكمة ان تقرر توقيف المطبوعة عن الصدور لمدة تراوح بين شهر وثلاثة اشهر على ان تحسب من ضمنها مدة التوقيف تنفيذا لقرار المدير العام للامن العام.

المادة الثالثة: اذا خالفت احدى المطبوعات المادة الاولى اعلاه مرة ثانية لا يجوز ان تقل العقوبة عن الحبس لمدة شهرين وعلى المحكمة ان تحكم بالغاء الرخصة المعطاة للمطبوعة نهائيا.

المادة الرابعة: في جميع الحالات المبينة اعلاه لا تقبل احكام محكمة المطبوعات اي طريق من طرق المراجعة العادية او غير العادية وعلى المحكمة ان تفصل في الدعوى في جميع الحالات في مهلة اقصاها اسبوعان من تاريخ احالتها عليها.

المادة الخامسة: لا تقبل قرارات المدير العام للامن العام المتخذة بالاستناد الى هذا القانون اي مراجعة تسلسلية او ادارية او قضائية ولا يحق لاصحاب الشأن المطالبة باي تعويض من جرائها.

المادة السادسة: يعمل بهذا المرسوم الاشتراعي، بعد تعليقه على باب مقر رئاسة الحكومة، اعتبارا من يوم الاثنين الواقع فيه ٣ كانون الثاني ١٩٧٧.

بعبدا في ١ كانون الثاني ١٩٧٧

الامضاء: الياس سركيس

صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء

الامضاء: سليم الحص

وزير الداخلية

الامضاء: صلاح سلمان

وزير الاعلام

الامضاء: سليم الحص".

بيان لوزير الداخلية

وفي ٣ كانون الثاني اصدر وزير الداخلية الدكتور صلاح سلمان البيان الآتي:

"عطفا على المرسوم الاشتراعي الرقم ١ الصادر في تاريخ ١/١/١٩٧٧ الذي يفرض رقابة مديرية الامن العام السابقة على جميع المطبوعات، فقد تم انشاء المركزين الاتيين لتسلم المطبوعات ومراقبتها:

١ - مبنى مديرية الامن العام في فيلا شقير - الاشرفية، التلفون ٣٣٩٤٠٠

٢ - مقر قيادة قوات الردع في مبنى وزارة الصحة قرب المتحف، التلفون ٣٩٤٧٠٠

يستمر المركزان في العمل طوال ٢٤ ساعة.

تخضع للمراقبة جميع المطبوعات من صحف ووكالات انباء واذاعات وشركات التلفزيون المحلية والعالمية.

وزير الداخلية

الدكتور صلاح سلمان".

مذكرة خدمة

وفي التاريخ نفسه اصدر المدير العام للامن العام العقيد انطوان دحداح مذكرة الخدمة الاتية:

"الموضوع: الاسس العامة لمراقبة المواد الاعلامية الصادرة في لبنان والواردة اليه.

المستند: المرسوم الاشتراعي الرقم ١ تاريخ ١/١/١٩٧٧

اولا: تحدد مذكرة الخدمة - المرجع:

١- المواد المشمولة بالرقابة.

٢- وسائل الاعلام المشمولة بالرقابة.

٣- معايير الرقابة.

٤- الاصول المبدئية للرقابة.

يجري التعداد في البنود الملاحقة على سبيل التحديد لا الحصر، بحيث يتم التوسع فيه او الاضافة اليه حسب الحاجة.

ثانيا: المواد الاعلامية المشمولة بالرقابة:

١) الخبر.
٢) النبأ.
٣) المقال.
٤) العرض.
٥) التحليل.
٦) المقابلة.
٧) التحقيق.
٨) النقل.
٩) الصورة.
١٠) الاعلان.
١١) التسجيل.
١٢) الفيلم.
١٣) كل المواد الكتابية او المرسومة او السمعية او البصرية او المؤالفة بينها.

ثالثا: وسائل الاعلام المشمولة بالرقابة:

١ - الامتيازات:
- السياسية اليومية.
- السياسية الاسبوعية.
- السياسية الشهرية.
- غير السياسية بتعدد اشكال دوريتها.
- العائدة الى وكالات الانباء المحلية.

٢ - الاذاعة والتلفزة.

٣ - وسائل التعبير العلنية (المنشورات، المسرحيات، الملصقات، الاعلان المباشر، الخ...)

٤ - كل المراجع الاعلامية المصدرة مواد اعلامية في لبنان.

٥ - كل المراجع الاعلامية المصدرة مواد اعلامية من لبنان.

٦ - كل المراجع الاعلامية المستوردة مواد اعلامية الى لبنان.

رابعا: معايير الرقابة.

١ - الالتزام بعدم نشر:

- مواد من شأنها الدعوة الى التفرقة بين المواطنين وبث البلبلة والذعر بينهم.

- مواد من شأنها اثارة النعرات الطائفية واضعاف معنويات وحدة الشعب.

- مواد من شأنها التحريض على القيام باعمال تهدد السلامة العامة والامن.

- مواد من شأنها اثارة الجدل المؤدي الى العودة الى الاقتتال.

- مواد من شأنها التأثير على معنويات القوات المسلحة وامنها.

- مواد من شأنها الاساءة الى رئيس الدولة والى الملوك والرؤساء.

- مواد من شأنها التأثير على هيبة الدولة ومؤسساتها.

- مواد من شأنها تعريض علاقات لبنان الخارجية بنشر اخبار ماسة بالدول الشقيقة والصديقة.

- مواد تتركز على استغلال حادث معين واعطائه طابعا مثيرا او طائفيا.

- مواد مضخمة او مختلقة او مشبوهة الخلفيات او الاهداف.

- كل المواد المتعلقة بالقوات المسلحة (اسماء، اخبار، تحركات، مواقع، الخ...) وغير الصادرة عن السلطات الرسمية المختصة.

- كل المواد المختلفة شكلا او مضمونا عن البيانات الصادرة عن السلطات الرسمية المختصة بشأن وضع او حادث معين.

- كل المواد المسيئة الى الاخلاق العامة.

٢ - الالتزام بنشر:

- البيانات الرسمية الصادرة عن السلطات الرسمية المختصة في شأن وضع او حادث معين.

- البيانات الرسمية الصادرة عن القيادة العسكرية والمتعلقة بعمل القوات وتحركاتها وعملياتها.

خامسا: الاصول المبدئية للرقابة.

١ - المواد الاعلامية ومستلزماتها.

- الصادرة في لبنان: موافقة سابقة من المدير العام للامن العام متضمنة اجازة الصدور وشكلياته.

- المصدرة من لبنان: موافقة سابقة من المدير العام للامن العام متضمنة اجازة التصدير وشكلياته.

- الواردة الى لبنان: موافقة سابقة من المدير العام للامن العام متضمنة اجازة الادخال وشكلياته.

٢ الوثائق المطلوبة.

- المواد الكتابية او المرسومة: قبل الموافقة - نسخة عدد ٢ جاهزة (تعاد احداهما مع الموافقة، ويحتفظ بالاخرى للمقارنة والارشيف)، بعد الموافقة - نسخة عدد ٥ منجزة (فور الصدور).

- المواد السمعية (Audio) قبل الموافقة - نسخة عدد ٢ مسجلة (تعاد احداهما مع الموافقة ويحتفظ بالاخرى للمقارنة والارشيف).

- المواد البصرية (Vidéo) قبل الموافقة - نسخة عدد (٢) ممحضة (تعاد احداهما مع الموافقة ويحتفظ بالاخرى للمقارنة والارشيف).

- المواد المؤالفة بين الانواع السابقة: قبل الموافقة - نسخة عدد ٢ كاملة التجهيز (تعاد احداهما مع الموافقة ويحتفظ بالاخرى للمقارنة والارشيف).

٣ - مركز الرقابة.

المقر الدائم للمدير العام للامن العام.

٤ - التدابير.

استباقية واستلحاقية (طبقا لنص المرسوم الاشتراعي - المستند وكل النصوص السارية المفعول).

المدير العام للامن العام

العقيد الركن انطوان دحداح".



بلاّ عام ١٩٧٧

معركة بلاّ المواجهة الاولى

في بداية الحرب اللبنانية أو ما عرف بحرب السنتين ١٩٧٥ - ١٩٧٦، كانت كلّ الأمكنة عرضة للحروب والأوجاع والآلام، وكلّ الطرقات سلكتها المآتم والنعوش، وشهدت تدميراً وتنكيلاً وتهجيراً، لكنّ قرى قضاء بشري، لم تُصبها الحرب بشكل مباشر رغم أن نخبة من شبابها استشهدوا أو أصيبوا في جولات معارك السنتين في مختلف المناطق وعلى كلّ الجبهات، في وقت كان كثيرون يعوّلون على دخول قوات الردع العربية ويأملون أن تعيد السلام والاستقرار الى البلاد.

بقيت بلاّ قرية وادعة مسالمة بعيدة عن طريق الحرب، رغم إقامة حزب الكتائب مخيم تدريب على أرضها في منطقة الرامية، حيث تدرّب معظم شباب الرعيل الأول الذي شارك في معارك عامي ١٩٧٥-١٩٧٦.



بلاّ عام ٢٠٠٩

القضية والطعم

يوجد في أول قرية بلاّ منزل بعيد نسبياً عن باقي المنازل، كان يقطنه شخص واحد يدعى قزما قسطنطين العنداري مواليد ١٩٣٧، يعمل بائعاً متجولاً للساعات وليس له أي انتماء سياسي أو حزبي.

ليل ٧ نيسان ١٩٧٧، أقدم مسلحون مجهولون على اختطاف قزما من منزله من دون أن يعلم أحد من أهل القرية أو يتنبّه لما حصل، ليستفيق أهل قزما على اختفائه وسرعان ما شاع الخبر في القرية وفي البلدات المجاورة.

بدأت الأيام تمرّ من دون أن تسفر المراجعات والتحقيقات والاتّصالات عن نتيجة، وبدأت الشائعات المغرضة تسري كالنار في الهشيم، ومنها أن قوة من حزب الكتائب وتحديداً فرقة الـ«اس.ك.اس» دهمت منزل قزما ليلاً، واقتادته الى جهة مجهولة، وأن مجموعة من محازبي الكتائب في القرية إضافة الى كاهن الرعية الخوري الياس الشويفاتي تعاونوا مع شباب الـ«اس.ك.اس» لاختطاف قزما، علماً ان قربى وثيقة تربط المتّهمين بالمخطوف. بدأت السيناريوهات تدبّج، فانقسمت القرية وبدأ تبادل التهم وساد البغض والنميمة.

جرت إتصالات ومراجعات تولاّها نائبا منطقة بشري آنذاك حبيب كيروز وجبران طوق والنائب السابق قبلان عيسى

الخوري من دون التوصل الى معرفة مصير قزما.

تبيّن في ما بعد، وبعد وقوع المعركة، أنّ ما حصل عمل استخباراتي خطّط له بذكاء ونفّذ بدقة ودهاء واحتراف، فقرية بلاّ صغيرة جداً، ولا يمكن لأحد من أهلها أن يكون متورطاً بعملية خطف داخلية، من دون أن يكشف أمره عاجلاً أم آجلاً، ولكن خطف قزما كان هدفه إيجاد الحجة لدخول قوات الردع السورية الى قرى قضاء بشري التي كانت خارج اطار انتشار هذه القوات، خصوصاً وان بلاّ تتمتع بموقع استراتيجي مهم جداً مطلّ على أقضية الكورة والبترون وزغرتا، والتمركز على تلالها وتلال برحليون يسمح بالسيطرة على مفاصل مهمة في منطقتي الكورة والبترون ويطوّق قضاء بشري من خلال الإمساك في الطريق الذي يربطه بقضاء البترون عبر بلدة قنات، مزرعة بني صعب، بيت كساب، حردين، كما هي ممرّ إجباري الى منطقة الكورة.

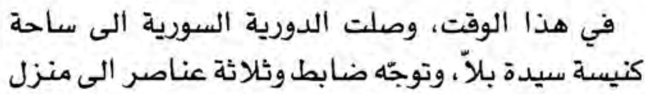
الاشتباك الاول

يوم السبت ١٤ أيار ١٩٧٧، أي بعد مرور شهر وأسبوع على اختفاء المواطن قزما العنداري، أوقفت القوات السورية في الكورة مواطنين من بلدة بلاّ هما روفايل الشويفاتي وحنا سابا العنداري من دون معرفة الأسباب. ثم انطلقت دورية سورية هي كناية عن آلية تقلّ ٨ عناصر من منطقة الكورة باتّجاه قرية بلاّ، بحجة القبض على المتهمين بخطف قزما العنداري.


سابا العنداري (مطلق الرصاصة الأولى) بعد ٣٢ سنة

الخوري الياس الشويفاتي خادم رعيّة بلاّ

التقت الدورية السورية بسيارة بطرس الشويفاتي عند أول القرية وسألته عن منزل كاهن الرعية، فدلّهم على الكنيسة التي تبعد عن بيت الخوري نحو مئتي متر تقريباً وانطلق بطرس مسرعاً باتجاه برحليون حيث يسكن، فأوقف السيارة مسرعاً ودخل البيت ركضاً وتوجّه الى الخزانة تناول من طبقتها العليا بندقية وانطلق بإتّجاه بلاّ.



في هذا الوقت، وصلت الدورية السورية الى ساحة كنيسة سيدة بلاّ، وتوجّه ضابط وثلاثة عناصر الى منزل الخوري الياس الشويفاتي بهدف إلقاء القبض عليه، فاستنفر بعض شباب ورجال القرية، وتمركزوا في تلة ديرونا المشرفة، بينما انتشر بعضهم شمال القرية.


ملالة الـ SKS التي دخلت الى بلاّ يقودها طانيوس نعمة

وصل الضابط والعناصر الى منزل الخوري الياس فقال الضابط للجنود: «أدخلوا وأحضروا الخوري». فسأله أحدهم واذا رفض الخروج فأجابه الضابط: «أمسكوه بذقنه وجرّوه». في هذا الوقت، كان الخوري الياس الذي سمع مع زوجته وبناته ما قاله الضابط السوري لعناصره يقرأ أحد الكتب، وعندما همّ الجنود


طوني الزين طوق

السوريون بدخول المنزل، أطلق سابا حنا العنداري الذي كان يراقبهم النار عليهم، فبدأت فعلياً معركة بلاّ، واشتبك شباب القرية مع السوريين على درج منزل الخوري الياس وقرب الآلية المتوقفة قرب الكنيسة، وكانوا ستة هم: سابا حنا العنداري وشقيقه يعقوب حنا العنداري وجورج الخوري الياس الشويفاتي وجان روفايل الشويفاتي وشامل بطرس العنداري، وبطرس فرنسيس الشويفاتي.

هرب الضابط والعناصر الذين كانوا على درج بيت الخوري بإتّجاه عبدين بعد إصابة أحدهم ، فيما بدأ اطلاق النار بإتّجاه الآلية السورية قرب الكنيسة.

في غضون ذلك، وصلت الى البلدة مجموعة من فرقة الـ«اس كا اس» بقيادة طانيوس نعمة وتضم حنا العتيق وجوزيف خوري وجوزيف وحيد نعمة والمعوشي ونبيل اسطفان وجميل طوق وكابي واكد ويوسف طوق (الدلالة) وهاني رحمة، والياس الطري طوق وفرنسوا نكد...


جوزيف فضول: ضابط الارتباط

ويقول طانيوس نعمة الذي كان المسؤول العملاني عن فرقة الـ«اس كا اس» في المنطقة: «انطلقنا بملالتي ام ١١٣ من أوتيل بالاس في بشري الى بلاّ، ودخلت ملالة الى القرية، وتوقّفت في مواجهة الآلية السورية قرب الكنيسة، ثم تقدّمنا نحوها سيراً ونحن نطلق النار بإتّجاهها، فأدّى الرصاص الى مقتل عنصرين، وجرح الثالث الذي فرَّ مع رفيقه بإتّجاه عبدين. ثم قام بعض العناصر برمي القنابل اليدوية داخل الآلية السورية ما أدى الى اشتعالها، فيما توقفت الملالة الثانية قرب مفرق بلاّ لتأمين المدخل».

بعد إحراق الآلية السورية في ساحة الكنيسة، فُقد الاتصال بين القيادة والدورية، وقام شباب المنطقة وقوة من فرقة الـ«اس.ك.اس» بمطاردة الناجين منها حتى قرية عبدين، حيث تمكّن طوني الزين طوق من قتل أحد العناصر.


جوزيف جعجع
بين كلود انترا وأسعد سعيد

في هذه الأثناء، كان المسؤولان الكتائبيان جوزيف جعجع وجوزيف فضول يتوجّهان الى كوسبا للقاء الشيخ فريد حبيب، لتحضير غداء مع العميد تامر الجوني قائد قوات الردع العربية في الشمال، ومقرّه في الهيكلية - طرابلس والعقيد محمد علي غزال قائد منطقة الكورة ومقرّه في كفرحزير.

ويقول جوزيف فضول، الذي كان ضابط الارتباط بين الجبهة اللبنانية وقوات الردع العربية في المنطقة: «ان العلاقة كانت سليمة جداً بين قوات الردع وقيادة الكتائب قبل معركة بلاّ، وكان هناك اتفاق مع السوريين الا يتخطّوا مغر الأحوَل أوّل قضاء بشري».

وروى فضول: «أبلغونا عند تلة برحليون أنّ هناك إطلاق نار في بلاّ، فظنّينا أن ذلك نتيجة خلاف داخلي في القرية، وعندما وصلنا الى عبدين أكدّ لنا طوني العلم رئيس قسم عبدين الكتائبي أن إطلاق النار الكثيف هو نتيجة اشتباك بين شباب بلاّ والقوات السورية، وأن دورية سورية كانت اجتازت عبدين باتجاه بلاّ.

أقفلنا عائدين الى مرتفعات برحليون، حيث تركت جوزيف جعجع مع عناصر فرقة الـ«اس.ك.اس»، والذي اتصل بشباب الكتائب في المنطقة وطلب منهم التوجه الى بلاّ».

حضر من قنات كل من ميشال أنطون، جوزيف شينا، ميشال اسطفان، طوني ملحم، سركيس اسطفان، جورج فرنسيس، جان البدوي، يعقوب بو خطار، جوني موسى، وجوزيف أنطون الملقب بالزيز، وصعدوا الى سيدة ديرونا

وحضر من برحليون سليمان السندروسي وكميل كرم وهنري طراد ودافيد داوود. ووصلت تعزيزات من بشري والمنطقة فحضر بشارة الصفا فخري، الياس الطري طوق، كابي كيروز، طوني الزين طوق، ايلي غريشي، ريمون سليم رحمة، جوزيف السوقية سكر، ومارتينوس مسعود طوق، امادو جعجع، فادي جعجع، عساف رحمة، فايز سكر، الياس الطري طوق، ادمون حنا ابو شكور سكر، ايلي مخايل ابو شكور سكر... من بشري وطوني وردان وشقيقه جورج، وطنسا البزعوني وشقيقه يوسف... من حدشيت، وجورج جبور، ويوسف موسى قبلان... من الديمان وبدوي ضومط (أبو طوني) من قنات الذي وصل بسيارته من بيروت، واحترقت في المعركة. ونبيل السمعاني وجوزيف فرح وجوزيف الطويل... من حصرون. كما وصل قزحيا كساب ومعه إدمون كسّاب وأنطون كساب... من بيت كساب، ويوسف حرب من تنورين، وأسعد عريضة من بقرقاشا وشباب فرقة الـ«اس.ك.اس»، وحضر بعض الشباب من عين عكرين وبزيزا - الكورة عن طريق ديربلاّ بيت كساب. وحاول بعض شباب بلا الصعود الى القرية ووصل شخص واحد هو جوزف موسى العنداري من مغر الأحول سيراً على الأقدام.


فرقة الـSKS عام ١٩٧٧

توجّه جوزيف فضول الى كفرحزير لمقابلة العقيد محمد علي غزال فالتقى بدورية سورية من آليتين تضم نحو ٢٥ عنصراً عند مفرق طورزا فأوقفهم وعرفهم عن نفسه بأنه ضابط ارتباط، وطلب منهم ألا يكملوا باتجاه بلاّ قبل أن يتحدث مع العقيد غزال لحلّ الإشكال، فأبلغه آمر الوحدة السورية أنّه لا يمكنه التوقف ولكنه سيسير على مهل. وصل فضول الى كفرحزير والتقى العقيد غزال الذي قال له: «هناك أربعة قتلى من القوات السورية ولا يستطيع ان يوقف التدابير المتّخذة الا بأمر من العقيد تامر الجوني».

توجّه فضول الى الهيكلية لمقابلة الجوني لكنه لم يستقبله، لأن لديه مشكلة، وأسمعه عناصر المخابرات وبينهم ضابط يدعى علي غانم كلاماً قاسياً «انتم زعران ومجرمون لأنكم قتلتم جنوداً سوريين». عاد فضول خائباً الى منطقة بشري عبر طريق إهدن - حدشيت من دون أي نتيجة. وتُرك الأمر للمعركة التي لم يعد يعلو أي صوت على صوتها.

أثناء مفاوضات فضول مع القيادة السورية، تعرّضت الدورية السورية التي التقى بها قرب مفرق طورزا لكمين في محلة بعفشا بين عبدين وبرحليون، وتولى فادي جعجع رمي عبوة ناسفة داخل الآلية الأولى، فيما عاجل شاب آخر الآلية الثانية بقذيفة ب٧ فاحترقت وقتل وجرح عدد من عناصر الدورية، وتمكن آخرون من الفرار في الاحراج بإتجاه الكورة.


الشيخ يوسف الضاهر
يتوسط فؤاد أبو ناصر وفادي افرام

إثر ذلك، أصدرت قوات الردع العربية البيان الآتي :

«الساعة السادسة عشرة من تاريخ يوم السبت في الرابع عشر من أيار سنة ١٩٧٧، وفي أثناء قيام دورية من قوات الردع العربية في القطاع الشمالي بجلب المواطن اللبناني قزما العنداري الذي خطف بتاريخ الخامس والعشرين من نيسان الماضي، وتأكّد وجوده محتجزاً في بلدة بلاّ شمال شرقي كوسبا على طريق بشري، وبعد وصول الدورية الى داخل القرية، فقد الاتصال معها. أرسلت دورية

من مصفحتين للبحث عن الأولى. ولدى وصول الدورية الثانية الى مشارف القرية، فتحت عليها النار من مكمن مسلح من جماعة مخرّبة يعتقد أنّها من زمر المهرّبين الذين صادرت لهم قوات الردع العربية بتاريخ ١٣ ايار الجاري كميات كبيرة من التبغ المهرّب وسلّمتها الى الجمارك اللبنانية، فأصابت إحدى آليات الدورية وأعطبتها، وقتلت اثنين من عناصرها وجرحت الثالث.

ردّت الدورية على النار بالمثل وباشرت بتطويق العصابة بوحدة أخرى تعزيزية للقبض على الفاعلين. كذلك دعمت بنار المدفعية لإسكات بعض مصادر النار التي كانت تعوق عمل الوحدة العسكرية وما زالت القوات مستمرة في عملية التطويق والتمشيط للقبض على كل الفاعلين ومصادرة أسلحتهم.

ان قيادة قوات الردع العربية، حرصاً منها على مسيرة السلام في لبنان التي يعمل لها كل المخلصين، تحذّر من أي تدخل لحماية هذه المجموعة المخرّبة ومؤازرتها، أياً كانت الاسباب ».

أدركت قوات الردع السورية أنّ دخول قرية بلاّ لم يكن نزهة، وان منطقة بشري حصينة والثمن الذي دفعته في اليوم الأول كان باهظاً جداً.

حاول السوريون كسب بعض الوقت لسحب الجثث والآليات المحروقة، وللدفع بقوة كبيرة الى المنطقة، فطلبوا من مسؤولي الكتائب وقف اطلاق النار، وجرت اتصالات تولاها الشيخ يوسف الضاهر باسم حزب الكتائب مع جوزيف فضول ضابط الارتباط وجوزيف جعجع المسؤول الكتائبي في المنطقة، وطلب منهما إقناع المقاتلين بوقف اطلاق النار والانسحاب والسماح للجيش السوري بسحب قتلاه والآليات المعطوبة من أرض المعركة، فتراجع شباب المنطقة الى تلة ديرونا والى مدخل بلاّ.

في هذه الأثناء، انطلقت قافلة سورية كبيرة من معرض طرابلس تضمّ دبابات وناقلات جند وشاحنات، وبدأ الجيش السوري حشد آلياته وعناصره ابتداءً من مشارف منطقة الكورة.

طلب طانيوس نعمة من حنا العتيق التوجّه الى قسم بيت منذر الكتائبي مساء ١٤ أيار، وأخذ عناصر منه والنزول الى كوع الشرقية فوق طورزا عبر طريق الجرد القديمة التي تُعرف بطريق عين السنديانة ليكمنوا للقوات السورية، فلم يستطع حنا سوى اقناع شخص واحد بالنزول معه وكان معه جهاز ارسال PRC للتحدث مع نعمة. جلس العتيق مع رفيقه على بعد ١٥٠ متراً من الكوع، وأحصيا ليل ١٤- ١٥ أيار مرور ١٥٠ آلية سورية (ناقلات جند ودبابات وشاحنات) بإتّجاه



(من اليسار) فادي جعجع، ريمون رحمة، عساف رحمة وطوني الزين طوق

عبدين وبلاّ، وكانا يبلّغان طانيوس نعمة بعدد الآليات السورية التي تمرّ الى عبدين، كما شاهدا عدداً من سيارات الإسعاف تنقل قتلى وجرحى نزولاً باتجاه الكورة.(١)

ويتذكر نعمة ان الحنون أبلغه بمرور ٤٨ دبابة على كوع الشرقية، إضافة الى عدد كبير من الآليات الأخرى. كما أحصى سعد شيبان كرم من برحليون الذي كان في مغر الأحول ليلاً أكثر من مئة آلية سورية عبرت بإتجاه بلاّ حتى الثالثة فجراً.

سهر الشباب طوال الليل في بلاّ ومحيطها بانتظار التطورات، ومع انبلاج الفجر بدأت القرية تتعرّض لقصف عنيف وتوغّلت وحدات المشاة بإتّجاه بلاّ وبدأت الاشتباك مع المقاتلين.

حاولت سرية من القوات السورية الالتفاف على قرنة ديرونا حيث يتحصن المقاتلون، وتمكّن جان البدوي من قنات من كشفها بالصدفة عندما كان يهمّ بالنزول من تلة ديرونا لزيارة منزل فؤاد الشويفاتي في بلاّ للاطمئنان عليه، فتراجع بهدوء محذّراً رفاقه فاشتبكوا نحو ساعتين مع السوريين الذين تراجعوا الى عبدين تاركين وراءهم عدداً من القتلى.

بعد ذلك وصل سمير جعجع من بيروت بسيارة بيجو ٤٠٤ برفقة جورج وردان من حدشيت، وانتقل الى تلّة ديرونا، وأبلغه الشباب ان هناك قوات سورية توغّلت في حرج الصنوبر شمال بلاّ فسأل: «من يعرف المنطقة»؟ أجابه شامل العنداري بأنّه إبن القرية. فشكّل جعجع مجموعة مؤلفة من كلّ من ميشال أنطون وجان البدوي من قنات، ايلي غريشي، ريمون سليم رحمة، طوني الزين طوق، مارتينوس مسعود طوق، كابي كيروز، أمادو جعجع، فادي جعجع، جوزيف السوقية سكر، عساف رحمة، بشارة الصفا فخري، فايز سكر، الياس الطري طوق من بشري، شامل العنداري من بلا، طوني وردان، طنسا البزعوني وشقيقه يوسف من حدشيت (وهذه نواة فرقة شكلت العام ١٩٧٦ وضمت نحو ٤٠ مقاتلاً من قرى قضاء بشري تمركزوا في ما عرف بثكنة مار يعقوب - ددّه أثناء حرب الكورة).

صعد الشباب بالسيارات حتى مشارف بلدة بيت منذر، وساروا من هناك نزولاً بإتّجاه بلاّ فوق شير مغارة الدلماز، ثمّ الى حرج صنوبر عبدالله حيث توغّلت القوات الخاصة، فدارت معركة استمرت نحو ساعة ونصف الساعة، أصيب في خلالها شامل العنداري في رأسه فيما كان يطلق النار منبطحاً بمحاذاة جان البدوي وصرخ «لقد أصبت لقد أصبت». فسحبه جان الى الوراء وأبلغ سمير جعجع الذي تأكد من خطورة إصابة شامل، فحمله جان البدوي نحو ٥٠٠ متر الى أول خراج بلدة قنات لجهة برحليون وسلّمه الى سابا العنداري ودافيد داوود وكميل كرم، الذين نقلوه الى الطريق العام حيث وضع في جيب عسكري نقله الى مستشفى بشري الحكومي.(٢)


شامل العنداري أول شهيد

بدأت جحافل القوات السورية تتقدّم بإتجاه بلاّ وسط قصف كثيف من الراجمات ومرابض المدفعية في منطقة الكورة، فيما تراجع المقاتلون الى تلة ديرونا ومرتفعات برحليون ولم يسلم أي منزل من منازل بلاّ من الاصابة بقذيفة أو بصاروخ غراد، وهذا النوع من الصواريخ كان يستعمل لأول مرة بهذا الشكل في الحرب اللبنانية.

---

(١) مكثا هناك حتى بعد ظهر اليوم التالي وفقد الاتصال مع طانيوس نعمة ولم يكن يجيب على الإرسال. وعرف الحنون في ما بعد أن الجهاز مع طانيوس نعمة أصيب ثم سمعا صراخ طانيوس نعمة من بعيد «يا حنون يا حنون انسحب بسرعة سقطت بلاّ وأصبحنا مطوقين» ولم يعد هناك أي إمكانية للإنسحاب عبر الطريق التي سلكاها لأن الوحدات السورية تكشفها من أعلى الشير شمال بلاّ. فتسلّلا الى وادي قاديشا فوق طورزا وسارا شمال بيت منذر ووصلا الى حدث الجبة.

(٢) اخبرني الدكتور جعجع ان شامل أصيب برأسه ولكنه لم يوقف الكلام أبداً طيلة الفترة التي حملوه فيها حتى وصوله الى الآلية التي نقلته الى مستشفى بشري الحكومي (هي كناية عن شبه مستشفى أقرب الى مستوصف ليس فيها تجهيزات حديثة ولا غرفة عمليات ....).

ثم نقل شامل بعد الظهر الى مستشفى سيدة لبنان في جونيه لكنه توفي تحت العملية الجراحية بعد نحو ٢٠ ساعة من الانتظار والعبور الشاق حيث تعطّل الجيب الذي كان ينقله في منطقة تنورين ونقل الى آلية اخرى.. دفن شامل في بلدة فيطرون الكسروانية لان له أخت متزوجة هناك.


سمير جعجع

حاول كل من جوزيف جعجع[١] وسمير جعجع وشربل الحاج وطانيوس نعمة من الـ«اس.ك.اس» تنظيم مواقع المواجهة قدر الإمكان، ولم يكن هناك أي أجهزة اتصال بين المقاتلين، وكانت الأوامر تصل بشكل بدائي وبالتواتر.

تقدّمت أرتال دبابات ت٥٤ وت ٥٥ بإتجاه بلاّ على الطريق الرئيسي عبر بلدة عبدين ومشارف برحليون وسط غطاء مدفعي وصاروخي كثيف، وكانت بعض قذائف الجيش السوري تُصيب جنوده فقتل وجرح عدد كبير منهم بنيران صديقة.

استبسل شباب المنطقة وبإمكانات شبه معدومة مقارنة بما لدى القوات السورية من أسلحة وأعتدة، فصدّ الهجوم السوري الأول وسط نقص في الذخائر والعناصر.

أرسلت برقية عاجلة الى المجلس الحربي الكتائبي في بيروت تطلب الدعم وحملت توقيع نعوم موسى: «يرجى إبلاغ الشيخ بشير بأن هناك اشتباكات عنيفة في منطقة بلاّ بين وحدات الـ«اس.ك.اس» وقوات الردع السورية وهناك قتلى من السوريين في أرض المعركة.» [٢]

في الساعة العاشرة وعشرين دقيقة فجر الأحد، أبرق سمير جعجع الى المجلس الحربي الكتائبي يقول: «تتعرّض بلاّ لهجوم عنيف وقصف كثيف بالمدفعية والصواريخ نرجو أخذ التدابير فوراً». [٣]

قُدّرت القوة التي دفع بها السوريون الى أرض المعركة بنحو لواء معزز بالدبابات والآليات الثقيلة، فيما كان عدد مقاتلي الكتائب نحو مئة عنصر بحوزتهم ملالتي م ١١٣ لفرقة الـ«اس.ك.اس» على كلّ واحدة منهما رشاش عيار ٥٠٠ ملم، إضافة الى مدفعي هاون عيار ١٢٠ ملم و٨٢ ملم ومدفع ب١٠ لا يعمل بشكل جيد.

الهجوم الحاسم

تراجعت الدبابات السورية الى مفرق برحليون تمهيداً للهجوم الحاسم وسط غطاء مدفعي وصاروخي من الراجمات ومدافع الميدان المرابضة في بلدات عابا وكفرحزير وبزيزا وسهول الكورة، ثم تقدّمت بإتّجاه بلاّ وسط توغل مئات الجنود من القوات الخاصة في أحراج القرية فحصلت مواجهات شرسة.

استمرّ التقدم والتراجع السوري مع القصف المدفعي والصاروخي العنيف حتى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الأحد ١٥ ايلول ١٩٧٧، ولم يَحُل الضباب الكثيف الذي غطّى المنطقة من اشتداد القصف الذي طاول أطراف برحليون

---

(١) منتصف تموز العام ١٩٧٨ تم توقيف مفوض القوى النظامية الكتائبية في محافظة الشمال جوزف جعجع، الذي سلك مع ثلاثة من مرافقيه هم: جوزف عبد المسيح وجوزف لابا وحبيب العلم، طريقاً فرعية شقت حديثاً تصل جرود العاقورة بطريق جرود تنورين - حدث الجبة، وذلك بسبب إقفال جميع الطرق إلى بشري، ولدى وصولهم إلى القمم الفاصلة عن جرود بعلبك أوقفهم حاجز لجيش لبنان العربي وسلّمهم الى المخابرات السورية، ونقلوا الى سجن المزة وظلوا حتى ١٠ تشرين الأول ١٩٨٢، ثم أطلقوا من ضمن دفعة ضمت ثمانية شبان كتائبيين ببادرة حسن نية سورية تجاه الرئيس المنتخب أمين الجميل وهم: جان أنطون وجوزف جعجع وجوزف عبد المسيح وجوزف لابا وحبيب العلم. وأنطوان سعاده الذي أوقف في الأشرفية خلال حرب المئة يوم عام ١٩٧٨ وعزت بيضون وأنيس طراد وإيلي فياض فياض.

(٢) «هذه شهادتي» - بول عنداري ص ٥٠.

(٣) «هذه شهادتي» ص ٥١.

وقنات وعبدين وبيت منذر وحدث الجبة.

قامت القوات الخاصة السورية تحت جنح الضباب الكثيف بعملية التفاف واسعة على بلاّ عبر طريق الجرد القديمة المعروفة بطريق عين السنديانة التي تصل طورزا ببيت منذر، لإكمال الطوق على القرية، فيما تقلّص وجود المقاتلين الى تلة ديرونا ومرتفعات برحليون.

تقدّمت الدبابات السورية بإتجاه مفرق بلاّ وتلال برحليون، وفشلت ١٢ قذيفة أطلقها مدفع ب١٠ (كان بحالة رديئة) في إصابة أي منها، قبل أن تنفجر أمامه وعلى مسافة متر واحد قذيفة دبابة فتنقله مع الرامي (توفيق حداد) من مكانه من دون وقوع اصابات، كما أصابت قذيفة اخرى سيارة الاسعاف التي كانت مع فرقة الـ«اس.ك.اس».

الساعة الرابعة مساء الاحد ١٥ ايار ١٩٧٧، ووسط الضباب الكثيف تمكن نحو ثلاثة آلاف عنصر من القوات الخاصة السورية مدعومين بالمدرعات من دخول قرية بلاّ، والسيطرة على تلال برحليون حتى بلدة قنات، فيما تراجع مئة مقاتل بإتجاه بيت منذر حيث نظّموا صفوفهم مع ما تبقى من أسلحة وذخائر، وكمنوا للقوات السورية التي وصلت الى هناك عبر محورين: الأول طريق طورزا عين السنديانة بيت منذر شمال بلاّ والثاني طورزا عبدين برحليون قنات.

وطوّقت القوات السورية مجموعة من شباب المنطقة لم تتمكن من الانسحاب، وساهم الضباب الكثيف في وقوعها في كمّاشة، ومن عناصرها بشارة الصفا طوق الذي كان يرتدي بذلة سورية شتوية فظنّه جنود الوحدات الخاصة منهم فسألوه: «من أي كتيبة انت»، فأجابهم: «من كتائب بشري»، فأوقفوه لكنه تمكّن من الفرار بعدما نزع بندقية أحد الجنود وأطلق النار عليه وفرّ في الضباب فيما بقي خمسة شباب ثلاثة من حصرون واثنين من بشري في أرض المعركة ولم يعثر عليهم أبداً، وعُلم أنّهم اشتبكوا مع وحدة سورية من مسافة قريبة وفقدوا...

حاول السوريون إكمال تقدّمهم بإتجاه حدث الجبة مستخدمين جيباً مموّهاً بعلم كتائبي نزعوه عن سيارة الاسعاف التي أصيبت في مرتفعات برحليون.

فتح المقاتلون نيرانهم بإتّجاه القوة المتقدمة، فأوقعوا عدداً من القتلى والجرحى بينهم قائدها الذي كان في الجيب المموّه، وهو ضابط برتبة رائد كان يعرف «ببطل الجولان»، فيما استشهد كابي كيروز من فرقة الـ«اس.ك.اس» بعدما أصيب بشظية رصاصة ٨٠٠ في رقبته، وبقي يسير وأعطى أحد رفاقه خاتمه وبندقيته، لكنه تعرّض لنزيف داخلي ولم يكن ممكناً إجراء جراحة سريعة له.

الشهيد كابي ناصيف كيروز

توقّف الهجوم بعد مقتل بطل الجولان على مشارف بيت منذر، ثم ربض رشيد رحمة مدفع ٨٢ ملم في حدث الجبة قَصَفَ جميل طوق بواسطته وبشكل عشوائي نحو ٣٠ قذيفة على أماكن دخول السوريين.

وعندما بدأت أرتال الدبابات السورية تجتاز مفرق قنات، فجّر فادي جعجع مدفع ب٤ بواسطة الديناميت على مشارف حدث الجبه لكي لا يستولي عليه السوريون وكان دوي الانفجار كبيراً جداً بحيث توقف رتل الدبابات قرب مفرق قنات ولم يعد يتقدّم.

انسحب المقاتلون الى دير مار ليشع في أول بشري، ثم عادوا صباح اليوم التالي الى ثكنة الـ«اس.ك.اس» في محلة المشنقة حدث الجبة، وأصدرت قوات الردع السورية بياناً أعلنت فيه انتهاء العمليات هذا نصه:

إلحاقاً بالبلاغ السابق المذاع في تاريخ ٧٧/٥/١٤ نعلن ما يلي:

أنجزت قوات الردع العربية في القطاع الشمالي تفتيش بلدة بلاّ في الساعة ١٤ بعد ظهر اليوم ١٥ - ٥- ٧٧، حيث لجأ اليها بعض مسبّبي حادث أمس الذي ذهب ضحيته جنديان من قوات الردع العربية وجرح ثلاثة آخرين . وفي أثناء التفتيش تعرّضت القوة داخل البلدة لنار كثيفة من التلال المشرفة على البلدة، مما اضطر قيادة القطاع الى توسيع

رقعة عملياتها لحماية عناصر التفتيش باحتلال كل المرتفعات المشرفة على قريتي بلاّ وبرحليون وسيطرت على المنطقة بشكل كامل.

وفي الساعة ١٨:٤٠، أوقفت النار بصورة شاملة، وتوقّفت القوات في أماكن تمركزها الاخيرة انسجاماً مع مبادىء الحيطة العسكرية، واعتبرت هذه العملية منتهية بوقف النار، وعلى أساس تسليم مسبّبي الحادث جميعهم، وعليه أصبح بإمكان الاهالي العودة الفورية الى قراهم برعاية قوات الردع العربية هناك وحمايتها. فقد أوقف عدد من الاشخاص، والتحقيق جار لمعرفة مسببي الحادث من بينهم وسيطلق سراح الابرياء، كما صودرت كمية من الاسلحة والذخائر».

بعد سقوط بلاّ كان جوزيف فضول، على موعد يوم الاثنين ١٦ ايار ١٩٧٧ مع العقيد تامر الجوني في الهيكلية - طرابلس لمتابعة التنسيق وتثبيت وقف اطلاق النار، لكنّه أوقف وهو في طريقه على حاجز سوري عند مدخل بيت منذر، ثم أطلق سراحه بعدما أبلغهم انه ضابط ارتباط وهو متجه للقاء الجوني، ولكنه أوقف من جديد على حاجز تلال برحليون، حيث أبقوه في سيارته من الثامنة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر. وكانت تُكال اليه الشتائم كلّما تطلّع يميناً او يساراً. وفي الساعة الرابعة وصل الى مرتفعات برحليون ضابط سوري على رأس دورية تضمّ عناصر من المخابرات، وطلب من فضول التوجه معه الى بلاّ.

كانت بلاّ كما وصفها فضول «أشبه بمطبخ كبير، بيوت ما زالت تحترق، العسكر السوري في كلّ مكان، أحدهم كان ينتف دجاجة وآخر يذبح ماعز، وفي مواجهة الكنيسة دخلنا الى صالون منزل (طنوس العنداري) حيث الضباط السوريون، فشاهدت على طاولة أكثر من ثلاثين كيلو من اللحوم كان عنصران يجزّانها لتحضير العشاء، كان الجو مرعباً وعلمت أن هناك بعض الموقوفين من المنطقة، ولكن لم يسمح لي بمشاهدتهم بحجّة أنه لم ينته التحقيق معهم وسينقلونهم الى قيادة الهيكلية طرابلس في اليوم التالي».

أعاد السوريون فضول الى سيارته بعد الاعتذار منه وتوجّه الى حدث الجبة.

مساء الاثنين ١٦ ايار، عقدت قيادة القوات اللبنانية اجتماعاً برئاسة الشيخ بشير الجميل وعرضت الوضع الامني في البلاد خصوصاً الوضع في الشمال ولم يصدر عن الاجتماع أي بيان.

أرسل الشيخ بشير الجميل مسؤولين من غرفة العمليات في القوات اللبنانية الى المنطقة للاطلاع على الوضع ميدانياً فانطلقت من عمليات المجلس الحربي الكتائبي الى حدث الجبة مجموعة ضمّت فادي افرام، فؤاد أبو ناضر، ايلي وازن



مجموعة عمليات المجلس وتضمّ مسعود الأشقر، عباس، فادي افرام، ايلي حبيقة، فؤاد أبو ناضر وأسعد سعيد...

(عباس)، أسعد سعيد، الياس الزايك، كيسو ومسعود الاشقر...

سلكت المجموعة طريق امهز لاسا المنيطرة العاقورة اللقلوق تنورين ضهر الميل حدث الجبة، والتقت في جرد تنورين بفرقة الـ«اس.ك.اس» متوجّهة الى بيروت وتضم آليات ام ١١٣ وجيبات، وسألوا المسؤول عنها شربل الحاج، عمّن يمكنه العودة معهم الى حدث الجبة، فعاد طانيوس نعمة وحنا العتيق ونبيل اسطفان وعبدالله فرح وبشارة زيتوني... مع قياديي المجلس الى أرز تنورين وساروا جميعاً الى حدث الجبة حيث أعادوا تمركزهم مع شباب المنطقة بمواجهة السوريين.

على خط الاتصالات زار دمشق الاثنين ١٦ ايار ١٩٧٧ وفد كتائبي مؤلف من جورج سعاده وأنطوان معربس وكريم بقرادوني، واجتمعوا بكلّ من اللواء حكمت الشهابي واللواء ناجي جميل والعقيد محمد الخولي وعلي المدني، وبحثوا معهم في حوادث الشمال وذيولها، وصرّحت مصادر كتائبية ان المحادثات تركّزت على العلاقات الخاصة التي تربط المسؤولين السوريين وحزب الكتائب وعاد الوفد الى بيروت وانتقل الى بكفيا لاطلاع الشيخ بيار الجميل على نتائج مهمته.

بعد العودة من دمشق، التقى النائب جورج سعاده والدكتور انطوان معربس ومعهم جوزيف فضول العقيد تامر الجوني في الهيكلية طرابلس واتّفقوا على معاودة التنسيق وتثبيت وقف اطلاق النار.

سحب جثث الشهداء

بقي في أرض المعركة عدد من الشهداء من بشري وحصرون وحاول جوزيف فضول سحبهم بواسطة كتائب الكورة، والشيخ فريد حبيب الذي كان يتولى الارتباط بين قوات الردع والجبهة اللبنانية في الكورة، لكنّ القوات السورية رفضت بشكل مطلق تدخل أيّ شخص أو عنصر كتائبي في هذا الأمر، كما ان الصليب الاحمر وسيارات الاسعاف التابعة للمستشفيات منعت من الدخول الى بلاّ ومحيطها، التي تحوّلت منطقة عسكرية سورية، فتدخّلت جمعية المقاصد الاسلامية فرع سير الضنية عارضة المساعدة، واتّصل جوزيف فضول بالشيخ بشير الجميل الذي وافق على ذلك، فقامت سيارتا اسعاف تابعتان للمقاصد بنقل الجثث من أرض المعركة الى بشري وحصرون.



لوسيا العنداري وابنها اميل استشهدا في بلاّ
ونعمة العنداري استشهد في الكوره عام ١٩٧٦

اضافة الى شامل العنداري، استشهد من بلاّ لوسيا العنداري التي أرداها السوريون بالرصاص قرب حائط الكنيسة عندما حاولت السؤال عن ابنها اميل الذي استشهد فجر الأحد ١٥ أيّار ١٩٧٧، أثناء ذهابه لتفقّد خاله الياس العنداري الذي كان يرعى الماشية ولم يعد الى المنزل.

شهداء معركة بلاّ اميل شليطا العنداري مواليد بلاّ ١٩٦٢، لوسيا العنداري (مواليد بلاّ ١٩٤٢)، شامل بطرس العنداري (بلاّ)، كابي يوسف ناصيف كيروز (مواليد بشري ١٩٥٨)، ادمون حنا ابو شكور سكر، ايلي مخايل ابو شكور سكر (بشري)، جوزيف طانيوس فرح مواليد حصرون ١٩٥٧، نبيل السمعاني (حصرون) جوزيف الطويل مواليد حصرون ١٩٥٨.

اعتُقل خلال معركة بلاّ وبعدها عدد كبير من الشباب وتعرّضوا للتعذيب ونُقل قسم منهم الى السجون السورية ومنهم طوني العلم رئيس قسم عبدين الكتائبي وجوزيف شمعون جندي في الجيش اللبناني من عبدين، سجنا في المزة سبعة أشهر وتوفيا بعد شهرين من اطلاقهما نتيجة اصابتهما بمرض عضال.

«بعد جلاء المعركة تبيّن أن أربعة عناصر من الكتائب اللبنانية اثنين من بشري واثنين من حصرون ما زالوا مفقودين. وفي اليوم التالي الاثنين ١٦ ايار وصلت الى بشري سيارة اسعاف وفي داخلها جثّتان قيل انهما جثتا العنصرين المفقودين من بشري ادمون حنا ابو شكور سكر، ايلي مخايل ابو شكور سكّر، فأقيمت الصلاة لراحة نفسيهما في كنيسة السيدة ثم تمّ دفنهما بسرعة في مقبرة «سيدة النور» العامة. ولكن المذهل والمثير للغرابة أنّه بعد يومين على دفنهما وبعد الكشف عليهما تبيّن أنهما جثتان لجنديين سوريين. فانتشلتا من المقبرة بعد ان دبّ فيهما الاهتراء وسلمتا الى ضباط الارتباط ليوصلوهما الى قيادة الوحدات السورية المتواجدة على مفرق عين عكرين.

في حصرون أيضاً وقع الالتباس نفسه ودفنت جثتان زُعم أنهما جثتا العنصرين المفقودين من القرية، وبعد التحقيق والتدقيق تبيّن انهما جثتا جنديين سوريين، فانتشلتا من المدافن وسلّمتا الى ضباط الارتباط وأعيدتا الى القيادة السورية، وبقي مصير العناصر الأربعة مجهولاً رغم الاشاعات التي كانت تؤكّد بقاءهم على قيد الحياة، ولكن بعد مدّة طويلة من الانتظار والتساؤل والتحري، تبيّن أنهم قتلوا وضاعت جثثهم مع جثث الجيش السوري».[١]

بعد معركة بلاّ، زار المطران نصرالله صفير يرافقه الخوري أنطون العنداري القرية وتفقّدا الكنيسة وجمعا منها السجلاّت والكؤوس وثياب الكهنة ونقلها الخوري العنداري الى رعية شكّا حيث يخدم.



الشهيد ادمون أبو شكّور سكّر

الشهيد إيلي أبو شكّور سكّر

الشهيد جوزيف الطويل

طوني العلم وجوزيف شمعون
سجنا في المزة وتوفيا بعد عودتهما بفترة قصيرة

شهيدة وقسطنطين العنداري اعتقلا في الكورة وما زال مصيرهما مجهولاً

(١) (بشري ولبنان ١٩٧٥-١٩٨٢) في وجهيها السياسي والعسكري - انطوان جبرايل طوق

البندقية المذهبة

كانت فرقة الـ«اس.ك.اس» تسيّر كل يوم دورية مسائية من بشري حتى مغر الأحول أوّل قرى القضاء منعا للتجاوزات ولأعمال السلب التي كانت تحصل في تلك الفترة.


طانيوس نعمه وشربل الحاج قبل المعركة

قبل معركة بلاّ بنحو أسبوعين، وعند وصول دورية مؤلفة من آليتين يفصل بينهما نحو ٥٠٠ متر الى مفرق طورزا، شاهد طانيوس نعمة آمر الدورية الذي كان في الجيب الأول موكب سيارات أثار ريبته، فقطع عليه الطريق وأوقفه وترجل الشباب مستنفرين، فحصل شهر سلاح متبادل وتمترس شباب الدورية الى جانبي الطريق ونادى نعمة عبر الجهاز حنا العتيق الذي كان يستقل الجيب الثاني قائلاً «انتبه وتحضّر اصطدمنا بسيارات مسلحة وقد يحصل اشتباك». أطلق نعمة قذيفة لانشر من بندقيته وفتح جورج مدور النار فوق السيارات من رشاش ١٢.٧ ونزل الشباب بوضع قتالي. فاستسلم ركاب الموكب الذي تبيّن أنّه يضم ضباطاً سوريين برتب عالية هم قادة قوات الردع في الشمال ويتجهون للقاء الرئيس سليمان فرنجية.

نزع عناصر الدورية الكتائبية سلاح الضباط السوريين وأوقفوهم وعندما تأكّدوا من هوياتهم ورتبهم أعادوا سلاحهم وتركوهم في سبيلهم.

أكملت الدورية الكتائبية الى مقر الـ«اس.ك.اس» في أوتيل بالاس في بشري.

في اليوم التالي، استدعى قائد ثكنة الـ«اس.ك.اس» ريمون اصايان عناصر الدورية الى بيروت وأبلغهم أنه خلال الإشكال الذي حصل مع الضباط السوريين، فقد رشاش مذهّب ثمين جداً كُتب عليه «هدية من سيادة الرئيس حافظ الاسد الى بطل الجولان»، وهو من طراز كلاشينكوف. أنكر الجميع علمهم بوجود الرشاش، فقال لهم اصايان «لن نعاقب أحداً وبدل الرشاش نعطيكم عشرين ولكن يجب أن نحصل على هذه البندقية بأي ثمن». نفى عناصر الدورية أي علم لهم بمكان البندقية، فيما أصر السوريون على استعادتها لأنها تعني كثيراً للضابط الذي فقدها.

فرنسوا نكد

تطلّب الأمر تدخل الشيخ بشير الجميل الذي اجتمع بعناصر الدورية وأبلغهم أنه يريد إعادة قطعة السلاح مهما كلّف الأمر، فجدّد الجميع نفيهم أي علم بوجودها.

بعد نحو سنة، اعترف فرنسوا نكد أحد شباب دورية الـ«اس.ك.اس» لحنا العتيق أثناء دورة تدريبية أنه هو من أخفى الرشاش المذهّب، ورماه تحت الطريق ليلة الحادث ثم استعاده في اليوم التالي، واعتبره غنيمة حرب ولم يعترف بذلك رغم كلّ التحقيقات ورغم طلب بشير، وأنه باعه لأنه كان بحاجة الى المال، فأنّبه الحنون لانه عرّض الجميع للمساءلة والتحقيق ولم يعترف بذلك حتى لبشير الجميل.


حنا العتيق عام ١٩٧٧

لم يعلم أحد ما اذا كان لما حصل مع الضباط السوريين علاقة بمعركة بلاّ واتهام الـ«اس.ك.اس» بخطف المواطن قزما العنداري، ولماذا طلبت قيادة الكتائب سحب فرقة الـ«اس.ك.اس» الى بيروت بعد معركة بلاّ مباشرة، علماً ان شباب الـ«اس.ك.اس» وخصوصاً شباب هذه الدورية، أصبحوا ملاحقين ولم يعد بامكانهم المرور على الحواجز السورية التي كانت منتشرة في كل المناطق الشرقية لبيروت.

بطرس يقع في التجربة

بعد انتهاء معركة بلاّ عاد والدي بطرس الشويفاتي الى بيته في برحليون، وقد رجته والدتي بأن يترك المنزل ريثما تنجلي الاوضاع لكنه رفض، فهو لم يتوقّع ان تداهم القوات السورية القرية للقبض عليه.

صباح الاثنين ١٦ ايار ١٩٧٧ طوّقت القوات السورية منزل بطرس بعشرات الجنود والآليات، ودخل ضابط برفقة عناصر مدججين بالسلاح يلبسون الخوذات وعلى وجوههم علامات الغضب.

سأل الضابط بحزم «من هو بطرس الشويفاتي؟» فأجابه والدي «نعم ماذا تريد؟» فقال له: «تفضّل معنا، نريد أن نستوضحك عن بعض الامور ومن ثم تعود الى عائلتك».

اقتادوه الى احدى الآليات وهم يصوّبون أسلحتهم اليه، كما اعتقلوا ابن اخته بيار العنداري الذي جاء للاطمئنان علينا بعد المعركة من قرية المغر سيراً على الاقدام.

أجلسوا والدي وبيار في إحدى الشاحنات، وانطلقت الآليات السورية تلاحقها عيوننا الخائفة القلقة، وعندما ظهرت على طريق الارز فوق برحليون أدركنا ان وجهة سيرها بلاّ.

وضعوا بطرس، مع عدد آخر من الموقوفين من قرى المنطقة بينهم ريمون نعمة الشويفاتي وشربل يوسف الشويفاتي من بلاّ، في منزل طنوس العنداري قرب كنيسة السيدة شفيعة القرية، وما لبثوا أن نقلوا بطرس الى مكان آخر قرب منزل يوسف العنداري المجاور، وسدّدوا له الضربة الاولى عندما أمسكه جندي من الوحدات الخاصة من رأسه ونطحه بخوذته فاصطدم حرفها الحديدي المسنّن بأنفه قبل اصطدامها برأسه، كُسر أنفه فنزف مباشرة وازرقّ وجهه وتورمت عيناه، ثم انهالوا عليه بالضرب وبكلّ الأدوات الممكنة، بتهمة قتله ضباطاً في الجيش السوري أثناء المعركة. وتحت التعذيب والضرب بالعصي والجلد بالسياط، بدأوا يسألونه عن منازل الكتائبيين في المنطقة والقرى المجاورة، فكان يجيب بعبارة واحدة «لا أعرف» ما جعل فصيلة من القوات الخاصة بكاملها تتناوب عليه مستخدمة كل أنواع التعذيب طوال ذلك اليوم فيما كان باقي المعتقلين مكبّلين في غرفة واحدة يتعرّضون للكمات وصفعات من وقت الى آخر.

استمرّ الوضع على هذا المنوال حتى ساعات المساء، فأعاد العناصر بطرس الى الغرفة حيث باقي المعتقلين وتركوه أرضاً يتخبّط بأوجاعه ودمائه دون وثاق لأنهم اعتبروه غير قادر على الحراك بعد كلّ ما فعلوه به، ثم قالوا له حاملين بندقية وحبلاً وخنجراً: «غداً سنسلخ جلدك وأنت حي ونعلّقك في ساحة الكنيسة لتتفرّج عليك كلّ المنطقة، فكيف تحب ان تموت؟» أجابهم : «أنا بين أيديكم اقتلوني كما تريدون»، لكن بطرس قال في نفسه: «إذا بقيت حياً حتى يوم غد افعلوا بي ما تشاؤون..»

قال لي بيار العنداري ابن عمتي الذي اعتقل من منزلنا في برحليون مع والدي: «ان خالي كان شبه جثة قدماه متورمتان بشكل لا يوصف ووجهه أسود مليء بالدماء والازرقاق حتى انني كدت لا أعرفه الا من صوته».

بعد خروج عناصر الوحدة السورية من الغرفة وبعد غياب الشمس سأل بطرس رفاقه المعتقلين: «أتهربون اذا فككت قيودكم؟؟» لكن أحداً لم يجب، وعندما فهم أنهم لا يتجرأون على خوض هذه المخاطرة، إتّخذ قراره بالفرار ولو الى المجهول قائلاً في نفسه: «اما أنجح في الهرب وأموت في مكان ما في أحراج المنطقة وإما يشاهدونني ويطلقون النار علي فأموت وأرتاح من الأوجاع والعذاب».

أعاد السؤال على المعتقلين من جديد لكنهم رفضوا الهرب. وكان بطرس يأمل في أن يهرب أحد معه ليحمله الى مسافة تجعله بمأمن من الخطر. رسم اشارة الصليب وقال لابن اخته بيار: «انا سأهرب وقد لا أبقى على قيد الحياة، أوصيك بالانتباه الى امرأة خالك والاولاد.»

زحف بطرس على صدره لانه لم يكن يستطيع السير على قدميه ووصل الى نافذة الغرفة، فاسترق السمع جيداً ولما لم يلحظ حركة قريبة، لأن الجنود كانوا يتناولون طعام العشاء، خرج من النافذة مستجيراً بسيدة ديرونا التي كانت رفيقته الدائمة، وبدأ يزحف على بطنه باتجاه بلدة عبدين ورجليه مثنيتان الى الخلف.

بعد نحو ساعة ونصف على هروبه جاء الجنود لتفقّد المعتقلين فلم يجدوا بطرس، فجنَ جنونهم وأصيبوا بهستيريا وانتقموا من المعتقلين، فانهالوا عليهم بالضرب والشتائم لانهم لم يبلغوهم عن هرب بطرس. ثم انتشروا في محيط المنزل وفتّشوا في الحقول القريبة وفي كل منازل بلاّ مستعملين الأضواء الكاشفة، فهم كانوا متيقنين ان حاله لا تسمح له بالابتعاد كثيراً، لكن الليل الدامس والضباب الكثيف أعانا بطرس الذي ربح ساعات طويلة مكّنته من الابتعاد قليلاً عن مكان الخطر.

سار بطرس في الاتجاه المعاكس لما اعتقده الجنود الذين ظنوا انه سيتّجه صوب قرية بيت منذر حيث النقطة الأخيرة للقوات السورية ويصل منها الى حدث الجبة حيث يكون بأمان، أو أنه سيهرب باتجاه برحليون حيث اعتقلوه، لكنه فضّل وجهة عبدين بلدة والدته مريم العلم لأن الطريق أسهل على شخص في مثل حاله لا يستطيع السير على قدميه.


بطرس الشويفاتي قبل الاعتقال


بطرس الشويفاتي العام ٢٠٠٧

بقي بطرس يزحف على بطنه حتى انبلاج الفجر، فدخل في هيشة كثيفة ونام فيها طيلة النهار، فيما انتشر الجيش السوري يجوب الحقول والبساتين ويفتش المنازل مرات متتالية على غير هدى.

طوّقت القوات السورية بلدة برحليون ودخلها عدد كبير من الجنود والآليات للتفتيش عن بطرس، وداهمت منزلنا حيث كنا أنا (٩ سنوات)، شقيقتي منى (١١ سنة) وشقيقي جاك (٧ سنوات) مع والدتي وخالتي جوزفين يونان طراد، ومسعد الخوري موسى طراد الذي بقي الى جانبنا طيلة ايام المحنة، بينما كان أخي فوزي (١٤ سنة) قد ابتعد عن المنزل وأصبح ينام في أطراف برحليون مع شباب ورجال من القرية خوفاً من الانتقام منهم بسبب انتمائهم الى حزب الكتائب.

كانت والدتي قلقة جداً وغاضبة في آن، ولم نكن نعرف أي شيء عن مصير والدي ولم نعرف سبب هذه المداهمات وسبب هذا الاستنفار السوري الجديد، ودخول برحليون وتفتيش منازلها. وظنّت والدتي أنهم يريدون اعتقال شقيقي فوزي. كان الغضب يتطاير من عيني الضابط السوري الذي اعتقل والدي قبل يوم ويصرّ أسنانه وبينها سنّ ذهبي ويصرخ في وجه والدتي وخالتي. «وينو بطرس؟» فأجابته والدتي بغضب وقوة ورباطة جأش لم أتوقّعها منها «أنت أخذته وتسألني الآن عنه؟ يجب ان تعرف انت اين هو. ماذا فعلتم به؟» (ظنت والدتي أنهم قتلوه وعادوا ليسألوا عنه وسرعان ما تحوّلت قوتها الى ضعف وكادت تنهار). وعندها صرخ الضابط السوري بغيظ وغضب «الجبان النذل الخسيس هرب». فأبرقت عينا خالتي جوزفين وقالت للجنود «الهريبة تلتين المراجل»، فدفعها الضابط بقوة وبدأ الجنود بتفتيش المنزل وراحوا يقلبون الأثاث بهدف التخريب والانتقام لهرب بطرس مع علمهم أنهم لن يجدوه. ولم يسلم حتى البراد فرموا كل ما فيه خارجاً وبعثروا كل محتويات الخزانات بينما كنا نجلس جميعنا على إحدى الكنبات بجانب والدتي وخالتي. وبعد نحو ساعة من التفتيش والتخريب خرج الجنود من المنزل خائبين.

في هذه الأثناء، كان مسعد يتنهّد ويضرب عصاه برفق على الأرض وقال لوالدتي بعد خروج السوريين: «بطرس بخير فعيونهم وغضبهم يؤكّدان أنّه هرب... وإذا هرب لا تخافوا عليه فهو يعرف الى أين سيهرب». بعد نحو ساعتين من خروج الجنود، عاد الى منزلنا ضابطان سوريان من دون سلاح وتصرّفا بلياقة وتهذيب واعتذرا لوالدتي عمّا فعله العسكر، ومكثا معنا نحو نصف ساعة علّهما يعلمان منّا أين هو بطرس على قاعدة خذوا أسرارهم من صغارهم وقال أحدهما: «بكرا بيرجع البابا لا تخافوا هوي قريب من هون مش بعيد ؟؟»

فأجبته: «أيمتى رح تردّوه». وبعد نحو ساعة خرج الضابطان من دون الحصول على نتيجة.

تكرّر دخول القوات السورية الى منزلنا لثلاثة أيام متتالية بهدف الانتقام لهرب بطرس أو الحصول على معلومات ترشدهم اليه. ولما لم يوفّقوا بدأوا يبحثون عن أخي فوزي لاعتقاله على أمل أن يسلم والدي نفسه مقابل إطلاقه.

بعد يومين على هربه من بلاّ وصل بطرس الى بلدة عبدين المجاورة حيث له أقرباء وأصدقاء، فتمكّن بمساعدة خاله يوسف العلم وابن خاله سعد العلم من الاختباء في حرج مار بطرس وليس في منزل من منازل القرية خوفاً من وشاية أو عملية دهم تقوم بها القوات السورية. وكان إبن خاله بدوي حنا العلم يتردّد عليه باستمرار ويؤمّن له الأكل ويحمله من مكان الى آخر لحمايته، كما قام كميل العلم وهو ممرّض بإعطائه بعض الادوية وحقنه بمضادات للالتهابات...

فجر اليوم التالي، أي اليوم الثالث لهربه سمع بطرس هدير آليات عسكرية سورية قريبة فدخل في هيشة كبيرة. توقفت الآليات أمام كنيسة مار بطرس القديمة في أطراف عبدين وانتشر الجنود في الحرج للبحث عنه، فقطع أنفاسه ولم يتمكّنوا بعد ساعات من البحث من رؤيته، ويقول بطرس «أنهم داروا أكثر من مرة حول الهيشة التي كان يختبىء فيها وهو متيّقن ان العذراء التي كانت رفيقته أعمت بصيرتهم عنه فعادوا عند الظهيرة الى آلياتهم وانطلقوا من دون نتيجة».

(تردّد بعد فترة في برحليون أن أحد الجنود السوريين روى انه شاهد بطرس أثناء التفتيش عنه في عبدين، لكنّه تجاهله وشعر بحاله وبما قد يواجه ان أعيد اعتقاله من جديد).

عندها، أدرك بطرس ان هذا المكان هو موضع شبهة وقد يكررون التفتيش فيه فعرض على خاله الذي جاء لتفقّده ليلاً ان ينقله بإتجاه محلة شيرا في برحليون والتي يقطنها رعيان الماشية وهم من أصدقاء بطرس. حمله خاله تحت جنح الظلام وأوصله الى إحدى المغاور قرب دير مار قوزما ودميانوس الذي كان مقرّاً للبطريرك لوقا البنهراني في القرن الثاني عشر.

في صباح اليوم التالي، سمع بطرس صوت أحد أصدقائه الرعيان (سركيس قرياقوس خليفة) فناداه. تبع سركيس الصوت ودخل المغارة ولم يتعرّف على بطرس الا من صوته لان مظهره كان يرثى له وسأله: كيف أستطيع مساعدتك؟ فأجابه بطرس برباطة جأش: «فقط أعلمهم اذا مت انني هنا ليدفنوني».

كان سركيس شهماً ومحباً وصاحب نخوة، فأمّن لبطرس حليباً وطعاماً وانطلق الى برحليون في المساء. ومن داخل دكان مطانيوس متلج كرم المواجه لمنزلنا سمعت والدتي صوتاً ينادي «يا أم فوزي». وعندما اطلّت قال لها سركيس: «أريد ان أكلمك لامر ضروري». فردّت: «انتظر سآتي انا اليك». فلم ترد ان يدخل الى منزلنا خوفاً من أن يكون مراقباً، ونزلت الى الدكان بحجة شراء بعض الأغراض، فقال لها سركيس: «لقد وجدت بطرس في شيرا ووضعه دقيق ويجب أن ينقل الى المستشفى، وأحلفك بأولادك ألاّ تقولي لأحد بما أخبرتك له ولو بعد مئة سنة». فردّت والدتي: «إيّاك انت يا سركيس ان تُخبر أحداً لانّك ستقضي على نفسك وعلى بطرس». واتّفقا على أن تلاقيه الى شيرا الساعة الثالثة فجراً. فقامت ليلاً تحت جنح الظلام، وكانت خالتي جوزفين طراد تبيت عندنا، وانطلقت الى شيرا في طريق وعرة. وبعد نحو نصف ساعة، وصلت الى المغارة حيث لاقاها سركيس وعندما أضاءت المصباح على وجه بطرس جنّ جنونها فأعطته بعض الأدوية المضادة للالتهابات التي حملتها معها، ثم عادت مسرعة الى برحليون ووصلت مع انبلاج الفجر قاصدة فوراً منزل جدي الياس يزبك. وعندما اخبرت خالي قزحيا ما حلّ ببطرس، انطلق الى شيرا على ظهر بغل، ولمّا وصل الى المكان ذُهل لحال بطرس، ثم اتفق مع عكرمي خليفة وهو صديق والدي وأحد الرعاة الذين يسكنون شيرا على أن ينقل بطرس على ظهر البغل الى بلدة بنهران في الكورة ويلاقيه خالي بسيارته لنقله من هناك الى المستشفى.

سارت الخطة كما رسمها خالي قزحيا الذي كان عليه أن يجد حجة للخروج بسيارته من برحليون، فاتفق مع جدتي ساره طراد على ان تتظاهر بالمرض الشديد ليتمكّن من اقناع الجيش السوري بالسماح له بالمرور على الحواجز التي انتشرت بكثافة في المنطقة. مع وصول قزحيا الى الحاجز كانت جدتي تئن وتتوجّع، فكان الجنود يفتشون السيارة بدقة ثم يسمحون لها بالمرور رأفة بالعجوز المتألمة... وبذلك تمكّن خالي من اجتياز الحواجز والوصول الى بلدة كوسبا فوضع جدتي عند أحد أصدقائه هو اشبينه الياس فرح، وانطلق بسيارته في طريق خال من الحواجز عبر خان بزيزا

بحبوش الى بلدة بنهران الشيعية في قضاء الكورة حيث كان عكرمي وبطرس بانتظاره. وضع بطرس في سيارته وعاد عكرمي الى شيرا وانطلق قزحيا سالكاً طريق بزيزا، دير بلا، بساتين العصي، بيت شلالا، دوما، بشعلة، ترتج، جاج الخالية من الوجود السوري نزولاً باتجاه جبيل، ولتفادي حاجزاً للقوات السورية على جسر المعاملتين قرب كازينو لبنان، سلك خالي طريقاً في وسط كسروان وصولاً الى مستشفى السيدة في انطلياس حيث كانت عمتي الراهبة فكتوريا الشويفاتي التي تنتمي الى راهبات الصليب تنتظره مع زميلاتها. فأمّنت لبطرس سيارة اسعاف نقلته الى مستشفى مار يوسف الدورة، فدخل باسم مستعار هو «نصّار نصّار» لأنّ القوات السورية كانت تنتشر يومها في بيروت وضواحيها.

لم تتوقّف المخابرات السورية عن زيارة برحليون لمحاولة أخذ أيّ معلومة عن بطرس أو عن مكان وجود فوزي، ولكن من دون جدوى لأن أبناء برحليون أثبتوا أنهم شرفاء وأوفياء كما هو معروف عنهم ويكنّون لوالدي الاحترام والصداقة.

بعدما اطمأنت والدتي الى ان بطرس أصبح في مكان آمن، أعطتنا بعض الحرية في زيارة الجيران والنزول الى الساحة. وكان عناصر الجيش السوري ومخابراته يتردّدون على الدكانين في وسط برحليون (دكّان مطانيوس متلج كرم ودكان المختار قرياقوس طراد) بهدف شراء بعض المعلّبات والطعام. وفي إحدى المرات، سألوني فيما كنت ألعب مع طوني كرم: أين هو فوزي الشويفاتي؟» فأجبتهم: «ليس من عمرنا لا نعرف أين هو». ثم سألوا أكثر من شخص في الساحة، لكنهم كانوا يواجَهون بكلمة واحدة: «لا نعرف». حتى حفظت هذه الكلمة عن ظهر قلب وأصبحت شعاراً لنا لكثرة ما ردّدت والدتي على مسامعنا: «كلمة ما بعرف بتنجّي من الموت».

بعد ذهاب العناصر الغريبة انطلقت مع طوني كرم الى جنوب برحليون وكنت أعلم أن فوزي هناك، فتفاجأ بوجودي وخاف من أن يكون أحد يلاحقني ولمّا اطمأن. اقترب وسألني ما بك؟ فأجبته: «السوريون يسألون عنك». فردّ بتهكّم: «إيه بعرف»، وأمسكني من رقبتي بقوة وحزم وقال وهو يصرّ أسنانه: «إياك أن تنزل وحدك الى الساحة، إياك أن تترك أمك، اختفي من الساحة نهائياً أفهمت؟». أدركت حينها مدى الخطر من ضغط يده على رقبتي فعدت أجرجر أذيال الخوف بعدما كنت أظن أنني ألعب دور البطل.


فوزي الشويفاتي


قبل استشهاده بأيام

كانت المخابرات السورية تراقب بيتنا وتحرّكات والدتي باستمرار، فقرّر فوزي الفرار الى منطقة كسروان بعدما أمّنت عمتي الراهبة غرفة له في دير يسوع الملك. فسار من برحليون عبر وادي الشنيف السحيق الى مزرعة بني صعب وأكمل بإتجاه بيت كسّاب واستقلّ سيارة من هناك الى دير يسوع الملك.

هكذا تفرّقت العائلة أنا وأختي منى وأخي جاك مع والدتي في برحليون، وأخي فوزي في دير يسوع الملك، ووالدي يعالج متخفياً في مستشفى مار يوسف الدورة، حيث خضع لعمليات جراحية عدة وبقي نحو سنة لا يستطيع الوقوف على قدميه، قضى منها ثلاثة أشهر في السرير، وتسعة أشهر يتنقل على عكازين، نتيجة ما تعرض له من تعذيب.

لم تجتمع العائلة الا بعد حرب المئة يوم عام ١٩٧٨، بعد خروج الجيش السوري من المنطقة الشرقية لبيروت، فتركنا منزلنا في برحليون بسيارة حنا الياس كرم، والتحقنا بوالدي وشقيقي فوزي في دير يسوع الملك الذي كان يأوي بعض مهجري الدامور، فجمعتنا المعاناة المشتركة من الجنوب الى الشمال.

في تلك الفترة كان أخي فوزي، الى جانب متابعة دروسه في ثانوية حارة صخر، يتردّد على ثكنة وحدات الدفاع أدونيس التي كانت تُعتبر من نخبة الوحدات الخاصة في القوات اللبنانية وبدأ يتدرّب بإحتراف ويشارك في معظم المعارك والمهمات العسكرية، حتى تاريخ استشهاده في ١٢ حزيران العام ١٩٨٥ في بلدة درب السيم شرق صيدا.

حوادث الشمال في بلاغ ثالث لـ"قوة الردع"

صدر مساء امس عن قيادة "قوة الردع العربية" البلاغ الآتي:

"الحاقاً ببلاغنا السابق الصادر في تاريخ ١٤ - ٥ - ٧٧ نعلن ما يأتي:

باشرت قوة الردع العربية في القطاع الشمالي بتفتيش قرية بلا في الساعة ١٤ بعد ظهر اليوم ١٥ - ٥ - ٧٧ حيث لجأ اليها بعض مسببي حادث امس الذي ذهب ضحيته عنصران من قوة الردع العربية وجرح ٣ آخرون. وفي اثناء التفتيش تعرضت القوة داخل القرية لنار كثيفة من المنازل المشرفة على البلدة مما اضطر قيادة القطاع الى توسيع رقعة عملياتها لحماية عناصر التفتيش باحتلال كل المرتفعات المشرفة على قريتي بلا وبرحليون، وسيطرت على المنطقة في شكل كامل.

وفي الساعة ١٨،٤٠ اوقفت النار في صورة كاملة، واوقفت القوات

- التتمة في الصفحة ١٠ -

"الردع" يتعرض لنار مكمن

مقتل عنصرين واصابة ثالث وتطويق قرية بلا في بشري

اجتماع لقيادة "القوات اللبنانية"

مساء امس عقدت قيادة "القوات اللبنانية" اجتماعاً برئاسة الشيخ بشير الجميل وعرضت الوضع الامني في البلاد خصوصاً الوضع في الشمال.

ولم يصدر عن الاجتماع اي بيان.

جريدة النهار ١٦ ايار ١٩٧٧

سافر وفد الكتائب الى دمشق

الجميل: الحوادث العابرة لا تؤثر في التعاون اللبناني - السوري

"الجبهة اللبنانية" في بكركي اليوم

جريدة النهار الثلاثاء ١٧ ايار ص ١

الوفد الكتائبي الى دمشق عاد متمنتاً والجانب السوري

بعد معركة بلاّ أصدر الشيخ بشير الجميل مذكرة تنويه بضابط مغاوير الـSKS طانيوس نعمة للدور الذي قام به في معركة بلاّ.

الكتائب اللبنانية
حزب ديمقراطي اجتماعي لبناني



في خدمة لبنان

المجلس الحربي

المكتب الاداري

بيروت في ٢ / ٦ / ١٩٧٧

الرقم ٣٠٤ /أ.س.

لحضرة المغوار طانيوس نعمه المحترم

الموضوع : تنويه وشكـــر

تحية كتائبية ،

ان الجهود التي بذلتموها اثناء معارك الشمال خلال شهر ايار ١٩٧٧ ، برهنت عن الشجاعة والتضحية والاندفاع التي تتحلى بشخص كرس نفسه من اجل مصلحة الوطن والحزب.

واننا بدورنا لا يسعنا الآ ان ننوه بالاعمال البطولية والوطنية التي قمت بها ونقدم الشكر والتقدير لكم ، وهذا قليل بشخص نذر نفسه للوطن وللخدمة العامة ، وبالتالـــي نطلب منكم الاستمرار في التضحية والعمل من اجل مصلحة الحزب والوطن الذى يفتخـــر بأمثالكم .

عشتم للوطن

يحيا لبنان

رئيس المجلس الحربي

بشير الجميل

المجلس الحربي

نسخة الى :

- مفوض الشرطة العام : لتدوين هذا التنويه على اضبارة صاحب العلاقة .



طانيوس نعمه عام ١٩٧٧



طانيوس نعمه بعد ٣٢ سنة

الفياضية

أمعنت المصالح السياسية والتجاذبات الداخلية والاقليمية في تعطيل دور الجيش اللبناني في أكثر من مناسبة، وهو الذي يضم جنوداً وضباطاً ابطالاً يحملون الكرامة والعنفوان الوطني ولا يساومون على سيادة وحرية واستقلال لبنان، فشلّت قدرات الجيش وتأثرت معنويات أفراده وغُلب على امرهم في أحيان كثيرة، فاضطروا الى التصرف عكس ما يفكّرون رغم ان قسماً كبيراً من ضباط وجنود الجيش تمكّنوا من إبراز قدراتهم وتجسيد ما يؤمنون به كل في موقعه.



السادات في اسرائيل

في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧، قام الرئيس المصري أنور السادات بزيارة الى القدس فانقلبت التوازنات السياسية والعسكرية في لبنان رأساً على عقب، وانضمّت سورية إلى رافضي تنفيذ اتفاق القاهرة وانفتحت على المقاومة الفلسطينية والأحزاب اليسارية اللبنانية لتصويب معادلة أخلّت بها مفاجأة الرئيس المصري، ما شكّل انقلاباً في التعاطي السوري مع الأفرقاء اللبنانيين، فأصبحت دمشق حليفة الحركة الوطنية التي اعتبرت زيارة السادات لاسرائيل خيانة عظمى للقضية الفلسطينية وللحقوق العربية، فيما اعتبرت الجبهة اللبنانية التقارب بين القاهرة وتل ابيب فرصة مهمة لإنهاء الصراع العربي- الإسرائيلي الذي انعكس بشكل سلبي على لبنان. هذا المشهد الاقليمي انعكس على الداخل اللبناني معارك دموية بين السوريين والجبهة اللبنانية، فبات الطرفان وجهاً لوجه في جولة جديدة من عنف مدمّر.

جيشان ومعركة

في ٧ شباط ١٩٧٨ نصب السوريون حاجز تفتيش على مفرق الريحانية في الفياضية أمام ثكنة مغاوير الأغرار التي كانت بقيادة النقيب سمير الأشقر، وتأخذ من أحد مباني المدرسة الحربية جهة مار تقلا مقراً لها.



النقيب سمير الاشقر

بدأ الاشكال بعدما تفاجأت مجموعة من الجنود الأغرار كانت عائدة من مهمة تدريبية بحاجز للجيش السوري على مدخل الثكنة، أوقف عناصره العسكريين اللبنانيين وأخضعوهم للتفتيش. أطلق السوريون على جنود الاغرار اسم فرقة القرعان لأنهم كانوا كلهم حليقي الرأس بسبب خضوعهم لدورة مغاوير كانوا في بدايتها.

أثار توقيف الجنود اللبنانيين على الحاجز السوري غضب النقيْب سمير الاشقر الذي أرسل أحد مساعديه ومجموعة من الجنود للطلب من عناصر الحاجز رفعه فوراً لأنه يشكّل تحدياً لعناصر الثكنة، وهو بالتالي في غير محلّه ولا لزوم لوجوده. رفض الضابط السوري ازالة الحاجز وتطوّر التلاسن بين الطرفين الى تبادل لاطلاق النار واشتباكات انتهت بسقوط قتلى وجرحى. في غضون ذلك كانت قافلة عسكرية سورية مؤلفة من ثلاث شاحنات محمّلة بالجنود تمرّ على الطريق أمام ثكنة الفياضية، بادر عناصرها الى اطلاق النار على

جنود المجموعة ١١ في الجيش اللبناني والذين تمركزوا في قناة للمياه ومنهم ط .ابو ملهب وج. فرنسيس وط. فرحة وي. بدران. وم. مخلوف وأ. رزق وم. رزق ... وع. مطر الذي أفرغ بعدما أصيب في قدمه كل رصاصات رشاشه الماغ في الشاحنات السورية من مسافة نحو عشرة أمتار ما ادى الى سقوط عدد كبير من الجنود بين قتيل وجريح، ثم طوّقت مجموعات من الجيش المراكز السورية في بلدة الفياضية حيث نادي الرتباء اليوم.

كان السوريون يقيمون في خيم كبيرة هربوا منها بإتجاه الريحانية، ويقول أحد الجنود: «استعملنا سلاح الجيش السوري بعدما استولينا عليه كما تواجهنا بالسلاح الأبيض في داخل الخيم واستخدمت الرفوش والمعاول».

النقيب أشقر يدرب جنود على مدفع هاون



منير طربيه رئيس الأركان

بعد الاستيلاء على أسلحة الجنود السوريين، تمّ تسليمها الى ضابط المخابرات النقيب جوزيف عساف مع هويات القتلى، لكن العميد انطوان بركات قائد الثكنة أصدر أمراً بإعادة الأسلحة المصادرة الى الجيش السوري..

أدت مواجهات اليوم الاول الى سقوط نحو ٥٠ قتيلا وجريحاً للقوات السورية، وضعوا في بستان قرب مطعم «ديوان الشير».

ويروي وزير الدفاع اللبناني آنذاك فؤاد بطرس في مذكراته: «صباح السابع من شباط (فبراير) ١٩٧٨، دخلت والرئيس سركيس إلى مكتبه بعد انتهاء مراسم تسلم أوراق اعتماد سفير فنزويلا، وما هي إلا لحظات حتى دخل أحد مساعدي الرئيس وأبلغنا خبر وقوع حادث إطلاق نار بين قوات الردع العربية وعناصر ثكنة الفياضية في الجيش اللبناني. اتّصلت على الفور برئيس الأركان (منير طربيه) وأمرت بوقف فوري وصارم لإطلاق النار، وعندما بلغتني حصيلة الاشتباكات وجدتها ثقيلة ومثيرة للقلق: أربعة عشر قتيلاً وثمانية وعشرين جريحاً سورياً، وجريح لبناني واحد. اهتممت بوضع الجرحى السوريين بإرسال عشرة منهم إلى المستشفى العسكري اللبناني. وأمضيت الليل إلى جانب الرئيس سركيس ومستشاريه نبحث في سبل تهدئة الأوضاع وتجنّب التصعيد، فاتّصلت مساءً بنظيري السوري مصطفى طلاس، واتصل رئيس الجمهورية بنظيره حافظ الأسد، وكان جواب الأخير هادئاً لا بل



أغرار المغاوير في الفياضية عام ١٩٧٨

مطمئناً: «لا تقلق، هذه حادثة يمكن أن تقع بين جيشين، وعلى كل حال فالجنود السوريون هم أبناؤك كالجنود اللبنانيين، إعمل ما يطيب لك». وبدا لنا أنه كان لا يزال يجهل فداحة الخسائر في صفوف جيشه»[1].

في المقابل، روى قائد قوات الردع العربية اللواء سامي الخطيب في كتابه «في عين الحدث خمسة وأربعون عاماً لأجل لبنان» ص ٤٥٢-٤٥٣: «صباحاً، اتصل بي نائب رئيس الأركان للعمليات وأعلمني بأنّ قوات الردع العربية تقيم حاجزاً أمنياً قرب مطعم قمر في الفياضية على بعد حوالي ٦٠-٧٠ متراً عن مدخل ثكنة شكري غانم (الشمالي - الشرقي)، وهو مدخل لتجمّع بيوت الضباط ولمستوصف الحامية، فأجبت محدّثي بأنني سأزيله خلال أقل من ساعة، وسأعمل في اليوم التالي مباشرة على حلّ هذا الاشكال بصورة نهائية لأني اعتقد أن ليس هناك سوء نية على الاطلاق، ومنظّم هذه الحواجز في قوات الردع لم ينتبه حكماً لمداخل الثكنات. وهاتفت اللواء علي أصلان، لكن لم أستطع أن أتحدّث معه الا بعد نصف ساعة بسبب انشغاله، وقبل أن أتكلم، بادرني هو بالقول بأن الجيش اللبناني ومن على سطوح أبنية ثكنة شكري غانم في الفياضية يمطرون كتيبة المدفعية السورية المتمركزة منذ شهر تشرين الثاني عام ١٩٧٦ في البقعة المواجهة لمدخل الثكنة والتي لا يبعد عنها أكثر من ١٠٠ متر بوابل من نيرانهم. وكان بعض عناصر الكتيبة ما زال نائماً والبعض الآخر يغسل ثيابه، لأنهم كانوا في يوم راحة. هالني الخبر وصعقت لعدد الإصابات، وأدركت للوهلة الاولى أن هناك مؤامرة تستهدف السوريين بالدرجة الاولى وعهد الرئيس سركيس بالدرجة الثانية، فاستمهلت اللواء اصلان بضع دقائق لأعرف حقيقة ما يجري على الارض، وبالتالي معرفة كيفية المعالجة ومن أين تبدأ». أضاف الخطيب: «رحت اتصل بالجميع، ضباط ارتباط والشعبة الثانية والمخابرات السورية واللبنانية وكل من يستطيع إفادتي بما وقع وكيف، وهمّي الاول أن أتدارك ردود الفعل الشديدة عندما يصل الخبر الى دمشق... ونقل الي ضباط الارتباط صورة سيئة لما حدث... نُقلت الي صورة من الشعبة الثانية في قيادة الردع أي الرائد لطفي جابر وأخرى مغايرة من الرائد جوني عبدو، وكلّها تؤدي الى التالي: بعد إقامة حاجز قرب مطعم قمر قام النقيب سمير الاشقر ومعه سرية مفرزة من المغاوير، بإحتلال سطوح أبنية ثكنة شكري غانم وفتحوا النار بغزارة على الحاجز أولاً، ومن ثم على عناصر الكتيبة وبعضهم كان ما زال داخل الخيم أو أمامها، فقتل منهم على الفور ثلاثة عشر عنصراً وجرح حوالي ٣٦ عنصراً آخرين».

وبالعودة الى مجريات المعركة، فقد انتشر جنود الجيش اللبناني في محيط ثكنة الفياضية والمدرسة الحربية، وجرت اتصالات بين قيادتي الجيشين وطالب السوريون بوقف اطلاق النار وإعادة الأمور الى طبيعتها. شكّلت لجنة مشتركة من القيادتين لإجراء تحقيق سريع. كذلك أجريت اتصالات مع رؤساء الأحزاب والقادة السياسيين لتهدئة الأوضاع وإعادة الأمور الى نصابها تداركاً لردود الفعل. وصدر عن قيادة الجيش وقيادة قوة الردع العربية بلاغ جاء فيه: «صباح الثلاثاء ١٩٧٨/٢/٧، حصلت أمام ثكنة الأغرار في الفياضية لأسباب فردية، مشادة بين بعض المتطوعين



ضباط المجموعة ١١ (من اليمين وقوفاً) النقيب منير بجّاني، م. أول جورج أبو فيصل، م. أول ميشال فيصل، م. أول جورج تومّيه الملازم جمال مّواسي، م. أول جان فريحة

١- مذكرات فؤاد بطرس.

الجدد وأحد حواجز قوة الردع العربية، أدت الى تبادل اطلاق النار وقد طوّقت قيادتا الجيش اللبناني وقوة الردع العربية الحادث على الفور. وستّتخذ القيادتان التدابير التأديبية الصارمة بحقّ مسببي هذا الحادث».

كان وقف اطلاق النار فرصة للجيش السوري لاستعادة المبادرة وللرد على ما تكبّده في اليوم الاول. وبدأ الاعداد للمرحلة الثانية. فتمّ استدعاء وحدات اضافية قامت ليلاً باحتلال مساكن الضباط فوق ثكنة الفياضية، واحتجزت ثلاثة ضباط هم الرائد لويس الخوري والرائد سعيد أبو عرب والملازم أول محفوظ وعائلاتهم.


النقيب أشقر والعقيد بركات أثناء حصار الثكنة

تمركز السوريون على أسطح الابنية غرب الثكنة، ووجّهوا اليها مدافع المضادات من منطقة المكلس ومن منطقة مار تقلا قرب السفارة الفرنسية. كما نصبوا راجمات صواريخ في تلة الرياض اللويزة، وتموضع رتل مؤلف من ست دبابات بمواجهة الثكنة على تلة الفياضية، وثلاث دبابات أخرى بمواجهة المدرسة الحربية. فيما كانت تجري مفاوضات بين وفد عسكري سوري وقيادة الجيش لتطويق الاشتباكات وإزالة التوتر.

قرّرت المجموعات داخل ثكنة الفياضية الدفاع والمواجهة ومنع السوريين من التقدّم نحو الثكنة مهما كان الثمن. وأمّنت المدرسة الحربية الإمكانات اللوجستية والذخائر للضباط والجنود الذين أدركوا أن لا إمكانية للخروج بعدما سيطرت القوات السورية على كل الأبنية والمواقع الاستراتيجية المحيطة بالثكنة التي كانت تضم ثماني مجموعات: (هذه القوى هي التي كانت تحارب في العام ١٩٧٦، وتجمّعت من مختلف القطاعات ولم تكن منظمة وفق هيكلية عسكرية وتحولت الى أسماء جيش لبنان ولواء عكار ومجموعة كاليري سمعان وغيرها ثم أعطيت لها أرقام).

المجموعة رقم ١١ بقيادة الرائد منير بجاني، وتضمّ الضباط شوقي ابو خليل، مارون دياب، غسان الأسعد، نادر فرج الله، جورج أبو فيصل.. جورج تومية ... وهي التي ساندت مغاوير الأغرار في اليوم الأول. المجموعة ١٢ بقيادة الضابط ميشال أبو غانم ولويس الخوري المجموعة ١٤ بقيادة مخول حاكمة. المجموعة ١٦ بقيادة غازي غطاس سقط منها الملازم أول عبدالله حدشيتي في معركة الفياضية. المجموعة ١٨ التي قادها الضابط وهبة قاطيشا بعد فؤاد مالك.. والشرطة العسكرية بقيادة العقيد نايف كلاس بالإضافة الى وجود الضباط بيار حاكمة وانطوان خليل وغيرهم.

و كان يوجد داخل الثكنة، إضافة الى السلاح الفردي للجنود، رشاشات من أعيرة متوسطة و٦ مضادات رباعية عيار ٤٠ ملم اضافة الى دبابتين AMX، وعدد من ملالات البنهارد ومدافع هاون شاركت في قصف مواقع القوات السورية في الفياضية ومحيطها.


الملازم أول الشهيد عبدالله الحدشيتي

استشهاد الحدشيتي واعتقال النواب السوريين

صباح ٨ شباط، كان قائد ثكنة شكري غانم انطوان بركات في مكتبه مع نحو عشرين ضابطاً يتابعون الاتصالات الجارية لفكّ الطوق عن الثكنة.

وفي تمام الساعة العاشرة، صبّت الدبابات السورية قذائفها بشكل مفاجئ على مباني الثكنة مستهدفة بشكل خاص مكتب قائد المنطقة بقصد القضاء على المجتمعين هناك، ولكن ما انقذ الضباط يومها هو أن الدبابات كانت على تلة الفياضية فوق الثكنة، وانحناء مدافعها لم يكن كافياً لإصابة قاعة الضباط بشكل مباشر فأصيبت الطوابق العليا وسقف القاعة الاسمنتي ونجا الضباط بأعجوبة. كما تعرضت المدرسة الحربية لقصف عنيف ولرمايات كثيفة ما أدى

الى استشهاد جندي واصابة مكتب قائدها العميد رياض شمعون وثكنة مغاوير الاغرار. ثم شاركت المضادات والأسلحة المتوسطة والراجمات السورية من ضهور العبادية في قصف الثكنة، فاستشهد الملازم أول عبدالله حدشيتي. ويروي أحد العسكريين الذين كانوا الى جانبه: «كان الحدشيتي مع المجموعة رقم ١٦ بقيادة الرائد غازي غطاس وهو بدأ اطلاق النار على السوريين في محيط الثكنة من رشاش ١٢،٧ على ملالة بنهارد وأصيب في رأسه فيما كان يهمّ بالخروج من الثكنة لمواجهة السوريين، الذين أطلقوا عليه النار من منازل الضباط»... ويضيف الجندي: «كانت إصابة الضابط الحدشيتي قاتلة وهو صرخ صوتين قبل ان يسقط على الملالة... اتّخذنا من أشجار الكينا متاريس وبدأنا اطلاق النار باتجاه منازل الضباط لتغطية جنديين حاولا سحبه تحت الرصاص ونجحا لكنّه فارق الحياة ولم يكن إنقاذه ممكناً نظراً لخطورة اصابته. كما أصيب عدد من الضباط والجنود تمّت معالجتهم ميدانياً وبوسائل بدائية بسبب ندرة المواد الطبية، ووضعوا في أماكن آمنة بعيدة عن رفاقهم كي لا يؤثروا على معنوياتهم».


الأسد لسركيس: «ما حصل مجزرة»

في موازاة ذلك، قام الضابط فارس زيادة الذي كان خارج الثكنة بمبادرة فردية وجمع قرب منزله في الفياضية عدداً من الجنود من خارج الثكنة مع ما توفر من أسلحة وهاجم بشكل مباغت القوات السورية التي تطوّق الثكنة وتقصفها، وأبلى مع عسكرييه البلاء الحسن.

وفيما كانت الثكنة تتعرض للنيران، كان وفد برلماني سوري يضمّ نحو عشرة نواب يمرّ على طريق بيروت الشام بعد زيارة لمجلس النواب اللبناني فتوقفوا أمام باب الثكنة على مرأى من جنود الجيش اللبناني، نتيجة الاشتباكات وقصف الدبابات، انبطح النواب السوريون في ساقية أمام باب الثكنة للإحتماء من القذائف والرصاص وسط الأمطار الغزيرة التي أغرقت ثيابهم، فقامت مجموعة من جنود الجيش اللبناني بسحبهم وإدخالهم الى الثكنة. واتصل العميد انطوان بركات بقيادة الجيش وأبلغها بوجود نواب سوريين معهم، فيما اتصل قائد الشرطة العسكرية العقيد نايف كلاس برئيس الجمهورية الياس سركيس وقال له: «فخامة الرئيس نحن أولادك هنا ويقصفون الثكنة بهدف قتلنا».

اتصل الرئيس الياس سركيس بالرئيس حافظ الاسد الذي كان متوتراً جداً وقال لسركيس: «الحادث في منتهى الخطورة... فهو ليس اشتباكاً بل مجزرة. إنّه فخّ مقصود نصب للجيش السوري لا حادثة عرضية. وقضية كهذه تثير نقاط استفهام عديدة ولن أتساهل فيها. كلّ مسألة عسكرية يجب ان تجد حلاً عسكرياً. لقد انتشر جيشي في مجمل الأراضي اللبنانية وما كابد مثل هذا العدد من الضحايا. لا أستطيع الصفح عن الذين يطلقون النار على جنودي، إن هيبة الجيش السوري كلّها في الميزان»[1].


اللواء حكمت الشهابي

ووجهت دمشق انذاراً الى الرئيس اللبناني الياس سركيس تطلب فيه أن يسلمها الضباط والجنود اللبنانيين المسؤولين عمّا سمّوه اعتداء على الجيش السوري.

اقترح سركيس على الأسد تأليف لجنة لبنانية سورية لاجراء التحقيق فرفض الاسد... وقال: «... ان قائد الجيش اللبناني يريد حلاً على الطريقة اللبنانية يبرىء فيه المذنبين. هذا مرفوض من جانبنا، وعليه ان يكون مستعداً لتسليمنا الضباط اللبنانيين المذنبين، ولإعدامهم رمياً بالرصاص. لا تسوية ولا مسايرة»[2].

ولكن بعد ظهر ٨ شباط، كلّف الرئيس الأسد وفداً عسكرياً سورياً ضمّ اللواء ناجي جميل نائب وزير الدفاع قائد القوى الجوية واللواء حكمت الشهابي رئيس الأركان العامة واللواء علي اصلان والعقيد محمد غانم وبعض الضباط بزيارة قيادة الجيش اللبناني في اليرزة فاجتمعوا بالعماد فيكتور خوري وعدد من الضباط اللبنانيين وتمّ الاتفاق على ضرورة وقف النار وإخلاء

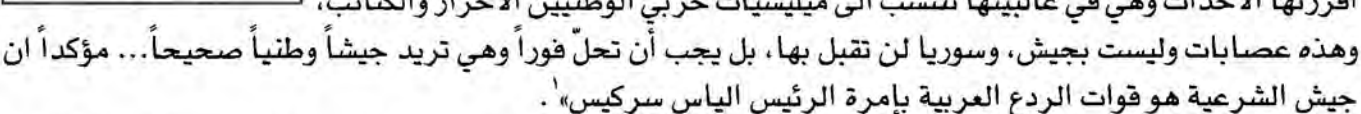
١- كريم بقرادوني السلام المفقود.
٢- المصدر نفسه.

الجرحى. فقامت سيارات إسعاف تابعة للجيش بنقل جرحى الردع من محيط ثكنة الفياضية الى المستشفى العسكري، في حين أطلق السوريون الضباط وعائلاتهم الذين احتجزوهم في منازلهم، كما تمّ وقف القنص على عناصر الثكنة ابتداءً من الساعة الخامسة والنصف، بعدما كان قصف سجن وزارة الدفاع وقيادة الجيش بقذائف أدى الى تحطيم زجاج بعض المكاتب وجرح عدد من العسكريين.

من اليرزة انتقل الوفد السوري الى القصر الجمهوري، حيث اجتمع بالرئيس سركيس في حضور الرئيس سليم الحص والوزيرين فؤاد بطرس وصلاح سلمان، وأعلنت اذاعة لبنان الرسمية ان المساعي أثمرت وقف الاشتباكات التي كانت تجددت صباحاً.

الأسد يهاجم الجيش والنواب ينفون

توجّه الى دمشق وفد نيابي ترأسه نائب رئيس المجلس ميشال ساسين، وضم نواباً من كتل الكتائب والوطنيين الأحرار والاصلاح الديموقراطي والوسط والبقاع وعاليه وعكار وكسروان وبشري وطرابلس وكتلة الأرمن والكتلة المستقلة، وذلك للمشاركة في مبايعة الرئيس حافظ الأسد لمناسبة الاستفتاء على تجديد ولايته سبع سنوات جديدة. ونفى ستة نواب من أعضاء الوفد بعد مقابلة الرئيس حافظ الأسد ما نسب اليه من كلام عن الجيش اللبناني اعتبر فيه «أن الجيش اللبناني لا يمثل العناصر الوطنية، بل انه مجموعة شراذم أفرزتها الأحداث وهي في غالبيتها تنتسب الى ميليشيات حزبي الوطنيين الأحرار والكتائب، وهذه عصابات وليست بجيش، وسوريا لن تقبل بها، بل يجب أن تحلّ فوراً وهي تريد جيشاً وطنياً صحيحاً... مؤكداً ان جيش الشرعية هو قوات الردع العربية بإمرة الرئيس الياس سركيس»[1].



ساسين على رأس وفد نيابي لتهنئة الأسد

وقد أذاع النواب عبدالله الراسي، باخوس حكيم، فؤاد غصن، عثمان الدنا، رينيه معوض، طوني فرنجية، البيان الآتي: «الكلام الذي نسب الى سيادة الرئيس الأسد في بعض الاذاعات الخارجية تضمّن قولاً يتعلّق بالجيش اللبناني قيل أن الرئيس الأسد وجّهه الى الوفد البرلماني الذي قصد دمشق لحضور الاستفتاء في ٨ شباط الجاري، ان شيئاً مما نسب الى الرئيس الأسد لم يصدر عنه، وقد حرّف الحديث تحريفاً أبعده كليّاً عن حقيقة مشاعر الرئيس الأسد».

بيان الثقة ومحاصرة شمعون

على الرغم من كل الاتصالات والمساعي، لم يصمد وقف اطلاق النار طويلاً... ففي ٩ شباط، أفاقت بيروت والضواحي منذ الرابعة فجراً على دوي القصف المدفعي وأصداء الاشتباكات التي استعملت فيها الأسلحة الثقيلة وراجمات الصواريخ.

وعزت المعلومات تفاقم الموقف الى ما تردّد عن توجيه الردع انذاراً الى قيادة الثكنة بوجوب تسليمها قبل الساعة التاسعة والنصف صباحاً الجنود والضباط الذين أطلقوا النار على قواتها. وقد أعلمت قيادة الثكنة المراجع الرسمية بالتطورات، فبدأت الاتصالات لتدارك



سركيس يستعين بفرنجية لتهنئة الأسد

١- وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٧٨ المركز العربي للابحاث والتوثيق.

تدهور الموقف، وتمّ اتصال من القصر الجمهوري بقيادة الردع، لكن الأمور تطوّرت الى الاسوأ، وانهمرت القذائف بكثافة على المواقع العسكرية اللبنانية، فأصاب بعضها ضواحي مبنى وزارة الدفاع والقصر الجمهوري، كذلك استهدفت الأحراج المجاورة لهما بقذائف عدة، كما تساقطت القنابل على مواقع الردع وعلى مرابض مدفعيته في مناطق الجمهور واليرزة والحازمية.

اتّصل رئيس الجمهورية بالوزير فؤاد بطرس وتشاور معه حول صعوبة الوضع والتصلب السوري، واقترح الرئيس سركيس الاستعانة بالرئيس سليمان فرنجية والطلب منه الذهاب إلى سورية علّه ينجح في تهدئة الوضع. وافق الرئيس السابق للجمهورية من دون تردّد، وحضر إلى قصر بعبدا، ومنه انطلق مع الوزير فؤاد بطرس برفقة قائد قوات الردع العربية سامي الخطيب، بعد إجراء اتّصالات للتحقق من سلامة الطريق، وفور وصوله إلى دمشق اجتمع الوفد اللبناني بعبد الحليم خدّام وناجي جميل، وحكمت الشهابي، ثم انتقلوا للاجتماع بالرئيس الاسد.

ساد المحادثات مع الرئيس الأسد جوّ من التصلب والحزم، اذ كان الاسد متشدداً مع الرئيس فرنجية الذي كان بدوره جريئاً فإتّخذ مواقف حادة.

ونقلت وكالة الأنباء السورية الرسمية «سانا» عن فرنجية أن الأسد أعطى أوامره في حضور الوفد اللبناني لقائد القوات السورية في لبنان اللواء علي أصلان بوقف النار، وتمّ ذلك في الخامسة والنصف بين ثكنة الفياضية ومواقع قوة الردع واشترط الاسد اصدار الجبهة اللبنانية بياناً تعلن فيه الثقة الكاملة بالرئيس السوري.

زاد في توتر الحال انتقال الاشتباكات من محور ثكنة الفياضية ومواقع قوة الردع العربية، الى الأحياء السكنية في الأشرفية وفرن الشباك وعين الرمانة فسقط عدد من الضحايا. وراجت شائعة تفيد أن القوات السورية تستعد لاجتياح عين الرمانة لا سيما بعدما أحرق احد المقاتلين بقذيفة ب٧ شاحنة سورية حاولت دخول المنطقة، فقتل فيها ثمانية جنود وجرح عدد آخر. زرعت الراجمات والمدافع السورية مناطق عين الرمانة وفرن الشباك والتحويطة وكورنيش قصر العدل، ما أدى الى سقوط عدد من القتلى والجرحى في صفوف المدنيين واندلاع عدد من الحرائق... بدورها، تعرّضت مراكز القوات السورية في منطقة سن الفيل والجسر الواطي لرمايات من أسلحة رشاشة وثقيلة، ووصلت القذائف الى شارع سامي الصلح ومنطقة بدارو، كما دارت معركة عنيفة بين السوريين وقوات الكتائب والأحرار على محور غاليري سمعان.

وفيما المعارك مستمرة في الفياضية ومحيطها، وقع اشتباك بين حراس مركز حزب الوطنيين الأحرار في منطقة السيوفي وأحد مراكز قوة الردع السورية استعملت فيه الرشاشات وقذائف الآر.بي.جي. وأدى الى سقوط ٥ قتلى وعدد من الجرحى وتحطيم زجاج المكاتب في بيت الحزب حيث كان الرئيس شمعون يلازم مكتبه لمتابعة التطورات، غير أنه لم يصب على عكس ما روجت بعض مصادر الاعلام.

وحصلت اتصالات سريعة أدت الى وقف اطلاق النار لإخلاء الجرحى وغادر الرئيس شمعون البيت المركزي بعدما استقبل عدداً من المراسلين الأجانب أبدى أمامهم أسفه لما حدث مطالباً بوقف النار، كما اتصل به السفير البابوي المونسنيور الفريدو برونيارا داعياً الى التهدئة.

ومع حلول المساء تفاقم الوضع مجدداً، فوقعت اشتباكات متفرقة بين قوة الردع ومقاتلي الجبهة اللبنانية في مناطق أوتيل ديو والسوديكو وكورنيش النهر. وذكرت مصادر عسكرية أن حصيلة مواجهات اليومين الأولين من معركة الفياضية كانت سقوط ضابط و٤ عسكريين وجرح ١٥ بينهم ٦ ضباط تمت معالجتهم ميدانياً.

شمعون نجا من الاصابة

توقف المعارك على محور الفياضية لم يشمل المحاور الأخرى، ففيما استمرت المفاوضات في قيادة الجيش، كانت مناطق الشياح وعين الرمانة والأشرفية وفرن الشباك تتعرّض لقصف مدفعي شديد، خلف أضرارا جسيمة. وشبّ

حريق في بناية بيضا حيث يقوم مركز الشؤون الجغرافية التابع لقيادة الجيش، وسقطت القذائف على الأشرفية، خصوصاً في محيط مستشفى الروم والحكمة والجميزة ومار مخايل والعكاوي والسيوفي وسوديكو، ما أدى الى وقوع قتلى وجرحى. وأعلن مستشفيا رزق وأوتيل ديو عن حاجتهما الى الدم من فئات مختلفة، كما سقطت قذائف في محور العكاوي - الجميزة - مار مخايل، استهدف بعضها مركز الـ «اس. كا اس» الكتائبي، وشوهدت في منطقة سن الفيل خمس ملالات سورية معطوبة.

ازاء تفاقم الوضع الأمني، عُقد اجتماع ليلي في منزل الشيخ أمين الجميل في بدارو ضمّ كبار الضباط السوريين واللبنانيين، وتمّ فيه الاتفاق على تثبيت تجميد إطلاق النار في منطقة عين الرمانة - الشياح.

وذكرت مصادر كتائبية أنّ رصاص القنص والقصف في الأشرفية وعين الرمانة وسن الفيل والتحويطة، أدى الى مقتل ٤ أشخاص عُرف منهم كرم كرم وسامية سلامة وريمون فرنسيس (الذي سقط في التحويطة)، ومن الجرحى: صبحي راجي، طوني أنطوان، ليندا سعاده، خطار يعقوب، سعيد شقير، سميرة يعقوب، زكية حنا، سيمون صليبا، ريمون سكاف، جوزيف نعمة، خليل بويز، جورج جبران، عفاف مقدسي، سميرة كرم، جميل منصف، بيار يعقوب، شمعون يعقوب، جرماني جورجي، جورج صبحي، اندريه قسيس، الياس صفا، بديعة مسعد، كيفورك كالوستيان.

وصدر عن قوة الردع العربية البيان التالي:

«ان قيادة قوة الردع العربية، اذ تأسف بمرارة لأن يضطرها بعض المهووسين والمضلّلين الى استعمال السلاح الذي جاءت به لحماية هذا الوطن وتركيز أمنه، يهمّها بعد الذي حصل أن توضح للمواطنين الأمور الآتية:

١- ان حادث ثكنة الفياضية، على رغم تطوره والضحايا التي سقطت بنتيجته من الطرفين، سيبقى محصوراً ضمن إطاره العسكري لتحديد المسؤولين الحقيقيين بالتنسيق والتوافق مع قيادة الجيش اللبناني، باعتبار أن الطرفين خاضعان لشرعية واحدة هي الشرعية اللبنانية.

٢- أما الحوادث التي افتعلتها أيد مجرمة خارج منطقة الفياضية بالاعتداء على بعض قوات الردع العربية التي كانت تقوم بواجبها في الأحياء وعلى الطرق، والتي أكّدت قيادات الجبهة اللبنانية قولاً وعملاً استنكارها ومعارضتها لها في كلّ أشكالها، فقد اضطرت القوات الى الردّ على مفتعليها بالعنف الذي تقتضيه سلامتها ليكون رادعاً لها عن تكرارها، وهذا لا شكّ يسبّب سقوط ضحايا بريئة من المدنيين مسؤولية دمائهم تقع على هؤلاء العابثين بأمن البلاد واستقرارها.

٣- ان قيادة قوات الردع العربية، إيماناً منها بالمهمة المقدّسة التي أوكلت اليها لحفظ الأمن في البلاد، مصمّمة بالتعاون والتنسيق مع كل الأطراف الحريصة على سلامة لبنان واستقراره، على التصدي بكلّ الوسائل لكلّ من يعترض مسيرة السلام في البلاد.

٤- على المواطنين جميعاً مؤازرة قوات الردع العربية بمنع المسلحين من استخدام أبنيتهم للرمي على هذه القوات أو على غيرها، وفي حال التعذر الابلاغ عن ذلك بالوسائل الممكنة.

٥- شكّلت لجنة عسكرية عليا مشتركة من الجيش اللبناني والقوات السورية العاملة في قوات الردع العربية، لمباشرة تحقيق مسلكي واداري موسع لتحديد المسؤوليات تمهيداً لأخذ الاجراءات التأديبية المناسبة».

فور عودته من دمشق، أقنع الرئيس فرنجية الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل بإصدار بيان مهادن للرئيس الاسد.

وفي ١٠ شباط، عقدت الجبهة اللبنانية اجتماعاً استثنائياً في منزل الرئيس كميل شمعون وصدر عن أعضاء الجبهة بيان أسفوا فيه للحوادث الأخيرة مع قوات صديقة دخلت لبنان بموافقة سلطاته الشرعية، وأعلنت الجبهة ثقتها بالرئيسين سركيس والأسد وتأييدها للاجراءات المتخذة لوقف القتال، ودعا الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل عناصر حزبيهما الى ضبط النفس وتجنب أي صدام مع قوة الردع العربية.

وقال رئيس حزب الكتائب الشيخ بيار الجميل: «لا استغرب وقوع مثل هذه الحوادث... وعلينا أن نعمل ليستردّ لبنان

أمنه بنفسه، لأن الأمن المستعار لا يمكن أن يكون أمناً كاملاً، ومن هنا يجب أن ننطلق لنعيد بناء قوانا الأمنية من شرطة ودرك وجيش ليصبح أمننا أمناً لبنانياً».

اولاد غيفارا: راوول ورينالدو واسميرالدا

احتجز الأولاد الثلاثة للسفير الفنزويلي الجديد في لبنان خوسيه كونتانا غيفارا منذ يوم الثلثاء ٧ شباط في مدرسة تبعد بضعة أمتار عن ثكنة الفياضية بسبب شدة المعارك.

وكان الأولاد الثلاثة وهم راوول ورينالدو (١٤ عاماً، توأمان) واسميرالدا (٦ أعوام) توجّهوا صباح الثلثاء الى مدرسة مون كوليج عندما بدأت الاشتباكات، وتمكّنت باصات المدرسة من إيصال التلاميذ الذين يسكنون في أماكن بعيدة عن الثكنة الى منازلهم، إلاّ أن أولاد السفير الفنزويلي وسبعة آخرين ومدرّسين اثنين بقوا محتجزين.

وكان السفير الفنزويلي أبلغ عن وضع أولاده بعدما قدّم أوراق اعتماده الى الرئيس سركيس، فحاول التوجه الى المدرسة لنقلهم الا أن حاجزاً سورياً منعه من ذلك، وذهبت محاولاته المتكررة لإنقاذهم سدى، فاتّصل بالقصر الجمهوري وبالصليب الأحمر الدولي طالباً مساعدته، فنال وعداً بمحاولة انقاذ الأولاد يوم الجمعة اذا توقف القتال. وصباح الجمعة استطاع أولاد السفير الثلاثة مع سبعة من رفاقهم ومدرّسين اثنين الخروج من المدرسة المحتجزين فيها، وتمت عملية خروج الطلاب من المدرسة بمغامرة مثيرة وجريئة، اذ أنزلت مديرة المدرسة آمال الشرتوني الطلاّب الى الشارع وانتظم الجميع في صف واحد مع كتبهم وانطلقوا مسرعين، الا أنهم تعرضوا لرصاص القنص السوري فلجأوا بسرعة الى مرآب للسيارات، ومن هناك بدأوا عملية تسلل بتؤدة وحذر الى منزل السفير الذي أصبح قريباً ودخلوه وسط الدهشة والفرح فتمت إغاثتهم، ونقل الطلاب والأساتذة كلّ الى منزله. وقالت مديرة المدرسة آمال الشرتوني أنها خاطرت بالخروج بهذه الطريقة لأنها لم تستطع إبقاء الطلاب داخل المدرسة وقتاً أطول لأنّ الطعام لم يعد موجوداً.


العقيد طنّوس دخل الثكنة ليلاً

ابراهيم طنوس وامين الجميل يخرقان الحصار

بقيت ثكنة الفياضية مطوّقة حتى يوم الجمعة ٢٤ شباط (فبراير)، وهو اليوم الذي فكّ فيه الجنود السوريون حصارهم عن الثكنة والمواقع العسكرية اللبنانية المحيطة وأصبح التحرك آمناً في داخلها، لكنّ الحواجز استمرّت على الطرقات المؤدية اليها حتى ٢٥ آذار، بعد قيام الجيش الاسرائيلي بإجتياح الجنوب وصولاً الى نهر الليطاني، فقيادة الجيش اللبناني لم تتمكن من لعب أي دور مع السوريين لفكّ الحصار قبل هذا التاريخ.


الشيخ أمين الجميّل

أثناء محاصرة الثكنة، تمكّن العقيد ابراهيم طنوس الذي كان قائداً لثكنة روميه من التسلل ليلاً من الجهة الشمالية مع تسعة جنود عبر نهر بيروت المنصورية، بهدف الإطلاع على أوضاعها ومحاولة تأمين ما ينقص الجنود من أعتدة وذخائر، ثم غادر سيراً على الاقدام مصطحباً معه عناصر من مختلف المجموعات. وفي اليوم التالي عاد مرة أخرى بالطريقة نفسها مع الجنود والذخائر الضرورية التي حملوها مسافة ثلاثة كيلومترات.

كما قام نمور الاحرار الذين شاركوا بقصف القوات السورية في محيط الفياضية بأمر من داني شمعون بنقل ذخائر الى الثكنة (رصاص وقاذفات ب ٧

وعدد من مدافع وقذائف الهاون عيار ٦٠ ملم) عبر الديشونية.

بعد العقيد طنوس، تمكّن الشيخ أمين الجميل تحت جنح الظلام من دخول الثكنة سيراً على الاقدام عن طريق الديشونية عبر الوادي، والتقى الضباط في مكتب قائد الثكنة انطوان بركات ودعاهم الى الصمود الى أن يتم فك الحصار.

وتمكّن كل من الرائد منير بجاني والملازم نادر فرج الله من التسلل ليلاً الى وزارة الدفاع، وطلبا المساعدة من قائد الجيش العماد ڤكتور خوري الذي كان جالساً في مكتبه يقرأ مجلة. ولم يبد أي اهتمام ما أثار استياءهما، لكن العماد خوري عاد وزار الثكنة بعد ايام واضطلع على اوضاعها...



العماد خوري يزور ثكنة الفياضية وبدا النقيب بجّاني والمقدم كلأس

على الرغم من الحصار المحكم، تمكّن جنود الثكنة من الحصول على ذخائر وقذائف اذ كانوا يتسللون باتجاه اللويزة التي ينتشر فيها السوريون فينقلون ما يحتاجونه من مخازن الذخيرة التابعة للجيش اللبناني في تلك المنطقة، بالإضافة الى الخبز والمعلّبات والطعام وقد وضع الضباط نظام تقنين للأكل كي تتمكن الثكنة من الصمود أطول فترة ممكنة.

ويتذكر الجندي ي. بدران انه «في اليومين الأولين، كان الأكل طبيعياً ولكن فيما بعد أصبحنا نأكل وجبة واحدة يومياً مؤلفة من الأرز والملفوف ثم من الأرز فقط ... كما بقينا لفترة طويلة من دون حلاقة ذقوننا فأصبحنا مثل عناصر الميليشيات...».

إعدام الضباط والمحكمة الاستثنائية

في ١١ شباط أوفد الرئيس حافظ الاسد الى لبنان نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام يرافقه نائب وزير الدفاع وقائد القوى الجوية اللواء ناجي جميل والمقدم محمد غانم، وعقد الوفد السوري اجتماعاً مع الرئيس سركيس في حضور الرئيس الحص ووزير الخارجية والدفاع فؤاد بطرس. ثم التقى الرئيس الياس سركيس الرئيسين كميل شمعون وسليمان فرنجية والشيخ بيار الجميل قبل حصول لقاء لبناني - سوري طويل حضره أركان الجبهة الثلاثة فرنجية وشمعون والجميل وشارك فيه رئيس مجلس النواب كامل الأسعد.

طالب الوفد السوري بأن توافق الجبهة اللبنانية



الرئيس الحص يستقبل خدّام الذي طالب بإعدام الضباط

على إطلاق يد الجيش السوري في كل لبنان وان يعتقل الضباط الذين تسببوا بحادث الفياضية ويحكم عليهم بالإعدام. فرفضت الجبهة اللبنانية المطالب السورية بشدة.

وانتهى البحث عملياً الى الاتفاق على إنشاء محكمة عسكرية استثنائية مشتركة لمحاكمة المتسببين في الحوادث، على أن يوضع المشروع في الصيغة القانونية، ويقرّه مجلس الوزراء. وذكرت مصادر حزب الكتائب أن من بين التدابير التي اتفق عليها هي تطعيم حواجز قوات الردع بقوى أمن داخلي لبناني وإعادة توزيعها وتموضعها على نحو يكفل عدم حصول إحتكاكات لكن شيئاً من ذلك لم يحصل.

في ١٢ شباط، غادر الوفد السوري الى دمشق وقال مصدر رسمي أن محكمة استثنائية ستنظر فور صدور القانون في نتائج التحقيقات التي باشرتها لجنة عسكرية مشتركة من ضباط لبنانيين وسوريين في حادث الفياضية، وضمّت اللجنة عن الجانب اللبناني العقيد زين مكي معاون رئيس الاركان والعقيد جورج قزي، وعن الجانب السوري اللواء علي أصلان والمقدم محمد غانم، ويعاون الجانبين عدد من الضباط اللبنانيين والسوريين، إضافة الى ممثل عن قائد قوات الردع العربية سامي الخطيب.

استمعت اللجنة الى عدد من الضباط اللبنانيين، بينهم العقيد أنطوان بركات وبعض الضباط السوريين.


الضاهر المعارض الوحيد للمحكمة

في ١٣ شباط - أقرّ مجلس الوزراء مشروع القانون القاضي بإنشاء المحكمة الاستثنائية المشتركة مطلقاً عليها تسمية «المحكمة الأمنية الخاصة» وقد أحيل مشروع القانون في صيغة المعجل المكرر الى مجلس النواب الذي دعي الى عقد جلسة لدرسه.

في هذه الأثناء، تابعت لجنة التحقيق المشتركة عملها في قصر بعبدا واستمعت الى عدد آخر من الضباط في شأن حوادث ثكنة الفياضية.

في ١٤ شباط، أقرّ مجلس النواب بعد مناقشات مشروع القانون القاضي بإنشاء المحكمة الأمنية الخاصة بأكثرية ٧٢ صوتاً في مقابل صوت واحد معارض هو للنائب مخايل الضاهر، وأدخلت تعديلات على المشروع أبرزها:

الغاء التنفيذ الفوري للأحكام والافساح في المجال أمام حق العفو الذي يملكه رئيس الجمهورية بموجب الدستور، فضلاً عن حذف العبارة التي لا تسمح للمتهم أو الظنين بالاستعانة بمحام أمام هيئة التحقيق.

قانون المحكمة

القانون القاضي بإنشاء محكمة أمنية خاصة حمل الرقم ٧٨/٢، ونصّ مادة وحيدة: ١- تنشأ في صورة مؤقتة محكمة أمنية خاصة تنظر في صورة حصرية: في الجرائم التي تمسّ سلامة قوات الأمن العربية في لبنان أو تلك التي يقترفونها... وتشمل صلاحيات المحكمة جميع الأراضي اللبنانية ويكون مركزها بيروت... لا تنظر في التعويضات المدنية.

تقوم بأعمال التحقيق القضائي لدى المحكمة، هيئة تحقيق تمارس مهماتها وفقاً لقانون القضاء العسكري، على أن تعتبر قراراتها على اختلافها نهائية (أي لا تخضع لأي طريق من طرق المراجعة).... و تتألف هيئة التحقيق من رئيس وأربعة أعضاء على الوجه الآتي:

- ثلاثة ضباط من الجيش اللبناني.

ضابطان تابعان لقوات الأمن العربية.

يرأس الهيئة ضابط تابع لقوات الأمن العربية.

وتتألف هيئة المحكمة من رئيس وأربعة أعضاء على الوجه الآتي:

- قاض عدلي لبناني وضابط لبناني.
- ثلاثة ضباط تابعين لقوات الأمن العربية.

يرأس المحكمة الضابط اللبناني.

تراعى الأحكام المتعلقة بالرتب في تعيين العسكريين في كل من هيئة التحقيق والمحكمة، ويمكن إنهاء مهمات المحكمة الأمنية الخاصة بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزيري العدل والدفاع الوطني.

وصدر المرسوم عن رئيس الجمهورية رئيس مجلس الوزراء وزير العدل وزير الدفاع الوطني.

بعبدا في ١٩٧٨/٢/١٥

صدر عن هيئة المحكمة المرسوم الرقم ٩١٩ القاضي بتعيين رئيس وعضو للمحكمة وثلاثة أعضاء في هيئة التحقيق:

هم العقيد الركن في الجيش جرجس قزي، رئيساً للمحكمة الأمنية الخاصة، السيد طربيه رحمه القاضي في ملاك القضاة العدليين، عضواً في المحكمة وكل من الضباط في الجيش الآتية أسماؤهم، عضواً في هيئة التحقيق لدى المحكمة الأمنية الخاصة: العقيد الركن زين مكي، العقيد البحري الركن بطرس يونس، المقدم الركن أديب سعد.

بتاريخ ١٦ شباط ١٩٧٨، صدر عن رئيس الجمهورية الياس سركيس ووزير العدل فريد روفايل ووزير الدفاع الوطني فؤاد بطرس ورئيس مجلس الوزراء سليم الحصّ قرار قضى بتعيين كلّ من الضباط في قوات الردع العربية في لبنان، في هيئة التحقيق لدى المحكمة الأمنية الخاصة: العميد ناصر الدين ناصر رئيساً لهيئة التحقيق، المقدم محمد غانم عضواً في هيئة التحقيق، وفي هيئة المحكمة الأمنية أعضاء الضباط السوريين: العقيد عدنان بدر الحسن والعقيد عزت زغاويط والمقدم ديب ضاهر.

وأصدر النائب العام لدى محكمة التمييز الشيخ كميل جعجع قرارا انتدب فيه كلّ من السادة القضاة: أسعد جرمانوس، وفيق الحسامي، فوزي داغر، لممارسة مهمات النيابة العامة لدى المحكمة الأمنية الخاصة.

ادّعت النيابة العامة على «مجهول» بجرائم القتل عمداً ومحاولة القتل والقيام بأعمال مخلة بالأمن العام طالبة إنزال عقوبة الإعدام بالفاعلين. وطلبت سماع إفادات نحو ٤٠ شاهداً في حادث الفياضية بينهم عدد من الضباط اللبنانيين والسوريين، وطلبت الاستماع أولاً الى ٥ ضباط لبنانيين لم يحضر منهم سوى ثلاثة، فاستجوبت اثنين.

حادثة فرن الشباك

في ١٥ شباط، وقع حادث جديد في فرن الشباك فوجئت به الجبهة اللبنانية التي كانت مجتمعة في منزل الشيخ بيار الجميل، اذ مرّ على الطريق جيب تابع لقوة الردع العربية وفيه ثلاثة عناصر. فصدم أربع سيارات متوقفة الى جانب الطريق قرب سينما سكالا، وسمع على الأثر اطلاق رصاص



داني شمعون وبشير الجميّل

سقط بنتيجته عنصران من قوة الردع، وذكرت مصادر كتائبية أنّ مسؤولين حزبيين في المنطقة استطاعوا انقاذ العنصر الثالث وسلّموه مع الجيب الى قوى الأمن الداخلي.

على الفور، اتصل الرئيس كميل شمعون والشيخ بيار الجميل بقائد قوة الردع المقدّم سامي الخطيب، وانتقل بشير الجميل وداني شمعون الى مكان الحادث وعملا على تطويقه وحصره في نطاقه الفردي.

في اليوم التالي، توصّلت أجهزة الامن في قيادة قوات الردع الى معرفة أسماء المشتركين في الحادث ومنهم مارون مشعلاني المسؤول العسكري في كتائب فرن الشباك والذي أفاد أمام الملازم أول أنطوان فاعور أحد ضبّاط الدرك في فرن الشباك بأنه هو من أعطى الامر بفتح النار وهو المسؤول عن ذلك»[1].

بعد أسبوع على حادث فرن الشباك طلب المسؤول الاميركي بول مولينو من بشيرالجميل ان يسلّم الكتائبيين الذين اطلقوا النار على السوريين وقتلوا جنديين، فانكر بشير مسؤولية الكتائب عن الحادث. ولما سأله المسؤول الاميركي: «اذا لم تكونوا مسؤولين عن مقتل الجنديين فمن قتلهما اذاً». أجابه بشير ساخراً: «الروح القدس هو الذي قتلهما»[2].

مارون مشعلاني وبشير الجميّل

في ١٧ شباط باشرت هيئة التحقيق لدى «المحكمة الأمنية الخاصة» مهمتها واستمعت الى بعض الضباط، فيما طلبت النيابة العامة احضار ١١ شخصاً في حادث فرن الشباك و٤٠ شخصاً في حادث الفياضية، وسلّم حزب الوطنيين الأحرار ثلاثة من المطلوب الاستماع الى افادتهم، في حين أعلن رئيس الكتائب الشيخ بيار الجميل «اننا لن نحمي أي مجرم في مناطقنا».

قدّم قائد قوات الردع العربية سامي الخطيب في ٢٣ شباط خلال لقائه وزير الدفاع فؤاد بطرس وقائد الجيش فيكتور خوري في قصر بعبدا، لائحة مؤلفة من أسماء اثني عشر ضابطاً وخمسة رتباء قال إن المطلوب توقيفهم بإلحاح وبأسرع وقت. أجابه بطرس بأن هذا الطلب مستحيل حتى لو كانوا جميعهم مذنبين. وبعد نقاش حاد، اكتفى الخطيب بالمطالبة بتوقيف ضابطين، وكان صباح ذلك اليوم شهد جلسة صاخبة ضمت لجان الخارجية والدفاع، والإدارة والعدل برئاسة رئيس مجلس النواب كامل الأسعد، ومثّل بطرس ووزير الداخلية صلاح سلمان الحكومة التي تعرّضت لأقسى الانتقادات بسبب طريقة التعامل مع أحداث الفياضية، والتأخر في إنجاز قانون الدفاع[3].

بين العشرين والرابع والعشرين من شباط، أوقف الملازم أول فارس زيادة والملازم أنطوان حدّاد والنقيب سمير الأشقر وجنديين، وسط استمرار التقلبات في الموقف السوري بين مهدد وراض عن سير عملية التحقيق.

في ٢٥ شباط، استقبل الوزير فؤاد بطرس المدعين العامين في المحكمة الأمنية الخاصة، واطّلع منهم على تفاصيل الاجتماع الطويل الذي عقدوه مع أعضاء لجنة التحقيق، وقالوا إن المحققين السوريين تلقوا أوامر واضحة ومباشرة بوجوب التوصل إلى عقوبات بالإعدام وتنفيذها، وإن هؤلاء لا يبدو أنهم يقيمون وزناً للاعتبارات القانونية. ومساءً، عقد بطرس اجتماعاً طويلاً مع رئيس الجمهورية لتقويم الأوضاع والإعداد لزيارة دمشق التي تمت يوم الثلاثاء في الثامن والعشرين من شباط ١٩٧٨ حيث التقى بطرس عبدالحليم خدّام و نائب وزير الدفاع ناجي جميل، وتناولت المحادثات مسألتين أساسيتين: التحقيقات الجارية في أحداث الفياضية والتجديد لقوات الردع العربية في لبنان. ثم أقيمت مأدبة غداء للوزير بطرس حضرها العماد مصطفى طلاس وبعض كبار ضباط الجيش السوري من أمثال علي دوبا، وكان عبدالحليم خدّام شديد التصلّب، إذ كان يعتبر أنه «لن تكون هناك دولة، ولن يكون هناك جيش في لبنان، إن لم تضرب

١- في عين الحدث ص ٤٦١.
٢- السلام المفقود ص ١٥٠.
٣- مذكرات فؤاد بطرس.

الدولة اللبنانية بيد من حديد، وتنفذ حكم الإعدام بحق الضباط المسؤولين عن أحداث الفياضية. وما هو نفع حكومة جديدة، ونفع البحث في الوفاق الوطني ما دامت هيبة الدولة مفقودة؟ كل شيء يهتز في لبنان، وينذر بالسقوط». ووجه خدام انتقادات قاسية في جميع الاتجاهات: لرئيس الجمهورية، ولرئيس الحكومة، وللجيش وقائده، وللضباط الذين يدينون بالولاء لأركان «الجبهة اللبنانية»، وخلص إلى الاستنتاج التالي: «عليكم أن تقرروا هل تريدون أن تكونوا موجودين أو غير موجودين؟ على ما يبدو، الرئيس الياس سركيس غير راغب في التحرّك»[1].

بعد هذا اللقاء مع خدام والضباط، اجتمع الوفد مع الرئيس حافظ السوري الذي كان لبقاً ولطيفاً، لكنه متصلب جداً، وغير قابل للمساومة. وانتقد الدولة اللبنانية ورئيس الجمهورية وقال: «ماذا يريد سركيس؟ إذا كان الجيش تابعاً له، ليبرهن عن ذلك، وإن لم يكن بإمرته ليتركنا نتصرف. إذا لم تكن عنده رؤية مستقبلية فكل الكلام وكل التدابير لا تفيد بشيء». ووجّه انتقادات عنيفة لرئيس حزب الكتائب بيار الجميل وولديه أمين وبشير ووصفهما بأنهما «عملاء لإسرائيل». فقال بطرس للاسد: «لا الحكم في لبنان، ولا أنتم، قادران على احتمال أمرين: عدم القيام بشيء، وتنفيذ أحكام بالإعدام. هذان الحدّان خطيران للغاية لأنهما سيؤديان إلى عداوة تستمر قروناً بين لبنان وسورية، بين الشعبين والجيشين، وهذا ما لا يريده أحد، لذلك لابد من إيجاد الحل الوسط. لا أحاول التذاكي ولا المناورة. لستُ في موقع الأبرع، ولا الأقوى ولا الأذكى، فالوضع لا يسمح بمثل ذلك، إن أوراقي مكشوفة أمامكم على الطاولة، ولا مجال للألاعيب.ان لبنان لا يحتمل تنفيذ أحكام بالإعدام، وأعطيكم مثالاً على ذلك الأحكام التي صدرت بحق منفذي محاولة الانقلاب على الرئيس فؤاد شهاب في نهاية عام ١٩٦١. كان في ذلك الحين من يرى أنه يجب أن تصدر أحكام بإعدام الضباط الذين شاركوا في محاولة الانقلاب لكن الرئيس شهاب استبدل في اليوم الأخير من عهده أحكام الإعدام بالسجن المؤبد الذي خُفّض لاحقاً وانتهى الأمر بمرسوم عفو، وخرج جميع المحكومين من السجن. وفي أي حال، أعتقد أنه من المستحيل دفع القضاة اللبنانيين، في المحكمة الأمنية الخاصة التي شكّلناها، إلى إصدار أحكام بالإعدام. وإذا أصرّ القضاة السوريون على الحكم بالإعدام فسيقع انقسام، والنتائج المترتبة على مثل هذا الانقسام وخيمة على البلدين».

استشعر الرئيس الأسد خطورة ما قاله بطرس الذي أضاف: «طبعاً، هذا يعني أن علينا أن نأخذ إجراءات جذرية لمنع تكرار حصول اشتباكات بين الجيشين اللبناني والسوري، كإجراء تشكيلات واسعة في صفوف الجيش، وتشديد قبضة الحكم على قيادته، والعمل على تحقيق الوفاق الوطني، وتفعيل العمل الحكومي، وأعتقد أن كل ما هو مطلوب في المقابل هو عدم تسريع إجراءات هيئة التحقيق المختلطة في المحكمة الأمنية الخاصة»[2].

بعد انتهاء الاجتماع مع بطرس، عقد الرئيس حافظ الأسد ومعاونيه وفي مقدمهم عبدالحليم خدّام، اجتماعاً للبحث في ما طرح بطرس. وفي صباح اليوم التالي، ابلغ خدّام بطرس ان السوريين قرّروا الامتناع عن طلب أحكام بالإعدام، ولكنه أصر على فكرة ألا تقوم الحكومة اللبنانية بإعلان هذا التوجه حتى لا تمس معنويات الجيش السوري الذي قد يتأثر من جراء إعلان كهذا. وأضاف: «يجب الاستفادة من السيف المسلط الذي تشكله المحكمة الأمنية الخاصة والتلويح بأحكام الإعدام لتحقيق بعض الأمور. على الرئيس سركيس أن يتحرك ويعالج ما يقتضي المعالجة بحزم». ثمّ أردف خدام قائلاً لبطرس: «يقول لك سيادة الرئيس إن له ثقة كبيرة بك، تصرّف في الشكل الذي يحافظ على كرامة الجيش السوري ومعنوياته»[3].

لم تصدر المحكمة الامنية الخاصة أي أحكام في معركة الفياضية. أما النقيب سمير الاشقر، الذي اعتبره السوريون المتسبب بالمعركة لم يهضم فكرة محاكمته لانه كان يقوم بواجبه فانشق عن الجيش وانشأ «القيادة الثورية للجيش اللبناني» ثم قتل في ١ تشرين الثاني ١٩٧٨ في عملية عسكرية قامت بها فرقة «المكافحة» التابعة لقيادة الجيش.

١- مذكرات فؤاد بطرس.
٢- المصدر السابق.
٣- المصدر السابق.

ما وراء المعركة

- فجر الأربعاء ١ تشرين الثاني ١٩٧٨، قتل النقيب في الجيش اللبناني سمير الأشقر، وأصيب الجندي ميشال عسّاف، واعتقل الملازم سليم خرياطي مع ١٢ من عناصره، في عملية عسكرية قامت بها فرقة «المكافحة» التابعة لقيادة الجيش دهم خلالها مقر النقيب الأشقر في قرنة شهوان، وهو كان مركزاً لـ«القيادة الثورية للجيش اللبناني» التي برزت خلال الحوادث الأخيرة في المنطقة الشرقية من بيروت.

منزل النقيب الأشقر خضع للمراقبة الدقيقة ليلاً نهاراً من قبل الشعبة الثانية في الجيش اللبناني، وفجر الأربعاء، طوّق نحو ٣٠٠ جندي بقيادة النقيب ميشال حرّوق والملازم أول مارون خريش والملازم أول قزحيا شمعون منزل النقيب الأشقر في بلدة المطيلب، وأقفلت جميع الطرق المؤدية الى البلدة، واتّخذ الجنود متاريس على سطوح المنازل، وقبيل السادسة صباحاً، داهمت القوة مركز النقيب الأشقر الذي كان يتجمّع فيه نحو ٣٠ ضابطاً وجندياً، فأطلقت عليه ٣ قذائف آر.بي.جي، وأنذرت الجنود بمكبّر للصوت داعية إياهم للإستسلام، وواصلت إطلاق القنابل والقذائف الصاروخية ورشقات الرصاص على الجهات الشمالية والغربية من المنزل. وروى أحد الجنود الذين تمكّنوا من الفرار «أن النقيب الأشقر أمرهم بإخلاء المكان والإنسحاب من الجهة الشمالية بإتجاه الغابة والوادي المجاورين. قفز الجنود من الطابق الثاني ما عدا ستة عناصر وقعوا في الأسر وسابع أصيب في كتفه ورئته، وكان النقيب الأشقر آخر من ترك المركز، حيث أصيب أثناء انسحابه في فخذه، وسار نحو ١٢٠ متراً، وطلب الساعة السابعة صباحاً من مرافقيه الإنسحاب وتركه».

ورجّحت بعض المعلومات أن يكون تمّ اعتقال النقيب الأشقر وذلك لوجود آثار دماء وخطوات في مكان توقيفه. واستنتجت بعض المصادر أنّ النقيب الأشقر أصيب بالرصاص قبل نقله بواسطة سيارة إسعاف الى مستشفى أبو جودة في جلّ الديب، حيث لم يتمكّن الطبيب المناوب من القول إلاّ أنه مات، ثمّ نقلت جثّة الأشقر الى المستشفى العسكري.

وروى شهود أنّ طائرتي هليكوبتر حلّقتا في المكان أثناء المداهمة حيث تمّ إبلاغ من فيهما أن المهمة قد أنجزت.

وقالت مصادر عسكرية أن عملية الدهم تمّت تنفيذاً للأوامر التي أصدرها قائد الجيش فيكتور خوري على إثر إحالة النقيب الأشقر والملازم خرياطي و٣ ضباط آخرين على القضاء العسكري بعد اتهامهم بمهاجمة مركز للجيش في نهر الموت والاستيلاء، بالتعاون مع مسلحين مدنيين، على أسلحة والاعتداء على عناصر المركز واحتجاز آخرين والفرار من الجيش بمؤامرة.



مقر النقيب الأشقر في البياضة

وذكرت هذه المصادر أن القيادة أفسحت في المجال أمام النقيب الأشقر ورفاقه لتسليم أنفسهم الى الأجهزة العسكرية المختصة تمهيداً لمحاكمتهم، الا انهم لم يفعلوا واستمروا في اصدار بيانات باسم «القيادة الثورية للجيش اللبناني»، وكان آخرها بيان صدر في ١٩٧٨/١٠/٢٧، وانتقد فيه مصدروه قرار إحالتهم عل القضاء العسكري ومساواتهم بضباط «جيش لبنان العربي».

وأضافت هذه المصادر انه منذ ذلك الوقت والشعبة الثانية تواصل استقصاءاتها لمعرفة مكان وجود النقيب الأشقر وضبّاطه وعناصره، الى ان تحدد في قرنة شهوان.

كيف تمّت العملية؟

المصادر العسكرية أوضحت أن مقرّ الأشقر طوّق في السادسة والدقيقة ٥٥ صباحاً، وأن النقيب أنذر بوجوب الاستسلام مع عناصره، إلاّ أنّه لم يمتثل للإنذار وأطلق أحد عناصره الجندي ميشال عساف النار على قوة «المكافحة» التي كانت تدعمها الآليات، فردّت القوة على النار بالمثل وأصابت الجندي عساف في كتفه.

وتكرّر الإنذار للنقيب الأشقر ورفاقه، وأبلغوا أنّ مصيرهم سيكون كمصير رفيقهم اذا لم يستسلموا، في حين أن

سلامتهم مضمونة في حال الاستسلام، فتجاوب مع الإنذار عدد من العسكريين، لكن النقيب الأشقر أطلق النار وحاول الفرار، فتبادل معه عناصر «المكافحة» النار واقتحموا مقره، فأصيب بجرح بالغ وقبض عليه. وانتهت العملية في السابعة والربع.

وقالت المصادر العسكرية إن رجال «المكافحة» حاولوا إسعاف الجريح في أثناء نقله الى المستشفى العسكري المركزي لكنه فارق الحياة.


الصورة الأخيرة للنقيب الأشقر

وقد صودرت الأسلحة والمعدات التي كانت في حوزته وحوزة رفاقه، وهي أسلحة فردية ومتوسطة من عيار ١٢.٧ وقاذفات «آر.بي.جي.» وبعض السيارات.

وأبلغ قائد الجيش العماد فيكتور خوري فور وصوله بعد الظهر الى بيروت، عائداً من باريس، تفاصيل العملية، فاستوضح ظروف مقتل النقيب الأشقر وطلب إعداد تقرير مفصل.

والنقيب الأشقر كان أحد الذين مثلوا أمام لجنة التحقيق المشتركة اللبنانية - السورية التي شكلت بعد حوادث الفياضية التي وقعت في شهر شباط الماضي، واستجوب للحصول عل معلومات عن تلك الحوادث.

بلاغ قيادة الجيش

وأصدرت الشعبة الخامسة في قيادة الجيش بلاغاً هذا نصه:

«بناء على توجيهات العماد خوري قائد الجيش استكملت قيادة الجيش (الشعبة الخامسة) ليل ١٩٧٨/١٠/٣١ جمع كل المعلومات المتعلقة بما يسمى «حركة الجيش اللبناني الثوري» التي استولت عنوة على سيارات عسكرية وخطفت عسكريين، خصوصاً لجهة التمركز السري لعناصر هذه الحركة.

وقد توجهت صباح ١٩٧٨/١١/١ عناصر من المكافحة التابعة لقيادة الجيش (الشعبة الثانية) الى مركز وجود عناصر الحركة وطوّقتها وأنذرتها بوجوب الاستسلام، الا أن قائد الحركة النقيب الفار سمير الأشقر بدأ باطلاق النار على عناصر المكافحة وأمر مسلحيه بفتح النار من كل الأسلحة.

أحكمت عناصر المكافحة الطوق وأنذرت الجميع بالاستسلام للمرة الثانية فلم تذعن عناصر الحركة لذلك، متابعين إطلاق النار، مما حدا عناصرنا على اقتحام المركز واحتلاله في سرعة فائقة.

أصيب النقيب الفار سمير الأشقر اصابة خطرة والجندي ميشال عساف، كلاهما من العناصر المتمردة، ونقلا الى المستشفى العسكري المركزي.

تمّ الاستيلاء على كلّ المعدات والآليات والاسلحة الموجودة في المركز، واعتقل الملازم الفار سليم خرياطي و١٢ عنصراً تابعين للحركة.

لم تقع في صفوف عناصر المكافحة أية اصابة تذكر.

ان قائد الجيش، حرصاً منه على أمن الجيش، يذكر بما جاء في بلاغاته السابقة من أن كلّ محاولة ترمي الى التعرض للجيش أو المسّ بكرامته وأمنه ستقمع في مهدها».



النقيب المغوار سمير الأشقر كان متأهّلاً حديثاً من الآنسة مرسال حداد، وهو دخل المدرسة الحربية عام ١٩٦٢ متوسّلاً الوساطة لأنّه كان وحيداً بين أربع بنات، لكنّه حقّق المرتبة الأولى في امتحان الدخول وحلّ طليعاً لدورته في إختصاص المشاة.

- تابع دراسته الجامعية ونال ماجستير في العلوم الإقتصادية ودبلوم في العلوم السياسية من جامعة القدّيس يوسف.

- بعد تخرّجه من المدرسة الحربية، التحق بفرقة المغاوير وقاد معركة بمواجهة الفلسطينيين في وادي السلوقي في الجنوب العام ١٩٦٩، ونال وسام الحرب.

- تابع دورة للمغاوير في مصر، فتفوّق وعاد الى لبنان ليتولّى تدريب فرق مغاوير الجيش اللبناني.

- في العام ١٩٧٣، كُلّف على رأس سرية من المغاوير بإخراج الفلسطينيين من منشآت المدينة الرياضية، وسيطر عليها في أقلّ من ساعة، وترك الفلسطينيون وراءهم ٩٠ جريحاً مقابل جريح واحد من

الجيش اللبناني، فقلّدته القيادة وسام الحرب الثاني.

- في أوّل الحرب عامي ١٩٧٥-١٩٧٦، شارك الأشقر في معارك «الهوليداي إن» والأسواق التجارية بمواجهة الفلسطينيين، وفي بناية فتّال تعرّض لإصابة خطرة في صدره، فلازم المستشفى ٤٠ يوماً، ثمّ استدعته الجبهة اللبنانية لإقتحام تلّة المير أقوى حصون مخيّم تلّ الزعتر.

- تولّى العام ١٩٧٧ قيادة معسكر تدريب أغرار المغاوير، وشكّلت معركة الفياضية في شباط ١٩٧٨ نقطة تحوّل وانتفاضة قادها الأشقر بمواجهة الوجود السوري في لبنان.

- بعد معركة الفياضية، مثل النقيب الأشقر مع آخرين أمام المحكمة العسكرية التي شكّلت.

- بعد سبعة أشهر على معركة الفياضية، وخلال اجتماع سامي الخطيب وجوني عبدو موفدان من الرئيس سركيس مع رئيس الأركان السوري حكمت الشهابي في ٦ ايلول ١٩٧٨ لمطالبة السوريين تنفيذ اعادة انتشار في المناطق المسيحية والإنسحاب من محيط الأشرفية قال لهما الشهابي: «هل يجوز أن نلقي القبض على أحمد الخطيب ونضعه في السجن في حين يبقى سمير الأشقر وابراهيم طنوس المسؤولان عن عملية الفياضية يسرحان ويمرحان بحرية؟ سكتنا عن مسألة الفياضية إكراماً للرئيس سركيس، وكان من المفروض أن ندمر الثكنة، أو أن تحكموا بالاعدام على المسؤولين عن هذا الحادث المجرم . ولكن لم يحدث هذا ولا ذاك.

ان هذا الاستهتار لا يخدم قضية الجيش اللبناني ... لا يمرّ يوم من دون أن يسقط قتيل من القوات السورية المرابطة في لبنان. وفي كلّ يوم مأتم في قرية سورية... وكيف نفسر للشعب السوري سقوط مئتين او ثلاثمئة جندي قتيل في لبنان. وفوق ذلك تريدون ان تقبل دمشق انسحاب القوات السورية تدريجيا من المناطق المسيحية؟»[1] .

في عمليّة اقتحام نفذتها "المكافحة"

مقتل النقيب سمير الاشقر واعتقال ملازم وَ ١٢ عنصرًا

القيادة: سنقمع كل تعرّض للجيش

"النهار" - "الاتحاد اللبناني" الجمعة ١٩٧٨/١١/٣

موكب بطرس يتعرض لاعتداء في الاشرفية وهو في طريقه الى القصر

مسلحون قطعوا الطرق وكمنوا في حديقة مار نقولا وأمطروا الموكب برصاص وقذائف فجرحوا ٤ واحتجزوا ضابطًا

قيادة الجيش: مجموعة حزبية نفذت العملية من دون علم قيادتها السياسية شمعون والجميل يستنكران والكتائب تعلن وضع امكاناتها في تصرف التحقيق



الاعتداء على موكب بطرس: ٤ جرحى واحتجاز ضابط ومقتل مسلحين

الجيش: العملية نفذتها مجموعة حزبية من دون علم قيادتها السياسية (ص٣)

١- السلام المفقود كريم بقرادوني.

مجزرة البقاع

في أقصى البقاع الشمالي الى الشرق من نهر العاصي، شمال بعلبك على الحدود اللبنانيّة - السوريّة تطالعك واحة خضراء هي آخر قرية على خط بعلبك حمص. انها القاع قرية بقاعية شامخة، أبناؤها ألفوا التراب الذي سقوه من عرق جبينهم ولم يبخلوا بدمائهم.

يحدّ القاع شرقاً سلسلة جبال لبنان الشرقية، وغرباً نهر العاصي، وشمالاً سوريا، وجنوباً خراج بلدة راس بعلبك. تبلغ مساحتها نحو ١٧٤ مليون متر مربّع معظمها أراض زراعيّة والزراعة موردها الأول والأخير.

يبلغ عدد سكّان القاع اليوم نحو ١٣٠٠٠ نسمة، يقطنها منهم ما لا يزيد على الألفين، ويعود ذلك إلى أسباب عدّة أهمّها الحرب وانقطاع المياه عن البلدة.

ليل ٢٧ -٢٨ حزيران ١٩٧٨، وفيما أهالي القاع يستعدون لإحياء ذكرى شهدائهم السبع الذين سقطوا دفاعاً عن قريتهم العام ١٩٧٥. أقدمت الوحدات الخاصة السورية على اعتقال ١٥ شاباً من القاع و٦ من رأس بعلبك و٥ من جديدة الفاكهة بحجة إجراء تحقيق تعوّد عليه أبناء المنطقة من قبل القوى المولجة حفظ الأمن في لبنان، واقتيد هؤلاء الشبان الى منطقة تبعد عن القاع حوالي ٣٠ كيلومتراً حيث جرت تصفيتهم في منطقة تدعى وادي الرعيان.



بلدة القاع من الجو

تقريران سرّيان

في ٣٠ حزيران تلقّت المراجع العليا تقريرين عسكريين يصفان تفاصيل المجزرة التي نفذت في البقاع.

التقرير الأول يوضح عملية الاختطاف التي تعرّض لها الشهداء، والثاني يوضح كيف نقل المخطوفون في سيارات عسكرية، الى حيث جرت تصفيتهم بشكل رهيب. كما أوضح التقرير أسماء ثلاثة ملثمين رافقوا وأرشدوا العسكريين الذين نفذوا المجزرة.

ونشرت جريدة العمل الصادرة يوم الأحد ٢ تموز ١٩٧٨ التقريرين بالنصّ الحرفي مستبدلة التسميات الصريحة لمنفّذي المجزرة باصطلاحات باتت معروفة عند اللبنانيين.

الاختطاف

التقرير العسكري الأول خُتم بكلمة سرّي للغاية، وهو يحمل تاريخ ٢٨ الجاري سجل ٢٩٥/٣٢، ونص على ما يلي:

«حول دخول قوة غير مدنية وغير لبنانية بلدة القاع وتفتيش بعض المنازل وإلقاء القبض على أشخاص عدة.

... ليل ٢٧-١٩٧٨/٦/٢٨، وحوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، قامت قوّة من القوات غير المدنية وغير اللبنانية بتطويق بلدة القاع، وداهمت بعض المنازل وألقت القبض على كلّ من:

- عقل جميل نصرالله والدته ترولية - حنا جرجس مطر والدته أدوم - كميل فرحان والدته زكوة - حبيب رزوق نصرالله والدته فرحة - ايليا مطانيوس البيطار والدته اميليا - موصوف الياس البيطار والدته نبيهة - مطانيوس يوسف مطر والدته فكتوريا - يوسف حبيب البيطار والدته لوريس - خليل جرجس فرحة والدته اليز - ايليا جرجس مطر والدته أدوم - ميشال خليل مطر والدته شفيقة - رياض مطانيوس نصرالله والدته شفيقة - ميلاد مطانيوس نصرالله والدته شفيقة - جورج مطانيوس نصرالله والدته شفيقة - فياض جودت عوض والدته ملوي.

... كما أقدموا على ضرب الجندي اللبناني جورج فارس عوض والدته جلول ووالده فارس وبطرس عوض والدته مريم عمرها ٧٥ سنة، حيث كانا موجودين في بستانيهما يسقيان مزروعاتهما، وسلبوا من الجندي المذكور مبلغ مئتين وخمس وعشرين ليرة لبنانية، وآلة تسجيل من داخل سيارته الخاصة، وبعض الأغراض الأخرى، وكانت السيارة متوقّفة بالقرب من البستان، فاستولوا عليها بضع ساعات واتّجهوا بها الى جهة مجهولة، ثم أعادوها وأوقفوها على الطريق العام بالقرب من بستان الجندي المذكور... الذي قال: أجهل الأسباب التي دفعت هذه القوات للقيام بهذا العمل... أرجو أخذ العلم».

المجزرة

- التقرير الثاني خُتم أيضاً بكلمة سري للغاية، وهو بعنوان: تقرير حول كيفية حصول اغتيال الضحايا في منطقة رأس بعلبك والفئة التي قامت بالتنفيذ.

«- أولاً: الساعة السادسة من بعد ظهر الثلاثاء في ٢٧-٦-١٩٧٨ قامت عناصر غير مدنية وغير لبنانية بقيادة الرائد علي ديب (...) بنزع لباسها العسكري، وارتدت ألبسة مدنية، يقدّر عددها بمئتي عنصر، وذلك على مرأى كثيرين من سكان المنطقة، ومنهم المدعو (قماش) من بلدة الهرمل.

- ثانياً: في الساعة الواحدة والنصف ليلاً، قامت فئة من هذه القوات يقدّر عددها بأربعين عنصراً مزودين بأسلحة فردية من نوع كلاشينكوف، وبينهم ثلاثة أشخاص ملثمين، بالتوجه الى بلدة رأس بعلبك، حيث اقتادوا منها ستة أشخاص وهم: فايز أنطوان مراد - ادوار سعدالله العرجا - عيد نخله منصور - هاني شكور البيطار - ايليا نقولا لويس - ريمون عقل مراد وأكثرهم من الطلاب لا يزيد عمرهم عن ٣٥ سنة. وفي الساعة نفسها من التاريخ نفسه، قامت مجموعة أخرى بمداهمة بلدة الجديدة، وهذه المجموعة تابعة للمجموعة التي داهمت بلدة رأس بعلبك، واقتادوا معهم خمسة أشخاص وهم: يوسف شفيق نصر - خليل طنوس الخوري - محسن جورج خوري - حنا لبيب عون - سامي يوسف الحسواني.

- ثالثاً: قامت قوة من نفس المجموعة يقدّر عددها بستين عنصراً، بمداهمة بلدة القاع وكانت تحمل لائحة إسمية بأسماء بعض أهالي القاع، حيث اعتقلتهم في منازلهم كما جاء في تقرير رسمي من السلطات الرسمية يحمل رقم ٣٢-٣٠٥ المرافق ربطاً والتقرير الأول).
- رابعاً: في بلدة رأس بعلبك استولت القوة المهاجمة بالإضافة الى الذين ألقت القبض عليهم على مبلغ أحد عشر ألف ليرة لبنانية وثلاثمئة ليرة سورية من منزل المدعو سعدالله العرجي، وخمسة آلاف وخمسماية ليرة من منزل المرحوم أنطوان مراد، حيث كانت زوجته قد قبضت هذا المبلغ كفدية عن زوجها الذي توفي بحادث سيارة.
- خامساً: لدى استيضاح رجال الأمن عن مصير المخطوفين، أشارت إحدى النساء من قرية البزالية بأنها شاهدت سيارات عسكرية تابعة لقوات الردع (...) تنقل أشخاصاً مدنيين شرقي البلدة وسمعت فيما بعد دوي إطلاق الرصاص بغزارة حيث عادت السيارات خالية من الأشخاص.
- سادساً: انتقل أحد رجال قوى الأمن الى المنطقة المشار اليها من قبل المرأة، فوجد جثث ٢٦ شاباً مكبلي اليدين من الوراء ومرمية في تلك المحلة حيث مزّق الرصاص أجسادها بكثرة. وبعدما حاول رجل الأمن تناول هوية أحد القتلى لمعرفة صاحبها، فأطلق عليه عيار ناري من أحد أفراد قوة الردع (...) الذي كان كامناً بالقرب من مكان الجثث، وأمره بمغادرة المكان فوراً، وإلاّ يكون مصيره كمصير رفاقه اللبنانيين. أقفل رجل الأمن عائداً، وأثناء مغادرته المكان التقى بضابط من الردع (...) ومعه قوة من عناصره فاستعلم منه عمّا شاهد فأخبره بالأمر، وقد اصطحبه معه ثانية الى مكان الجثث وأمره بتفتيش أحدهم لمعرفة جنسيتهم فامتثل، وبعد أن تبيّن للضابط (..) بأن الجثث هي لأبناء قرى رأس بعلبك والقاع والجديدة نصح رجل الأمن بمغادرة المكان بدون أن يدلي بأية معلومات عما شاهده.
- سابعاً: قبل معرفة مكان وجود الجثث راجع رجال الأمن في تلك المنطقة المسؤول عنها عسكرياً الرائد علي ديب المتمركز في محلة العاصي، فنفي أن يكون عنده أي علم بذلك وصرّح بأن منطقة رأس بعلبك القاع تابعة للنقيب (...) الموجود في قرية العين.
- ثامناً: راجعت قوى الأمن النقيب المذكور (...) لمعرفة مصير المخطوفين فأفادها بأنه ليس لديه أي علم، وقال أن عصابات مسلحة من جرد الهرمل قامت بالعملية، علماً بأن المنطقة هذه تحرسها حواجز كثيفة من قوات الردع (...) ولا يمكن لأي كان التجوّل فيها، ولا سيما ليلاً الاّ بمعرفة هذه القوات.
- تاسعاً: ان أهالي هذه القرى تحدّثوا مع الخاطفين، وبعضهم شرب القهوة في منازلهم وأفادهم أنهم من قوات الردع (...) ويريدون اصطحابهم معهم للتحقيق.
- عاشراً: الأشخاص الملثمون الذين كانوا برفقة القوة المداهمة والذين تولوا ارشادها هم: حكمت الياس سمعان، وهو قومي سوري ومدرّس في مدرسة التكميلية الرسمية، وادوار يوسف رزق وهو طالب وادوار مخيبر مراد وهو طالب وجميعهم من رأس بعلبك».

وثائق وتقارير رسمية

المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي -وحدة الدرك - سرية بعلبك-
فصيلة بعلبك -العدد ٣٠٢/٧-تاريخ: ١٩٧٨/٦/٢٨
أعطي بناءً لتكليف جانب النيابة العامة التمييزية -محضر رقم ١١٩٤/م/٢٠٠٧ تاريخ ٢٠٠٧/٣/١

في الساعة السادسة عشرة من يوم الأربعاء الواقع في الثامن والعشرين من شهر حزيران عام ألف وتسعماية وثمانية وسبعين، نحن الملازم أول علي المكحّل آمر فصيلة بعلبك، نثبت أنه أثناء وجودنا في مركزنا حضر الى مكتبنا العريف علي الدسوقي رئيس مخفر يونين بالوكالة، وأعلمنا أنّه بتاريخه وعند الساعة السادسة عشرة، عثر في محلة وادي الرعيان وفي المشتل الحرجي الواقع بين بلدتي رسم الحدث والبزالية على ستة وعشرون جثة لأشخاص مصابين بطلقات نارية وبعضها مشوه وأنّ الجثث مكتوفة الأيدي والأرجل ولم يتمكّن من معرفة هوية أصحابها.
وجّهنا برقية برقم ١٦٢١ تاريخ ١٩٧٨/٦/٢٨ أعلمنا بموجبها قيادة السرية والمقرّ العام واتصلنا بحضرة النقيب

قائد سرية درك بعلبك الذي أمر بجمع قوة من قطعات فصيلتنا وموافاته الى قيادة السرية للانتقال معاً الى مكان العثور على الجثث. وفور وصولنا الى قيادة السرية، أمر النقيب قائد السرية بإرسال قوة الى مكان العثور على الجثث للمحافظة على الأمن ومنع اقتراب المدنيين وعدم العبث بالآثار المتروكة اذا وجدت. وتوجهت الى مكان الحادث قوة جُمعت من قطعات الفصيلة ومن مفرزتي طوارئ بعلبك، ثم انتقلنا مع النقيب قائد السرية بناء لمكالمة هاتفية من المقدّم قائد منطقة البقاع العسكرية الى ثكنة أبلح حيث اجتمعنا بقائد المنطقة المذكورة ومساعديه العسكريين لتدارس التدابير الأمنية المنوي اتخاذها منعاً لحدوث مضاعفات للحادث. وقد أوفد قائد المنطقة ضابطي الارتباط الرائد سمير أبو ظهر والملازم الأول أحمد شديد الى منطقة الحادث للاتصال بقوات الردع العربية، لتقديم المؤازرة في هذا السبيل. وبناء لإشارة النائب العام التمييزي، انتقلنا مع قائد السرية الى مكان وجود الجثث لانتظار قاضي التحقيق الذي أشار النائب العام المذكور أنه سيوفده الى مكان الحادث مصحوباً بالأطباء الشرعيين والأدلة الجنائية لاجراء التحقيقات اللازمة. وفور وصولنا، أجرينا التدابير اللازمة للمحافظة على المكان، ومنعنا أياً كان من الاقتراب، وقد حضرت دورية من قوات الردع العربية المتواجدة في المنطقة، وشاركتنا في عملية المحافظة على المكان وإبعاد الأشخاص الذين كانوا يتوافدون الى تلك المحلة، وقد وافانا الى المكان المذكور الملازم حسن فرحات آمر فصيلة رأس بعلبك الذي أفادنا بأنه ليل ١٩٧٨/٦/٢٨/٢٧، حضرت عناصر مسلحة مجهولة الهوية وترتدي ألبسة مدنية وبأعداد كبيرة الى بلدة القاع ورأس بعلبك والفاكهة، واختطفت عدداً من الأهالي في القرى المذكورة، وأنه يعتقد بأن الجثث التي وجدت هي عائدة للأشخاص المخطوفين وأنه قائم بالتحقيق المحلي في منطقة فصيلته حول هذا الموضوع. عندها باشرنا بإجراء التحقيق مبتدئين الكشف بعد أن عيننا العريف أمين ساطي رقم ٦٠٢٤ كاتب الفصيلة كاتباً للتحقيق.

تقرير الكشف على المكان

المكان/ وادي الرعيان في منتصف المسافة تقريباً التي تفصل بين بلدتي رسم الحدث والبزالية على طريق عام بعلبك الهرمل وعلى يمين الطريق باتجاه الهرمل يوجد مشتل حرجي عائد لوزارة الزراعة مساحته عدة مئات من الدونمات مصوّن بأسلاك شائكة وأعمدة من الحديد، إنما غالبية هذه الأسلاك والعواميد مقطّعة ومكسّرة أو ملوية في منتصف هذا الحرج، ولجهة الطريق العام يوجد طريق ترابية صالحة لسير المركبات تصل الطريق العام بالحرج المذكور، وعلى مسافة حوالي مئة متر من تقاطع الطريق المذكورة مع المعبد وجدت جثث الضحايا الستة والعشرين موضوعة على صفّ أحادي، يفصل بين الجثة والأخرى حوالي متر ونصف تقريباً، وجميع هذه الجثث مربوطة اليدين الى خلف الظهر والرجلين بحبال رقيقة من الألياف، وقربها برك من الدماء، ما يدلّ أن قتل الضحايا قد حصل في مكان العثور على الجثث التي كانت مصابة بعدد كبير من الطلقات في جميع أنحاء الجسم، وقد تبيّن من وضع الإصابات في أجسام الضحايا أن النار أطلقت عليهم من الخلف، ومن مسافة قريبة لا تتعدّى المتر ونصف، وأن معظم الجثث قد شوّهت من كثرة ما أطلق عليها من عيارات نارية بحيث أن كل جثة أصيبت بأكثر من عشرين طلقة. عثرنا بالقرب من الجثث وعلى مسافة لا تزيد عن المترين على عدد كبير من القذائف الفارغة، وقد تمكّنا من جمع مئتي وخمسين قذيفة منها ضُمّت جميعها الى هذا التحقيق.

- يتّضح من وضع الجثث ومن آثار القذائف على الأرض أن الضحايا الستة والعشرين قد وضعوهم على صف واحد يفصل بين الضحية والأخرى مسافة متر ونصف تقريباً، وأن النار أطلقت عليهم بغزارة من مسافة لا تتعدى المترين بعد أن ربطت أيديهم خلف ظهورهم وأوثقت أرجلهم بالحبال.

- وعند الساعة الواحدة والعشرين من نفس التاريخ حضرت الى المكان دورية من مفرزة زحلة القضائية، فكلفناها الكشف على المكان وأخذ الرسوم الفوتوغرافية للجثث فقبلت التكليف وباشرت عملها فوراً ووعدت بتقديم تقريرها فور إنجازه.

- انتظرنا حتى الساعة الثالثة والعشرين، فلم يحضر قاضي التحقيق الذي وعدنا المدعي العام التمييزي بإيفاده،

ونظراً لإصرار آمر قوة الردع وذوي الضحايا الذين حضروا الى مكان الحادث بوجوب تسليم الجثث لذويها بعد التعرف عليها لأن التعفن بدأ يظهر عليها والروائح الكريهة تنبعث منها، اتصلنا مجدداً بالنائب العام في البقاع الأستاذ جوزف القزي، فأشار بإجراء الكشف المحلي وتكليف طبيبين مجازين من أطباء بعلبك الكشف على الجثث وتسليمها لذويها بعد التعرّف عليها من قبلهم: وبناء لتوجيهات حضرة العقيد قائد الدرك الشفهية وبموافقة النيابة العامة في البقاع، تمّ نقل الجثث الى مستشفى بعلبك الحكومي، حيث كلفنا الطبيبين الدكتور عاصم رعد والدكتور محمد صالح الكشف على الجثث لتحديد أسباب وساعة الوفاة وكلّ ما من شأنه إنارة التحقيق، فقبلا التكليف وباشرا عملهما فوراً ووعدا بتقديم تقريرهما فيما بعد، وقد أنهيا عملهما حوالي الساعة الثالثة من صباح ١٩٧٨/٦/٢٩.

وبعد الإنتهاء من الكشف على الجثث، تمّ التعرّف على أصحابها بواسطة عدد من أقربائهم ومخاتير القرى وسلّمت لذويها وقد تبين أن الجثث عائدة لكلّ من:

١- موصوف الياس البيطار والدته نبيهه عمره ٤٣ مواليد القاع.
٢- ايليا مطانيوس البيطار والدته آماليا عمره ٥٠ مواليد القاع.
٣- حنا جرجس مطر والدته أدوم عمره ٤٠ مواليد القاع.
٤- ايليا جرجس مطر والدته أدوم عمره ٣٥ مواليد القاع.
٥- مطانيوس يوسف مطر والدته فكتوريا عمره ٢٧ مواليد القاع.
٦- جورج مطانيوس نصرالله والدته شفيقة عمره ٢٥ مواليد القاع.
٧- ميلاد مطانيوس نصرالله والدته شفيقة عمره ٢٢ مواليد القاع.
٨- رياض مطانيوس نصرالله والدته شفيقة عمره ٢٧ مواليد القاع.
٩- حبيب رزق الله نصرالله والدته فرحة عمره ٤٠ مواليد القاع.
١٠- كميل فرحات فرحة والدته مريم عمره ٤٢ مواليد القاع.
١١- ميشال خليل مطر والدته شفيقة عمره ٥٠ مواليد القاع.
١٢- يوسف حبيب البيطار والدته لوريس عمره ٢٦ مواليد القاع.
١٣- خليل جرجس فرحة والدته اليز عمره ١٧ مواليد القاع.
١٤- فياض جودت عوض والدته ماري عمره ٣٠ مواليد القاع.
١٥- عقل جميل نصرالله والدته تروليا عمره ٤٠ مواليد القاع.
١٦- ادوار سعدالله العرجا والدته رخصات عمره ١٩ مواليد رأس بعلبك.
١٧- عبدو نخلة منصور والدته غرة عمره ٢٦ مواليد رأس بعلبك.
١٨- ايليا نقولا بولس والدته جميلة عمره ٤٤ مواليد رأس بعلبك.
١٩- ريمون عقل مراد والدته اليزيا عمره ٢٠ مواليد رأس بعلبك.
٢٠- فايز أنطوان مراد والدته مريم عمره ٢٤ مواليد رأس بعلبك.
٢١- هاني شكور البيطار والدته مريم عمره ٣٠ مواليد رأس بعلبك.
٢٢- سامي يوسف الحسوني والدته نزيهه عمره ٢٦ مواليد جديدة الفاكهة.
٢٣- خليل طانيوس الخوري والدته سلمى عمره ٣٥ مواليد جديدة الفاكهة.
٢٤- يوسف شفيق نصر والدته زلفا عمره ٥٥ مواليد جديدة الفاكهة.
٢٥- حنا لبيب عون والدته تقلا عمره ٣٢ مواليد جديدة الفاكهة.
٢٦- محسن جورج خليل الخوري والدته سلمى عمره ٢٥ مواليد جديدة الفاكهة.

نُظّم هذا المحضر في الساعة والتاريخ المذكورين في المقدمة، وخُتم بتمام الساعة العاشرة من يوم ١٩٧٨/٦/٣٠ على ثلاث نسخ ترسل الأولى مع قذائف الفارغة لحضرة النائب العام الاستئنافي في البقاع والثانية لرئيس مكتب المستندات والمحفوظات العامة في الشرطة القضائية والثالثة للحفظ.

كاتب عريف رقم ٦٠٢٤ — ضابط محقق

أمين ساطي — الملازم أول علي المكحل





صور الشهداء في مكان حصول المجزرة كما التقطها الرقيب القضائي نجيب شحاده من مفرزة زحلة القضائية في التقرير رقم ٧٤٩٥


الأب ميشال بركات

روى الأب ميشال بركات خادم رعية الروم الكاثوليك في بلدة الفاكهة ما شاهده في كتابه «شهادة حياة» قائلاً: «حوالى الساعة الواحدة من فجر ٢٨ حزيران، دخل رجال مسلحون يرتدون الثياب المدنية في نفس الوقت إلى القرى المسيحية: القاع ورأس بعلبك والفاكهة، وعرّفوا بأنفسهم أنهم من الأمن السوري بعث بهم قائد القطاع ليأتوه بعدد من الأشخاص كي يستجوبهم في بعض المسائل ثم يعودوا إلى بيوتهم، فكان هؤلاء الجنود يدخلون البيوت بلطف كبير ويسألون عن الشخص المطلوب أن يذهب معهم مؤكدين له ولأهله أنه سيعود إلى بيته عن قريب، وهكذا أوقفوا ٢٦ شاباً اقتادوهم إلى مكان منعزل ومقفر». ويتابع الأب بركات: «مع الأسف الشديد انتظر أهلهم حتى ظهر ٢٨ حزيران ولم يرجع أحد، وبدأ خبر مقتلهم الفظيع ينتشر»، ويكمل: «مساء ٢٨ حزيران استدعاني الرائد السوري علي ديب وكلّفني التوجه إلى بلدة البزالية لنقل ٢٦ جثة وتسليمها إلى أهاليها، فذهبت إلى مكان ارتكاب المجزرة وذعرت عندما شاهدت الجثث مصفوفة بعضها إلى جانب بعض ووجوهها إلى الأرض لأن رصاصاً غزيراً اخترقها من قفا العنق. كان منظراً فظيعاً لا يمكن لكائن بشري تحمله، ثم تمالكت نفسي وأخذت أجمع الجثث بمساعدة بعض الجنود، فكومناها في شاحنتين، بعضها فوق بعض ثم أخذناها كلاً إلى قريتها، وهناك كان المشهد مؤثراً جداً، كان الصراخ والعويل والدموع من كل صوب، ولم نتمكن من نقل الجثث إلى الكنائس إلا بصعوبة كبيرة، وصباح ٢٩ حزيران ودون أن نتمكن من اتمام تلاوة الصلوات الطقسية قمنا بدفن ضحايانا، التي لم ندرك سبب التضحية بها، فخسرنا بذلك بعض أفراد النخبة المسيحية في قرانا البقاعية الشمالية»، ويختم الأب بركات بأنه يستبعد أن يكون الهدف من المجزرة الانتقام لضحايا مجزرة إهدن، ويشير إلى أن هدفها تهجير المسيحيين من منطقة البقاع الشمالي.

بيان الردع

أصدرت قيادة قوة الردع العربية البلاغ الآتي:

«في تاريخ ١٩٧٨/٦/٢٨، وفي الأولى والنصف صباحاً، هاجمت مجموعات من المسلحين يرتدون اللباس المدني قرى القاع ورأس بعلبك وجديدة الفاكهة في قضاء الهرمل - البقاع الشمالي، وخطفت عدداً كبيراً من مواطني هذه القرى واتجهت الى أمكنة غير معروفة. لم يتمكن الشهود العيان من تحديد هوية الخاطفين ولا انتماءاتهم.

وفي السابعة صباحاً، أعلمت قوة الردع العربية وقوى الأمن الداخلي المسؤول عن المنطقة، فتحرّكت هذه القوى على الفور لتبحث عن الأشخاص المحتجزين. وفي الأولى ظهراً، وجدت مجموعة من الجثث في حرج يقع شرق بلدة البزالية، بين قرية السيوة وقرية رسم الحدث، وقد أطلقت عليها النار من أسلحة حربية.

تحرّكت إثر ذلك النيابة العامة وقوى الأمن الداخلي والأدلة الجنائية، وباشرت أعمالها في مكان الحادث للتعرّف على أصحاب الجثث وتسجيل القرائن الأولية للتحقيق، وعززت قوة الردع العربية بإمكانات جديدة لضبط الأوضاع في المنطقة ومؤازرة القوى المحلية في إجراء التحقيقات العدلية لكشف الفاعلين وتحديد الجهة التي تقف وراءهم وتوقيف كل من تثبت علاقته بهذه الجريمة - الكارثة.

وقد أبلغت قيادة قوة الردع العربية، في ساعة متأخرة من هذا النهار، أن عدد الجثث التي وجدت وتمّ التعرف على أصحابها بلغ ٢٣، ولم يعد هناك مفقودين غير هؤلاء».

ردود الفعل


نسوة ينتحبن في جديدة الفاكهة

تركت مجزرة البقاع ردود فعل انعكست على الأوساط السياسية التي أجمعت على استنكارها والمطالبة بمحاسبة المسؤولين عنها.

وقال الرئيس كميل شمعون الذي كان مجتمعاً بالوزير فؤاد بطرس في منزل النائب كاظم الخليل فور ورود المعلومات عن الحادث «ان الضحايا اعتقلت من منزلها وفق قائمة جمعها المهاجمون» وأنه سيراجع الرئيس سركيس في الحادث.

أما الشيخ بيار الجميل فاكتفى بالقول: «اللّه يشفق على لبنان وعلى كل المنطقة».

وفور تلقّيه تفاصيل المجزرة، اتصل البطريرك مكسيموس الخامس حكيم بالرئيس الياس سركيس وبالمسؤولين طالباً التحرك لكشف الفاعلين ومحاسبتهم خصوصاً أن معظم الضحايا ينتمون الى طائفة الروم الكاثوليك.


وفي القاع

وصرح عضو المجلس النائب السابق حبيب مطران ان مجزرة القاع مدبّرة، وأن قرى القاع والفاكهة ورأس بعلبك هوجمت من جميع الجهات واعتقل الشبان المثقفون وذبحوا في منطقة البزالية، أما بالنسبة الى الوزير الكاثوليكي الدكتور أسعد رزق فرأى أن من أولى واجباته الاستقالة فوراً.

في ٢٩ حزيران، عقد مجلس الوزراء جلسة استثنائية برئاسة الرئيس سركيس لمعالجة مجزرة البقاع التي ذهب ضحيتها ٢٦ قتيلاً وبعد الجلسة أعلن رئيس الحكومة سليم الحص ما يلي:

«إن ما حدث في البقاع هو حادث مؤلم وجريمة نكراء لا يمكن أن يقبل بها عقل أو ضمير». ثم أدلى أمين عام مجلس الوزراء الدكتور عمر مسيكة بالمعلومات التالية: «عرض المجلس تفاصيل حادثة خطف وقتل عدد من أبناء القاع ورأس بعلبك وجديدة الفاكهة. وقد ناقش المجلس المعلومات المتوافرة عن هذا الحادث المؤلم الذي حصل في الوقت الذي تعمل فيه الحكومة على تنفيذ جميع التدابير والاجراءات المقررة من أجل توطيد الأمن في مختلف المناطق.


الوزير رزق يعزي في رأس بعلبك

«... واعتبر مجلس الوزراء أن الوضع الناجم عن هذه الحوادث الخطرة يستدعي من جميع اللبنانيين وبصورة خاصة من قياداتهم على مختلف المسؤوليات، بذل الجهود الخاصة قطعاً لدابر الفتنة، وننبه الى ما يحاك ضد سيادة هذا الوطن العزيز وأمنه واستقراره. وفي هذا الإطار سيقوم الرئيس سركيس بإجراء الاتصالات والمشاورات مع قادة البلاد لتبادل الرأي معهم في ما يجب اتخاذه من مواقف تصون البلد وتحفظ أمنه وسلامة أبنائه».

البطريرك حكيم في القصر


البطريرك حكيم

استقبل الرئيس سركيس البطريرك مكسيموس الخامس حكيم يرافقه وفد من المطارنة والسيد هنري فرعون، لإطلاعه على حقيقة ما جرى في البقاع.

ولدى مغادرته القصر الجمهوري، أدلى البطريرك حكيم بتصريح قال فيه: «من المؤسف حقاً ما حصل في القرى التي نحبّها في شمال البقاع، ويؤسفنا نحن شخصياً أن يكون جميع الضحايا البريئة من أبناء طائفة الروم الكاثوليك لا سيّما وأن هذه الطائفة برؤسائها وأعضائها، كانت دائماً مثالاً في الوطنية الصادقة وفي إخلاصها للبنان وفي مسعاها للتقارب بين جميع الأطراف المعنية المتخاصمة».

وأضاف: «وإذا كانت هذه الحوادث الجديدة المؤلمة انتقاماً لحوادث سبقتها، فنحن نستنكر كل العنف من أي مصدر صدر، ونأسف أن يقع بنوع خاص على أبرياء ضعفاء. واننا كمسيحيين متمسّكين بتعاليم الإنجيل، ندعو الجميع الى المسامحة وعدم الأخذ بالثأر، ولا سيّما أن فخامة الرئيس مع الحكومة والجيش ساهرون ويسعون لتحقيق كل ما من شأنه تهدئة الأمور».

وأكّد حكيم أن بين القتلى اثنان أو ثلاثة فقط منتسبون للأحزاب.

ولمحاولة إبعاد الشبهات عن المنفذين الحقيقيين، عمد البعض الى تشييع أخبار أن المجزرة حصلت رداً على مجزرة إهدن... وقد نقلت الصحف الصادرة نهار الجمعة ١٩٧٨/٦/٣٠ تصريحاً للرئيس شمعون بعد إجتماع الجبهة اللبنانية اعتبر فيه أن اتهام الزغرتاويين في مجزرة البقاع الشمالي «كاذب كاذب كاذب» وهو يعرف الذين قاموا بهذا العمل البربري وسيكشفهم قريباً. وذكر جورج فرشخ في كتابه «سليمان فرنجية شهادات وذكريات» في الصفحة ٥٨، أن الرئيس فرنجية استاء كثيراً حين بلغته أنباء مجزرة القاع، وأبلغ استياءه لمن يهمه الأمر، وباللهجة التي تتجاوز بكثير حدود الاستنكار الديبلوماسي.


شمعون: من يتهم فرنجية كاذب كاذب كاذب

أما دمشق وفي أول تعليق رسمي نقلته وكالة سانا الرسمية في ٣٠ حزيران اتهم المعلّق السياسي «عملاء جريمة إهدن» بتنفيذ المجزرة، معتبراً الإشاعات التي تنشر حول ظروف الجريمة هي محاولة لتضييع التحقيق ونشر البلبلة بين الأهالي، وأعلن «إدانة سوريا بشدة لهذه الجريمة البربرية التي لا يستفيد منها سوى أعداء لبنان لتفجير الوضع الأمني وإعادة طرح مخطط التقسيم وهو الأمر الذي لن تسمح به دمشق على الإطلاق».

اجتماع المجلس الكاثوليكي

على أثر الكارثة التي حلّت بقرى القاع ورأس بعلبك وجديدة الفاكهة فزهقت أرواح عدد من أبنائها الأبرياء، عقد المجلس الأعلى لطائفة الروم الكاثوليك جلسة طارئة برئاسة غبطة البطريرك مكسيموس الخامس حكيم، واستمع الى شهود عيان من أبناء قرى المنطقة ثم قرر ما يلي:

أولاً: استنكار المجزرة الجماعية البشعة.

ثانياً: ادانة مرتكبيها والمطالبة بإنزال أشد العقوبات بهم أياً كانوا.

ثالثاً: طلب إرسال وحدات من الجيش اللبناني الى قرى البقاع وخصوصاً الى القرى المصابة.

رابعاً: الطلب من أبناء المنطقة عسكرياً ومدنياً ضبط النفس، بانتظار نتيجة التحقيق، واتخاذ التدابير الرادعة.

خامساً: وضع المعلومات التي توفّرت لدى المجلس تحت تصرف السلطات المختصة لإنارة التحقيق ريثما يصدر المجلس هذه المعلومات بكتاب أبيض.

سادساً: مطالبة الدولة بالعمل الجدي لمنع تكرار هذه المجزرة، في مناطق مشابهة معرّضة للخطر نفسه.

سابعاً: اعتبار مصاب الطائفة مصاب لبنان ككلّ.

ثامناً: اعلان يوم السبت أول تموز ١٩٧٨، يوم حداد وطني وتشاء الصدف أن يقع هذا اليوم في الذكرى الثالثة للهجوم السابق على قرية القاع - ويطلب المجلس من جميع اللبنانيين المشاركة في هذا اليوم.

تاسعاً: قيام وفد من المجلس الأعلى وأساقفة الطائفة برئاسة غبطة البطريرك بزيارة القرى المنكوبة لمؤاساة ذوي الضحايا، يوم الأحد الواقع في ٩ تموز ١٩٧٨، انطلاقاً من مطرانية الروم الكاثوليك في زحلة الساعة التاسعة صباحاً.

عاشراً: اعتبار جلسات المجلس مفتوحة لمتابعة التطورات واتخاذ المواقف المناسبة.

في أثناء اجتماع المجلس الاعلى لطائفة الروم الكاثوليك، ورد إلى المجتمعين ان العقيد اميل كلاس قائد موقع جبل لبنان قدم استقالته احتجاجاً على رفض بعض المسؤولين اتّخاذ تدابير فورية وجدّية بالنسبة الى احداث البقاع.

وعمل محافظ البقاع هنري لحود والمسؤولون العسكريون في منطقة البقاع على تهدئة الوضع وطالب أهالي القرى الثلاث المنكوبة المسؤولين بارسال الجيش اللبناني الى منطقتهم وتأمين الحماية واعادة الطمأنينة الى النفوس.

في ٢٩ حزيران، لمّح الرئيس كميل شمعون والمحامي شاكر ابو سليمان وحبيب مطران الى أن وراء مجزرة البقاع عناصر غير لبنانية.

في ٣٠ حزيران أعلنت دمشق موقفاً رسمياً من الهجوم الذي استهدف قرى البقاع الثلاث وادانت «الجريمة التي ارتكبها العملاء الذين نفذوا مجزرة اهدن»، ووضعت سوريا الشائعات التي روّجتها أجهزة إعلام حزب الكتائب وقيادات «الجبهة اللبنانية» امام علامات استفهام كبيرة قلبت الموقف السياسي راساً على عقب.

في ١ تموز، تجاوبت المنطقة الشرقية من بيروت ومناطق بعبدا والمتن وكسروان وجبيل والبترون وزحلة مع دعوة المجلس الأعلى لطائفة الروم الكاثوليك وشاركت في يوم «الحداد الوطني» استنكاراً لمجزرة البقاع وقد أقفلت المتاجر والمؤسسات الصناعية والمدارس وشلّت الحركة كلياً وكان طابع الاضراب سلمياً وهادئاً.

وجّه المجلس المحلّي لطائفة الروم الكاثوليك في لبنان مذكرة الى الرئيس الياس سركيس طالب فيها بإحالة المجزرة الى المجلس العدلي.

محطّات في تاريخ القاع

هوجمت القاع ثلاث مرات في التاريخ الحديث:

في العام ١٩٥٨ من قبل الثوار وحلفائهم من خارج الحدود... وصمدت

في ١ تمّوز ١٩٧٥، تعرّضت لما عرف بالغزوة، عندما طُلب من أهاليها تسليم أسلحة الكتائبيين كي تسلم البلدة، فقبل أهالي القاع، وفيما المفاوضات جارية قام نحو عشرة آلاف مسلح من بعض الأحزاب والفلسطينيين بهجوم على البلدة التي صمدت.

ففي فجر ذلك اليوم، قطعت عن البلدة المياه التي تغذّيها من منابع اللبوة، وعند الساعة ١٢ ظهر اليوم نفسه، وصلت طلائع الحملة الى رأس بعلبك، أي مفرق الهرمل، بقيادة دندش دندش، وعندما اكتمل التجمع في الساعة الواحدة بعد الظهر، وجه القائد الى أهل البلدة انذاراً يمهلهم فيه ساعتين فقط لتنفيذ مطالبه وأبرزها أن يوقّع الكتائبيون بياناً بانسحابهم من الحزب والا شن عليهم هجوماً ماحقاً.

على الفور اجتمع المسؤولون في القاع، وفي نيّتهم أن يجنبوا البلدة والمنطقة شرّ نشوب نزاع مسلح واستدعوا الكتائبيين الذين وضعوا أنفسهم بتصرف البلدة في سبيل استمرار السلام في المنطقة. غير أن السيد دندش لم ينتظر حتى نهاية المهلة، بل زحف على البلدة.

بدأ الهجوم من الجهة الجنوبية، فاجتاح المسلّحون قسماً كبيراً من بساتين البلدة، وتوغّلوا حتى بلغوا مدخلها مستفيدين من مهلة الإنذار الباقية، ووجهوا أولى قذائفهم الى الكنيسة ومخفر الدرك القائم بجوارها. وإذ ذاك تنادى القاعيون الى السلاح وتراصت أحزابهم صفاً واحداً، القوميون والشيوعيون جنباً الى جنب مع الكتائبيين والأحرار لردّ الهجوم عن البلدة. وانطلقت المقاومة بضراوة شديدة.

وعند الساعة الثانية والربع، بدأ الهجوم من الجهة الغربية، أي من جهة طريق الهرمل - القاع بأشد ضراوة، فصدّته البلدة وجمدته على نحو ٣ كيلومترات منها حتى الساعة التاسعة ليلاً. ومع حلول الظلام تراجعت جبهة الدفاع حتى مداخل البلدة لكي تجعل المهاجمين في متناول أسلحتها الخفيفة التي لا تملك سواها.

واستمر القتال على مختلف الجبهات الى ما بعد الساعة الثالثة صباحاً. وإذ يئس المهاجمون من دخول البلدة راحوا يحرقون المزارع وينهبون المنازل المنفردة ويضرمون النار في بعضها... ثم أفرغوا على البلدة كل ما تبقى لهم من صواريخ وقنابل، لم ينفجر عدد كبير منها، ففجرته قوات الجيش عند دخولها البلدة في صباح اليوم التالي...

سقط بنتيجة المعركة سبعة شهداء هم: بطرس شحود ووالده جميل شحود، جورج عاد، ابراهيم نصرالله (وفي مجزرة العام ١٩٧٨ سقط للشهيد ثلاثة أبناء)، نخلة رزق، شحادة التوم، حنا نادر..

حرب المئة يوم

هذه الحرب التي استمرّت لأكثر من ثلاثة أشهر، وخلّفت مئات القتلى والجرحى من المتقاتلين والمدنيين، ودماراً هائلاً، نزح بنتيجتها نحو ٦٠٠ ألف مواطن من منازلهم، واستمرّت من أول تموز ١٩٧٨، حتى ٧ تشرين الأول ١٩٧٨، بين القوات السورية التي كانت تهدف الى استكمال سيطرتها على المناطق المسيحية، وخصوصاً الأشرفية وعين الرمانة والحدث، وقوى الجبهة اللبنانية التي سعت الى إبعاد القوات السورية عن تلك المناطق وتأمين منطقة حرة يمكّنها من خلالها استعادة المبادرة.

كانت الجبهة اللبنانية تعتبر أن سيطرة السوريين على بيروت بشقّيها الشرقي والغربي يعني زوال أي أمل للمقاومة وزوال لبنان الحرّ المستقل، فيما كانت سوريا متأكدة أنّ سحق معاقل القوى اللبنانية في المنطقة الشرقية، هو خطوة أساسية للسيطرة بالكامل على القطر الشقيق.... فالحركة الوطنية أصبحت تحت السيطرة التامة بعد اغتيال كمال جنبلاط، والفلسطينيون كذلك، وبقيت عقبة واحدة هي المناطق المسيحية في بيروت بعد سقوط الشمال بنسبة تسعين في المئة.

بدأت قوى الجبهة اللبنانية التفكير في كيفية تثبيت حضورها وإبعاد السوريين من محيط مراكزها، وكان الهدف الأول إبعاد السوريين من محيط المجلس الحربي ومنطقة الكرنتينا والمرفأ، وسعت الجبهة اللبنانية لإخراج قوات الردع السورية من بيروت أو إستبدالها بقوات ردع أخرى سعودية أو يمنية أو سودانية.....

أصدر بشيرالجميل والرئيس كميل شمعون أوامر الى المحازبين بعدم الرضوخ للضغوط السورية والبدء بمقاومتهم وإزعاجهم، وخصوصاً في محيط المراكز الحزبية، وقامت مجموعات من نمور الاحرار وحزب الكتائب بتطويق معظم مراكز السوريين في بيروت الشرقية وفي كسروان وجبيل، وطلب الرئيس شمعون عدم اقتحام هذه المراكز أو التحرّش بها في الفترة الاولى، فإنسحب السوريون منها من دون معارك.

التضييق على المحازبين



الرئيس شمعون والشيخ بشير

أحسّ شباب الكتائب والاحرار بالضغط السوري من خلال بدء توقيفهم على الحواجز واستدعائهم الى مراكز المخابرات، ومحاولات استفزازهم واستدراجهم الى مواجهات.

في إحدى المرات، كان بشير مع بعض الشباب يسيرون في ساحة ساسين في الأشرفية عندما مرّت دورية راجلة للوحدات الخاصة السورية مؤلفة من فصيلة (٣٠ عنصراً)، وعرف الضابط المسؤول عنها بشير، فأمر جنوده بتطويقه مع رفاقه، وبدأ يوجّه اليه الشتائم والكلام النابي، وكان بشير يطلب عدم الردّ ويقول لمن معه «لا أريد أن يجيبهم أحد». اتّصل أحد الشباب بجان ناضر رئيس منطقة الأشرفية في الكتائب، فتدخّلت لجنة الارتباط وانتهى الموضوع دون أن يتطور.

في بداية أعمال المقاومة في بيروت، كان الشباب يقومون برشق السوريين بالحجارة والاختباء بما يشبه الألعاب الصبيانية، ثمّ ما لبث أن تطورت الأمور الى مواجهات قاسية كان أولها اشتباك مجموعة من المقاتلين مع قوة سورية في بناية cake house. حيث سقط قرب مركز حزب الأحرار قتيل للجيش السوري هو أحد مرافقي الرائد محسن سلمان، فعملت لجان الارتباط على تطويق الحادث الذي لم يتطوّر أكثر، وإنسحب السوريون من بناية الـ cake house


داني شمعون

الى بنايتي حبيس وأبو حمد وبرج رزق، وذلك بالاتفاق مع لجنة الارتباط التي كان يتولاها جان ناضر وداني شمعون وأمين الجميل.. وتنسّق مع ابراهيم الحويجي نائب رئيس جهاز الامن والاستطلاع في القوات السورية محمد غانم. (وجّهت إلى الحويجي أصابع الإتّهام في اغتيال كمال جنبلاط).

ثم اتّخذت القيادات الحزبية قراراً بعدم الاقتراب من مراكز السوريين وتركهم يتصرفون كما يريدون الأمر الذي أثار استياء الشباب واشمئزازهم.

إخراج السوريين من محيط المجلس الحربي

كان للسوريين مواقع عدة في محيط المجلس الحربي الكتائبي، اذ تمركزوا في تعاونية الموظفين على مدخل المرفأ، وقرب جريدة العمل وعلى جسر بيروت وفي منطقة النهر قرب مخفر الدرك. وإزاء هذا الواقع، اتّخذ بشير الجميل قراراً بتحرير محيط المجلس الحربي الكتائبي مستغلاً عدم إمكانية إمداد السوريين المطوّقين بأية مساعدة، اذ كان البيت المركزي الكتائبي يقطع طريقهم الى المنطقة الغربية، كما قُطعت عليهم طريق الجسر من جهة الكرنتينا وسليب كومفورت، وكذلك من جهة تعاونية الموظفين، ومن جهة الأشرفية والنهر، وأصبح بقاءهم في محيط المجلس والمرفأ صعب جداً.

نفّذ السوريون انسحاباً تكتياً الى تعاونية الموظفين، وحصلت إشتباكات عندما حاولوا فتح خط من جسر بيروت - جريدة العمل الى تعاونية الموظفين لتأمين طريق الإمداد، فوضع المقاتلون دشماً ومتاريس وأقفلوا الطريق بين بناية صحناوي على مفرق المجلس الحربي حتى البريد بمستوعبات حديدية، وعند محاولة الآليات السورية الدخول الى التعاونية، تمّت مواجهتها واحرقت آليتي BTR، الأولى قصفها بوب حداد بصاروخ «لو» من الطابق الأول في بناية صحناوي (هذا النوع من الصواريخ لم يكن يستخدم سابقاً من قبل مقاتلي الكتائب والاحرار)، ودمّرت الآلية الثانية بقذيفة ب٧، وتمّ أسر جنديين من القوات الخاصة من داخل إطفائية بيروت بعد فرارهما اليها.

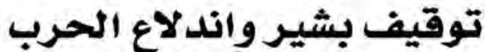
مجموعة من الـSKS بول عنداري، متري، بيار فرح، بوب عواد، ناجي الحصري وسليم عطالله

في غضون ذلك، طوّقت مجموعة من الـ sks التعاونية وبدأت بإطلاق النار على الجنود السوريين فيها، فطلب السوريون الانسحاب منها وجرت مفاوضات أدّت الى إنسحاب السوريين من التعاونية الى نهر بيروت وسن الفيل بآليات الـ sks، وسُمح لهم بأخذ سلاحهم فقط، علماً أنّ التعاونية كانت مستودعاً ومركزاً لوجستياً للقوات السورية.

بعد ذلك بدأ التوتر في الأشرفية. وفي أوائل أيار ١٩٧٨، تقدّم السوريون الى شارع قرب مستشفى رزق، فتسلّل شباب الأشرفية بين المنازل ووقفوا بمواجهتهم: أحسّ السوريون الذين كانوا مكشوفين تماماً بذلك، فخافوا وهربوا بإتّجاه أوتيل le Gabriel تاركين وراءهم بعض صناديق الذخيرة والأمتعة والخوذ، التي استولى عليها الشباب ونقلوها الى بيت الكتائب مسرورين. وقبل وصولهم، أبلغ مساعد رئيس جهاز الأمن والاستطلاع الرائد السوري إبراهيم الحويجي لجنة الارتباط بأنّ هناك مجموعة مسلحة استفزّت القوات السورية واستولت على بعض الأعتدة قرب مستشفى رزق، فجنّ جنون جان ناضر وشتم الشباب وأنّبهم لأنهم كادوا يورّطون الكتائب بإشتباك مع قوات الردع، وعمّم مذكرة على مراكز الكتائب في الأشرفية تقضي بمنع فؤاد أبو ناضر وفادي فرام والياس الزايك وإيلي حبيقة .... من دخول بيوت الكتائب في الاشرفية.


حبيقة، فرام، الزايك وأبو ناضر

في منتصف حزيران ١٩٧٨، و قبل اعتقال بشير بأيام، حاولت ناقلة جند سورية من نوع بي تي ار التقدم بإتّجاه فرن الشباك، فأطلقت عليها قذيفة آر بي جي، وانطلق أسعد سعيد وفؤاد أبو ناضر والياس الأسمر من منزل أسعد في فرن الشباك، ومعهم بندقية سلافيا مع ممشّطين حملها فؤاد ورشاش HK ألماني حمله أسعد ومعه صينية رصاص واحدة، وكان مع الأسمر بندقية كلاشينكوف. اشتبك الشباب الثلاثة مع مجموعة سورية كانت تتمركز في مشتل للزهور قرب مأوى العجزة الماروني من جهة الشفروليه، وتمكّنوا من طردها وغنموا قاذفة ب٧ وثلاث بنادق كلاشينكوف تركها الجنود بعد هربهم، ثم أطلق فؤاد قذيفة ب٧ على جيب سوري كان متّجهاً من جهة الـ«سيب» الى «الشفروليه» لمساعدة مركز المشتل فأصابه مباشرة وانفجر.



توقيف بشير واندلاع الحرب

بدأ التوتر يتفاقم يوماً بعد يوم بين مقاتلي الجبهة اللبنانية والقوات السورية. وفي ١ تموز ١٩٧٨، أوقف حاجز سوري في طلعة شارع أديب اسحاق في الأشرفية بشير الجميل ومعه رئيس قسم الدامور الكتائبي إيلي فرداحي ومرافقين اثنين واقتادوهم الى مقر قيادة قوات الردع في برج رزق رغم أنهم عرفوا بشير، الذي كان في طريقه إلى الحدث لعيادة جريحة أصيبت برصاصة قبل أيام.

أطلق بشير بعد نصف ساعة، لكنّ خبر اعتقاله انتقل بسرعة البرق واتصل به ضابط المخابرات السورية المقدم إبراهيم الحويجي لتوضيح ظروف الحادث.


مقاتلو نمور الأحرار

ترافق توقيف بشير مع تدهور خطير للوضع الامني في منطقة عين الرمانة وفرن الشباك، وبدأت اشتباكات عنيفة وقصف مدفعي وصاروخي على الأحياء السكنية، وسرعان ما انتقلت الاشتباكات الى الأشرفية ومحيطها، وانهمرت الصواريخ والقذائف على مختلف الأحياء.

ويروي نهاد شلحط (أبو كمال) قائد منظمة نمور


نهاد شلحط ومجموعة من نمور الأحرار

الاحرار «كنت أثناء اختطاف بشير أتفقّد مع نبيل كرم رئيس أركان النمور المراكز الحزبية في منطقة كسروان، وأبلغوني في مركز الأحرار في الصفرا أنّ الريّس داني يريدني لأمر طارىء وضروري، فإتّصلت به، فطلب منّي التوجّه بسرعة الى الأشرفية لأنّ السوريين بدأوا الاشتباك مع قوات الجبهة اللبنانية والوضع خطير جداً، فانطلقنا فوراً ونزل معنا أربعة شباب من مركز الصفرا ووصلنا الى البيت المركزي وسط القذائف التي أصابت إحداها مركز الحزب في السيوفي».

أدّى القصف السوري العنيف على المناطق الشرقية في اليوم الأول الى مقتل ٤٠ شخصاً وجرح المئات.

في ٢ تموز، تعرّض بيت الكتائب المركزي في الصيفي لقصف مدمّر تبعه هجوم من أربعة محاور هي الريجنت أوتيل، اللعازارية، والغومون بالاس وسوق الخضر القديمة، وتمركزت عناصر سورية على أسطح الأبنية المواجهة. وأحرقت القذائف طبقتين من المركز الرئيسي لحزب الوطنيين الاحرار في السيوفي، وغرقت الأشرفية في الظلمة بسبب

مرفأ بيروت دمره القصف

انقطاع الكهرباء، وتعرّضت أحواض المرفأ لقصف عنيف، فاحترقت باخرة واندلعت حرائق كبيرة في عنابر الرصيف ٦ والرصيف ٩، وتعرّضت منطقة الأشرفية وعين الرمانة لقصف عنيف كان الأوّل من نوعه، فتساقطت الصواريخ والقذائف بعنف على مختلف أحياء الأشرفية: العكّاوي وساسين وأوتيل ديو والسيوفي والجعيتاوي وكرم الزيتون ومار يوحنا وأديب اسحاق والراعي الصالح وغيرها. وتعرّضت مناطق عين الرمانة والتحويطة وطريق سن الفيل وبيت مري والحازمية وتقاطع فرن الشباك والمتحف - قصر العدل - السيّار لقصف غزير طاول كلّ الشوارع والأحياء، وأشعلت الصواريخ النيران في الجناح الجديد لمستشفى أوتيل ديو، بعدما استقبل ٣٠ قتيلاً و٢٠٠ جريحاً، كما تعرّض مستشفى الجعيتاوي ومستشفى الروم للقصف ونقل إليهما عشرات القتلى والجرحى، وأصيب مبنى إذاعة صوت لبنان فتوقّفت عن البثّ لفترة.

بشير يتفقد البيت المركزي بعد القصف

ووسط الموت والدمار اللذين لفّا بيروت الشرقية، طلب الرئيس الياس سركيس من الرئيس حافظ الاسد وقف قصف الأحياء المدنية حالاً وقال له: «لم أعد أستطيع القبول بهذا القصف دقيقة واحدة بعد الان »[1].

ودعا العميد ريمون إدّه عبر إذاعة مونتي كارلو الرئيس الياس سركيس الى طلب سحب القوات السورية لأنّها لم توضع فعلاً بإمرة رئيس الجمهورية، فيما وجّه الرئيس كميل شمعون نداءً الى الشعوب المتحضرة ناشدها فيه «التدخّل لوقف حرب الإبادة التي تشنّها سوريا على المدنيين اللبنانيين العزّل».


العميد ريمون اده

وكان الرئيس شمعون والجبهة اللبنانية يحمّلون الرئيس سركيس مسؤولية تغطية قوات الردع العربية في عملية القصف الذي استهدف المنطقة الشرقية. ويقول فؤاد بطرس في مذكّراته «لم نكن نحسد على موقفنا، فالمسيحيون يتّهموننا بتغطية سورية ويقصفوننا، (تعرّض القصر الجمهوري لقصف مصدره مواقع التنظيمات التابعة للجبهة اللبنانية، ما أدى إلى سقوط جرحى من أفراد الحرس الجمهوري.) والسوريون لا يتجاوبون مع مطالبتنا بوقف إطلاق النار، ويمطرون المنطقة المسيحية بقذائفهم».

يوم ٣ تموز لم يكن أفضل من اليومين السابقين، إذ دارت اشتباكات عنيفة في الصيفي ومرفأ بيروت وعين الرمانة وفرن الشباك بين قوات الردع السورية ومقاتلي الكتائب والأحرار، وشهدت أحياء وطرقات الأشرفية وعين الرمانة وفرن الشباك قصفاً مدمراً، وتعرّضت مناطق في بيروت الغربية لقصف عنيف أيضاً، فيما تعذّر إحصاء الضحايا. وقالت مصادر أوتيل ديو أنّها استقبلت ١٧ قتيلاً و٩٨ جريحاً، وأعلنت مصادر كتائبية أنه أمكن إحصاء ٧٢

---

(١) السلام المفقود كريم بقرادوني ص ١٦٠.

قتيلاً في المنطقة الشرقية و٢٢ قتيلاً في عين الرمانة، إضافةً الى نحو ٣٠٠ جريحاً.

وسجّلت إصابات عدّة في صفوف قوات الردع السورية لم يعرف حجمها، وقتل درويش حمود نجل النائب يوسف حمود بقذيفة سقطت قرب منزله في الشياح واحرقت قذيفة منزل السفير الكندي في شارع لبنان في الاشرفية.

تقسيم الجبهة

بدأت المعركة بعنف ولم تكن قوى الجبهة اللبنانية منظّمة، وبعد أيام على اندلاع القتال، نظّمت مواقع المواجهة، وتوزّعت على ٣٦٠ درجة حول بيروت الشرقية. فتولى حزب التنظيم مع أبو روي منطقة مار يوحنا والسنا قرب برج رزق، وتولّى حزب الأحرار منطقة السيوفي والبيت المركزي للحزب مع نهاد شلحط (أبو كمال)، وتسلّم نمر مطران مركز السوديكو وجيلبار غسطين مركز الكيك هاوس والسيدة بعد تحريره مع بناية الباطون، إضافة الى بناية استراتيجية في أول كرم الزيتون.



جيلبار غسطين

كيروز بركات وأسعد سعيد

كانت باقي المراكز بعهدة شباب الأشرفية ووحدات المغاوير وفرقة الـ sks والقوى التي كانت في المجلس الحربي، وكان بيت كتائب الأشرفية بإمرة جان ناضر، وتولّت ثكنة الأشرفية بقيادة ميشال جبور يساعده جاك زوفيكيان (أبو عدنان) وسليم جلخ مناطق البرجاوي وأوتيل ديو وبيضون إضافة الى مراكز داخل الأشرفية. وتولّى شباب الرميل جسر الحديد، وتمركز حراس الأرز في حديقة السيوفي، بقيادة كيروز بركات وطوني نصّار وجاك خيرالله الذي أصبح فيما بعد قائد سلاح الإشارة في القوات اللبنانية. وكان أبو أرز موجوداً أيضاً في الأشرفية، وتولّى شباب قسم الرميل منطقتهم وكذلك شباب الصيفي، وكانت مجموعة العمليات المركزية التي تضم نعمة اللّه قاعي (نانو) وبوسي الأشقر وإيلي حبيقة وطوني كسرواني وجوزيف الياس وأسعد سعيد وفؤاد أبو ناضر وفادي افرام والياس الزايك وأنطوان بريدي وايلي وازن (عبّاس) ... ومعهم مجموعات مقاتلة تتدخّل عند الضرورة في حال حصول ضغط أو خرق على أي محور، أو تقوم بتنفيذ بعض العمليات النوعية. وكان بشير الجميل ومعه بطرس خوند في غرفة العمليات بشكل دائم.



ولدعم جبهة بيروت، اتّصلت قيادة المجلس الحربي بجورج فغالي قائد فرقة الـ sks في أدونيس طالبة منه إرسال مجموعة الى الأشرفية. فتوجّه ٣٢ عنصراً في زوارق بحرية الى المجلس الحربي ومعهم ف. نعمان رئيس الشعبة الثالثة ووليم بدر وحنا العتيق وطانيوس نعمة ولطوف يزبك وعدنان سيف الدين (أبو مارون) وجوزيف ناصيف (الجعفر) وبول عنداري وبوب عواد وحنا ابراهيم وبيار فرح ولابا الحصروني والجيلاتيني وهادي ط .... وتمركزت هذه المجموعة في بناية الباطون، فيما تمركز حرس الشيخ بشير في بنايتين متاخمتين، وكانت مهمة هذه المجموعة منع السوريين من التمدّد الى الأشرفية.


الياس الحنش أبرز قادة عين الرمانة

أما في جبهة عين الرمانة التي لم تكن المعارك فيها أقلّ ضراوة، فتسلّم الياس الحنش منطقة الريد شو وزعتر، وتولّى الزغلول منطقة التحويطة، وتمركزت مجموعة من التنظيم قرب سيدة لورد. كما تمركزت في الأماكن الأخرى من عين الرمانة وفرن الشباك مجموعات كتائبية مع ناجي بطرس وجوزيف الأسمر وروبير حداد وطوني أبو جوده (زورو) والشبح وبيار أبي عكر وايلي أبي عكر (كيسو) وجوزيف بارود.

أما على جبهة الحدث التي شهدت معارك ضارية وقصفاً مدمراً، فتمركز شباب الكتائب على المحور الممتد من غاليري سمعان حتى الجامعة اللبنانية حيث كانت القوات السورية. كما تمركز المقاتلون في شارع الحمراء (الحدث) بقيادة سمير مخلوف في مواجهة السوريين في بناية العلالي، وتولّت مجموعة من الجيش اللبناني تابعة للرائد غازي غطاس محور حي الأميركان، وتمركز مقاتلو نمور الأحرار بقيادة جوزيف الأسمر على محور صيدلية مطر ومحور الكفاءات. وسيطر السوريون على مبنى مستشفى سان تيريز بمواجهة المقاتلين في أسفل شارع الدكاش. واستولوا على بنايات أبو جوده بمواجهة عناصر الكتائب في معمل «توب جوس».


بشير وناجي بطرس

تولّى القيادة الميدانية في منطقة الحدث المفوض الكتائبي سعيد عجيل (ابو نبيل) يساعده قادة المجموعات والمحاور لويس كرم وبيار كرم وقيصر كرم وطوني كرم (أصبح وزيراً للبيئة العام ٢٠٠٨).

استمرّ التدهور الأمني العنيف والخطير يوم ٤ تموز، فإتّصل رئيس الجمهورية الياس سركيس بنظيره السوري حافظ الاسد وأعلن أن قوات الردع العربية، وبخاصة السورية، ليست تحت إمرته، كما قضت به مقرّرات قمة الرياض.

ووجّهت «الجبهة اللبنانية» نداءً إلى العالم ناشدت فيه الدول الكبرى تحمّل مسؤولياتها حيال «الاعتداء على لبنان الذي يستهدف إبادة مجتمعه الحر، ما ينذر بجعل مشكلة الأقليات في الشرق تنشأ من جديد، فيتعطّل كل مسعى للسلم والاستقرار في الشرق الأوسط». ووجّه الأمين العام للأمم المتحدة كورت فالدهايم بدوره نداء لوقف إطلاق النار، وأعلنت الخارجيتان الأميركية والفرنسية تأييدهما لنداء الأمين العام، بينما أعربت الحكومة الإسرائيلية عن «قلقها العميق من الهجمات على المسيحيين في لبنان».


قذيفة من مدفع ١٠٦ ملم

لم تنجح المساعي والاتصالات في وقف اطلاق النار، واستمرّت الاشتباكات والقصف السوري العنيف يوم ٥ تموز. الامر الذي دفع بالرئيس الياس سركيس الى تحميل الوزير فؤاد بطرس رسالة الى سوريا يهدد فيها بالاستقالة اذا استمر القصف السوري للمناطق المسيحية، وأوصى الرئيس بطرس



سركيس يهدد بالاستقالة ويعتكف

بأن يكون واضحاً، ويسمي الأشياء بأسمائها، وقال له: «إن سورية لا تفهم لبنان، والسوريون لا يفهمون السياسة اللبنانية ولو أقاموا عندنا مئة عام، يريدون تطبيق أساليبهم عندنا، ويعتقدون أن على الرئيس اللبناني أن يحكم لبنان كما يحكم الرئيس السوري سورية، هذا غير منطقي، فلبنان غير سورية، والنظام اللبناني يختلف اختلافاً عميقاً عن النظام السوري. هناك التباس يجب تبديده وإلا تفاقم الخلاف بيننا. إننا نعيش الآن في نزاع حقيقي مع سورية، إذا كانت دمشق لا تريد التعاون معي، فأنا مصمم على الاستقالة. هذه هي الرسالة التي أريد أن تحملها إلى العاصمة السورية»[1].

كان الردّ السوري حازماً «ليتوقفوا عن مهاجمتنا، نتوقّف عن قصفهم». وقال عبد الحليم خدام جازماً: «لا يجوز مطلقاً أن نترك الرئيس سركيس يستقيل، إنّ مجرد إثارة هذه الفرضية يساهم في إضعاف السلطة اللبنانية». أما الرئيس الاسد فقال: «الاستقالة مجازفة محفوفة بالمخاطر، لا أظن أن الرئيس سركيس سيُقدم عليها، وهو لن ينفّذ تهديده لأنني أعرفه رجلاً منطقياً ومسؤولاً، وفي أية حال، لن تنفع استقالته بشيء، بل تفتح الطريق للمغامرة. وأنا أعلم أن الرئيس سركيس ليس مغامراً»[2].

وكان وزير الدفاع السوري العماد مصطفى طلاس أكّد «أنّ المواقف المبدئية الثابتة للقطر العربي السوري إزاء لبنان لن تستطيع النيل منها العصابات الكتائبية والشمعونية، وسنضرب بيد من حديد كلّ من تسوّل له نفسه العبث بأمن لبنان لتنفيذ المخطّط الامبريالي الصهيوني ...».

من جهته دعا الحزب السوري القومي الاجتماعي في بيان «للتخلص من الابتزاز الكتائبي والشمعوني وتنفيذ إتّفاق قمة اللاذقية، والعمل لدخول قوات الردع العربية الى كل مناطق لبنان».

وسأل البابا بولس السادس «متى تنتهي جلجلة الشعب اللبناني».

أما في باريس، فنظّم نحو ٧٠٠ لبناني تظاهرة أمام السفارة السورية ووصفوا قوات الردع العربية بأنها «جيش الإحتلال السوري في لبنان».

طلاس: العصابات الكتائبية الشمعونية لن تنال من سوريا

في ٦ تموز، بعد ليلة رهيبة شهدت فيضاناً من القذائف والصواريخ السورية على المناطق الشرقية لبيروت وفرن الشباك وعين الرمانة (أحصت مصادر كتائبية سقوط ١٢٦٠ قذيفة على الأشرفية ومحيطها ليل ٥ تموز تسبّبت في تدمير عدد كبير من الأبنية وإندلاع أربعين حريقاً)، أبلغ الرئيس سركيس الوزير فؤاد بطرس الذي عاد من دمشق من دون أن يتوصّل الى حل بأنّه ينوي الإستقالة وقال له «سأستقيل ما دمت غير قادر على عمل شيء». وكان بطرس أبلغ الرئيس الشروط السورية وأبرزها: «أن تتولّى القوات السورية وضع الخطة الامنية في لبنان من دون العودة الى أي مرجع لبناني سياسياً كان أم عسكرياً، وضرورة حلّ

(١) مذكرات فؤاد بطرس
(٢) مذكرات فؤاد بطرس

الجيش اللبناني، وأن تُطلق يد سوريا في بناء الجيش البديل»[1].

في اليوم نفسه، كشف مدير الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية شلومو غازيت في مؤتمر صحافي «أن السوريين حشدوا منذ أول تموز حول بيروت نصف قواتهم المرابطة في لبنان التي تتراوح بين ٣٥ و٤٠ ألف رجل، وحتى هذا التاريخ، كانت لهم في القطاع المسيحي من بيروت فرقتان من المشاة، وتتمركز حالياً في هذا القطاع ٣ فرق من المشاة، إضافة الى كتيبة دبابات، ولديهم الآن هناك ٦ كتائب من الكومندوس بدلاً من ٤ كتائب، كما أنّ عدد مدافع الميدان ومدافع الهاون أصبح ٣٢٠ بدلا من ٢٠٠».

اعتكف الرئيس سركيس في جناحه الخاص في القصر الجمهوري، وألغى مواعيده موحياً بأنه استقال من منصبه. وبقي الرئيس من ٦ الى ١٠ تموز مصرّاً على استقالته «احتجاجاً على القصف العشوائي الذي يصبّه الجيش السوري على المدنيين والأبرياء بدون أية فائدة، فالميليشيات المسيحية تعتبر الآن أنّها انتصرت لأنّ القوات السورية لم تستطع التقدّم الى داخل الأشرفية.... ويجب أن ينسحب الجيش السوري من الأشرفية، وأن تحلّ محله قوة لبنانية أو عربية، والغاية من استقالتي هي الحؤول دون مغامرة عسكرية مجنونة»[2].

وقال الرئيس سركيس لزواره الكثر من نواب وسفراء وفعاليات جاءوا يطلبون عودته عن الاستقالة: «ان السلطات التي منحت بالنسبة الى وضع قوات الردع العربية في أمرتي هي صلاحيات وسلطات غير فعلية، خصوصاً بالنسبة الى القوات السورية التي لا تأتمر بإمرتي أبداً. وها هم اللبنانيون يُضرَبون بوحشية وبربرية وتقع المجازر... لم يعد بإستطاعتي أن أرى الأبرياء يموتون والأطفال يذبحون، وعاصمة بلدي تحترق، وشعبي يُشرّد، من دون أن أكون قادراً على فعل شيء ... هذا أمر لا يحمله ضميري خصوصاً وأن أحداً في العالم العربي والعالم الحر لم يتحرّك... إذا كانوا يريدون أن يأخذوا لبنان جثة هامدة فليأخذوه عن يد غيري»[3].


شمعون: سنخوض معركة الحرية والكرامة حتى النهاية

في ٧ تموز، هدّدت صحيفة تشرين السورية بدقّ عنقي الكتائب والأحرار إذا استمرّا بإزعاج سوريا، فيما وجّه الرئيس كميل شمعون نداءً الى الشعب الفرنسي قال فيه: «إنّنا في اليوم السادس من معركة الحديد والنار والفولاذ الذي ينصبّ علينا، الليلة الفائتة كانت ليلة رعب حقيقي. وإنّ شيئاً لم يدّخر على امتداد ثماني ساعات متواصلة ضدّ الأشرفية، ومن ثمّ ضد عين الرمانة. إنّ السكّان الذين يقارب عددهم المليون نسمة تعرّضوا لطوفان من الحديد والنار. إنّ المعنويات ما تزال عالية جداً، ونحن مصمّمون أكثر من أي وقت مضى على خوض معركة الحرية والكرامة حتى النهاية».

فيما دعا العميد ريمون إدّه عبر التلفزيون الفرنسي باريس الى «التدخّل فوراً لدى مجلس الامن الدولي من أجل أن يرسل قوات دولية الى الحدود اللبنانية -السورية والى كلّ لبنان للمحافظة على السلام».

في ٩ تموز، نسبت هيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي الى وزير الاعلام السوري أحمد اسكندر قوله: «ان الاختيار الذي يواجه الميليشيات سهل، إمّا أن تدعم الرئيس سركيس، وإمّا

---

(١) مذكرات فؤاد بطرس

(٢) السلام المفقود ص ١٧٦

(٣) مذكرات فؤاد بطرس



الجيش السوري في الدورة برج حمود

يُقضى عليها». وردَ الشيخ بشير الجميل لصحيفة «لوفيغارو» الفرنسية بالقول: «إذا قرّر الرئيس حافظ الاسد استعمال كلّ قواته، فسنستمر في حرب العصابات كما يفعل الفلسطينيون. وفي كلّ حال ليس السوريون أقوى من النازيين عندما استولوا على فرنسا العام ١٩٤٠».

اعتكاف الرئيس سركيس وتهديده بالاستقالة جعل القصف متقطعاً، لكنّ القنص استمرّ وكذلك الحصار المحكم على مناطق بيروت الشرقية التي بدأت تشهد أزمة تموينية وهجّرت عائلات كثيرة الى الجبال والى مناطق كسروان وجبيل.

يروي فؤاد أبو ناضر: «أنّ السوريين حاولوا تجويع بيروت وخنقها، فلم يكن هناك كهرباء ولم يسمحوا بإدخال مواد غذائية أو طبية الى المناطق المحاصرة. كان الجيش السوري متمترساً على كلّ الجسور التي تربط بيروت وتطوّقها. وتمركز نحو ألف عسكري سوري في الكرنتينا وعلى الجسر، وكانوا يسيطرون على النبعة وجسر برج حمود وكذلك بالنسبة الى جسر سن الفيل وجسر الواطي، لكنّ الإمدادات كانت تصل الى الأشرفية والى بيروت من جونيه عبر البحر بواسطة مراكب الصيد الصغيرة إذ لم يكن هناك بوارج أو مراكب عسكرية للنقل».

ويضيف أبو ناضر: «كانت مهمة القوات السورية في الكرنتينا وعلى الجسر، إضافةً الى تطويق الأشرفية، مراقبة الحوض الخامس للمرفأ ومنع وصول الإمدادات عبر البحر. وكان يتمّ ليلاً نقل الذخائر والعتاد».

كان همّ قيادة القوات اللبنانية إزاء اشتداد القصف واحتدام المعارك إخراج السلاح الثقيل من قلب الأشرفية ومن المخازن في الراعي الصالح، ونقلها الى خارج الأشرفية لتتمكن من قصف مرابض السوريين. ويروي أسعد سعيد أنّه «تمّ صنع هيكل على شكل شاحنة زراعية خبّئت المدافع تحته، وبهذه الطريقة المموّهة أخرجنا عدداً من المدافع الثقيلة من الأشرفية الى كسروان والمتن، لأنّه لم يكن هناك قطع بحرية بإمكانها حملها. وكان بعض البحارة يضعون زوارقهم في تصرّف المقاتلين لنقل ما يحتاجونه من والى بيروت، فاستخدمت المراكب البحرية المتوفّرة لنقل الذخيرة الثقيلة

مراكب تقل المقاتلين ليلاً من جونيه الى الأشرفية


بشير ونعوم فرح ينتقلان في زورق من بيروت الى جونيه

ولإدخال الكثير من الاعتدة، ولم يكن هناك مشكلة بالنسبة للسلاح الفردي والمتوسّط الذي كان متوفّراً بكثرة مع الذخائر».

ويتذكّر سعيد أنه «في إحدى المرّات، كان الشيخ بشير والرئيس شمعون مضطرّان للذهاب بحراً الى كسروان لعقد اجتماعات مع الجبهة اللبنانية لساعات ومن ثم العودة. وأثناء صعودهما في زورق صغير، انهمرت القذائف على المنطقة، فاختبأءا على الدرج الذي ينزل من الرصيف الى المياه ثم نقلهما الشباب بسرعة الى زورق اسمه espoir فذهبا الى كسروان ثم عادا مع الفجر».

ويسترجع أسعد سعيد وفؤاد أبو ناضر الأحداث ويرويان: «استهدفت القذائف السورية المجلس الحربي بشكل عنيف، فدمّر بالكامل، وانتقل بشير مع غرفة العمليات الى مبنى شركة الكهرباء تحت الارض حيث كان يوجد مولدا كهرباء كلّ واحد بقوّة ٦٠٠ kva. كما استُحدث مطبخ مركزي للجبهة في شركة الكهرباء أصبح يوزّع الطعام على المقاتلين والناس، وتولّت إدارته مجموعة من السيدات بينهم والدة ايلي حبيقة وسيدة من آل غنيمة ومعهما بعض السيدات والنظاميات اللواتي انتقلن من المجلس الحربي والبيت المركزي الكتائبي بعدما دمّرهما القصف.

كان يتمّ تأمين الطعام من المحلات والمخازن التي كانت في الأشرفية، والمصدر الأهم كان المرفأ، حيث كانت توجد البرادات التي تحوي مواد غذائية وأنواع معيّنة من الطعام، وأصيب بعضها بالقصف، فطلب أصحابها من المقاتلين أخذ الطعام وطبخه وتوزيعه لكي لا يتلف، وكانت الكمية الكبيرة في البرادات مؤلّفة من القريدس والدجاج وكان هناك أنواع لحوم مميّزة من الإوز والأرانب. اضافة الى ذلك، كانت بعض القذائف التي تستهدف المجلس الحربي

تنفجر في البحر فتقتل كميات كبيرة من الأسماك، فيقوم الشباب بسحبها ونقلها الى المطبخ المركزي لطهيها. وكان الطعام يوزّع على المقاتلين في المراكز وعلى المتاريس. فالطعام كان مميزاً، بالرغم من الوضع الأمني والعسكري الصعب، وكان الخبز يأتي عبر البحر بواسطة زوارق الصيد ليلاً.

استمرّ العمل في هذا المطبخ حتى وقف اطلاق النار في ٧ تشرين الاول ١٩٧٨. كما انتقل أيضاً شباب وحدات الإسعاف من البيت المركزي، واتّخذوا من بناية الكهرباء مركزاً لهم».

ويروي شربل عبود، أحد مسؤولي حزب الاحرار، أنّه كان ينقل بسيارة مدنية يومياً ٣٠٠ ربطة خبز من كسروان عبر طرقات برج حمود الداخلية الى منزل الرئيس شمعون في الأشرفية ويتمّ توزيعها على الشباب والأهالي.

العودة عن الاستقالة

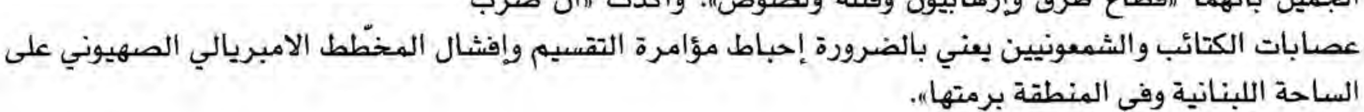


جوني عبدو مدير المخابرات

في ١١ تموز، جمع الرئيس سركيس الأب سمعان الدويهي، وأحمد الحاج، وجوني عبدو، وغابي لحود، وكريم بقرادوني، وميشال المرّ، وفؤاد بطرس وأبلغهم العودة عن استقالته. وأوفد قائد قوات الردع العربية العقيد سامي الخطيب ومدير المخابرات جوني عبدو الى دمشق لإفهام السوريين أنّ الانتشار الحالي لجيشهم في المناطق المسيحية يثير منازعات مستمرة ... وان الرئيس سركيس يتمنّى سحب القوات السورية من المناطق المسيحية في بيروت منعاً للإنفجار.

لكنّ رئيس أركان الجيش السوري حكمت الشهابي لم يقتنع، وقال للوفد اللبناني: «.... إنسحاب الجيش السوري ولو جزئياً يقوّي كميل شمعون وبشير الجميل ... لا يمكننا أن نتساهل مع المتعاملين مع اسرائيل....»[1].

في ١٣ تموز، وصفت أجهزة الإعلام السورية كلاً من كميل شمعون وبيار الجميل بأنّهما «قطاع طرق وإرهابيون وقتلة ولصوص». وأكّدت «أنّ ضرب



عصابات الكتائب والشمعونيين يعني بالضرورة إحباط مؤامرة التقسيم وإفشال المخطّط الامبريالي الصهيوني على الساحة اللبنانية وفي المنطقة برمتها».

الفاينشال والجسر البحري بين جونية وحيفا

بالتزامن مع هجوم وسائل الاعلام السورية، كشفت صحيفة فاينشال تايمز في عددها الصادر في ١٥ تموز ١٩٧٨ عن وصول مستشارين عسكريين إسرائيليين الى جونيه مؤخّراً إضافة الى كميّات كبيرة من الأسلحة الاسرائيلية بينها دبابات شيرمان نقلت الى جونيه وضبيه... أضافت الصحيفة أنّ جسراً بحرياً بدأ بين جونيه وحيفا بعد اندلاع القتال بين القوات السورية والميليشيات المسيحية في بيروت الشرقية ومحيطها...

وقالت الفاينشال تايمز: «يعتقد أنّه اذا استمرت الاشتباكات، فإنّ السوريين قد يدخلون الى المناطق المسيحية بالدبابات لمحاولة سحق الميليشيات... وتوقّعاً لمثل هذه الاحتمالات، سعت القوات المسيحية اليمينية للحصول على أسلحة مضادة للدبابات، وقد حصلت بالفعل على البعض منها من اسرائيل».

استقالة الرئيس سركيس والعودة عنها أمّنتا هدوءاً حذراً استمرّ حتى ٢٣ تموز ١٩٧٨، حيث انفجر الوضع في منطقة الحدث هذه المرة، وحصلت اشتباكات عنيفة بين القوات السورية والكتائب والأحرار استخدمت فيها مختلف أنواع الأسلحة والقذائف. وأعلنت القوات اللبنانية أنّه «ومن دون أي سبب على الإطلاق، قصفت القوات السورية مدن الحدث وبعبدا والحازمية قصفاً عنيفاً وعشوائياً بمدافع الميدان والهاون عيار ١٦٠ و٢٤٠ ملم وراجمات الصواريخ، ما أدّى الى مقتل ٦ مواطنين وجرح ٥٠ والى خسائر فادحة في الممتلكات...».

---

(١) السلام المفقود ص ١٦٧

وأحصت مصادر أمنية إصابة ٣٥ في المئة من منازل الحدث بالقذائف، كما تمركز السوريون في مستشفى سان تريز ومستشفى السان جورج وقطعوا طريق مستشفى قلب يسوع بقنص غزير ومركز. وفي ٢٤ تموز، بعدما تساقطت القذائف على محيط القصر الجمهوري واندلعت حرائق في الأحراج المحيطة به، وجّه الرئيس كميل شمعون نداء الى الشعب السوري ذكّره فيه أنّه «وقف الى جانب سوريا وقفة الأخ الغيور يوم دمّرت قوات الانتداب في العام ١٩٤٥ حي الميدان صاحب التاريخ المجيد». في المقابل، اتهمت اذاعة دمشق في تعليقها السياسي «عصابات القتلة من الكتائبيين والشمعونيين بمواصلة استفزازهم قوات الردع العربية». فيما أعلن زهير محسن رئيس الدائرة العسكرية في منظمة التحرير الفلسطينية أنّ سوريا ستدمّر الميليشيات اليمينية اذا تحولت علناً الى طرف في النزاع العربي الاسرائيلي.


زهير محسن: سوريا ستدمّر الميليشيات اليمينية

في ٢٥ تموز، استمرّت الإشتباكات والقصف العنيف في الحدث، وأعلنت القوات اللبنانية أنّ عدد القتلى المدنيين من جراء قصف الحدث بلغ ٢٦ قتيلاً و٥٧ جريحاً، واحتجّ الصليب الأحمر الدولي لدى قيادة الردع بسبب منع فرق الاسعاف من دخول البلدة لإخلاء الجرحى، ولم تتمكّن سيارات الاطفاء من إخماد الحرائق في الحدث وبعبدا واليرزة بسبب استمرار القصف والقنص.

في ٢٩ تموز، أعلن الشيخ بيار الجميل أنّه «إذا بقينا نستجدي الأمن من الخارج فسنبقى في القلاقل»، وشدّد على وجوب انتشار الجيش اللبناني في كلّ المناطق بما فيها الجنوب.

دبابات تشيرمن والفيغارو والإبادة

ونشرت صحيفة «الفيغارو» الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ ٢٩ تموز في صفحتها الأولى تحقيقاً مفصلاً عمّا يحصل في المناطق المسيحية تحت عنوان «المسيحيون في لبنان يواجهون خطر الإبادة»، ومما جاء في التحقيق أنّ قرار سفارات: الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وكندا واستراليا إجلاء رعاياهم من لبنان، أثار موجة من الذعر في المناطق المسيحية التي راحت تنتظر انفجاراً كبيراً. ويضيف التقرير أنّ ما زاد حجم الخوف على الشعب المسيحي، تعليقات راديو دمشق السياسية التي راحت تهدّد بشكل يومي «عصابات الكتائب والأحرار». وبحسب الصحيفة، فإنّ مصير الشعب المسيحي الحرّ في لبنان أصبح على كفّ عفريت، فقد أوردت ما نقله مراسلها في تل أبيب عن أحد مصادر الحكومة الإسرائيلية من أن اتصالات جديدة مباشرة تتسّم بسرية مطلقة بدأت بين اسرائيل وسوريا... وتابع المصدر الحكومي الإسرائيلي أن دمشق تمكّنت حتى الآن من احتضان أو تعطيل قوة مسيحيي الشمال والبقاع الذين أصبحوا تحت سيطرتها المطلقة. أما مسيحيو الجنوب، فهم وان كانوا خارجين عن السيطرة السورية، فإنّ مجرّد بعدهم عن قلب المنطقة المسيحية وعدم وجود معبر برّي بين المنطقتين سيعطّل قوّتهم حتماً، فيما تتكفّل المنظمات الفلسطينية والأحزاب اليسارية بتعطيل القوة المسيحية في المناطق الخاضعة لسلطتها. وبالتالي، لم يعد من قوة مسيحية فاعلة سوى تلك المتمركزة في بيروت الشرقية وبعض أقضية جبل لبنان. وفي التقرير أن عدة دراسات لتقسيم لبنان قدّمت للمتحاورين، وجاء فيها أن قيام لبنان مسلم على جزء من لبنان تديره منظمة التحرير الفلسطينية الضعيفة قد يؤدي إلى حل مؤقت وربما نهائي للمشكلة الفلسطينية. ثم أنّ سوريا سيكون لها حصة كبيرة من لبنان خاصة الشمال والبقاع لقاء خسارتها النهائية للجولان. وجاء في التقرير أنّ دمشق فوجئت بالطيران الإسرائيلي يحلّق في سماء بيروت في خطوة اعتبرتها قد تؤدي إلى تدخل اسرائيلي عسكري لن تقوى على مواجهته، ما أرغمها على وقف


الشيخ بيار الجميل

فوري لإطلاق النار، ولكن بعد أيام تأكّد لها عبر قنوات سرية أن لا نيّة لدى إسرائيل للقيام بأي تدخّل عسكري في لبنان، فأعادت، إعتباراً من ٢١ تموز، قصف المنطقة الشرقية ودكّ الأحياء السكنية بعنف أقوى، وقد تبيّن أنّ سبب التحليق الإسرائيلي معلومات وصلت إلى تل أبيب عن قرب انهيار القوات المسيحية، فقامت بإستعراض طيرانها الحربي فوق سماء بيروت في رسالة واضحة لدمشق مفادها أنه من غير المسموح حتى الآن الانتصار على القوات المسيحية، وفهمت دمشق الرسالة جيداً.

دبابات شيرمن لأول مرة في المعركة

في ٣٠ تموز، أعلنت صحيفة البعث أن الشيخ بيار الجميل رئيس حزب الكتائب «عريق بالتعامل مع العدو الصهيوني...».

في ٣١ تموز، عنفت الاشتباكات في منطقة عين الرمانة بين مقاتلي الكتائب والأحرار من جهة، وقوات الردع العربية واستخدمت صواريخ الميلان المضادة للدروع في مواجهة الآليات السورية.

استمرّت المواجهات عنيفة في الأيام التالية من ١ آب حتى ١٢ آب في الشياح وعين الرمانة والأشرفية والكرنتينا وفرن الشباك وبدارو والتحويطة، وسقط عشرات القتلى والجرحى نتيجة القصف المدمر وسجّلت مواجهات ضارية بين قوات الردع السورية وحزبي الكتائب والأحرار، اللّذين إستخدما الدبابات للمرة الاولى في قصف مراكز وآليات الجيش السوري الذي ردّ بقصف مدفعي عنيف أدّى إلى تدمير وتضرّر وإحراق عشرات الأبنية. وأعلنت قوّات الردع «أنّ مركزها في محلة السيدة تعرّض لهجوم بمدافع ١٠٦ والرشاّشات الثّقيلة فأحرق وأصيب عدد من الجنود، فاضطرّت للردّ بأسلحتها العضوية وأسكتت مصادر النار». فيما أعلنت مصادر طبية أنّ عدد


مشاهد يومية من الأشرفية عام ١٩٧٨

ضحايا الاشتباكات في اليومين الأخيرين بلغ ٤٥ قتيلاً و ١٢٠ جريحاً.

في ٧ آب، بدأت إذاعة جديدة ببثّ نشرات أخبار وموسيقى تحت إسم إذاعة لبنان الحر، «إذاعة المقاومة اللبنانية» وأعدّت مؤسسة كاريتاس تقريراً حتى ١٠ آب ١٩٧٨، جاء فيه أنّ عدد العائلات التي تركت بيروت وضواحيها الى المتن وكسروان بلغ ١٣٣٣٨ عائلة ضمن مراكز التجمع التي أنشئت وخارجها.

ترتيبات جديدة وخطف جنديين

في ١٠ آب، نفّذت معظم الترتيبات الأمنية المتعلّقة بمنطقة الأشرفية، والتي تمّ الإتّفاق عليها مع رئيس الجمهورية، وأخلت قوّات الردع السورية ٦ بنايات في ٣ أحياء في الأشرفية هي: كرم الزيتون، السيدة، ساسين. وتجمّعت العناصر السورية في برج رزق الذي اعتبر مركزاً رئيسياً لها في بنايتي أبو حمد وحبيس، وفي بنايتين جديدتين في منطقة رزق هما بناية شعيا وبناية «السنا». وبقيت الترتيبات المتعلّقة بالجسرين الواقعين على مدخل بيروت الشرقي من دون تنفيذ، وقضت الترتيبات بأن تحلّ هناك وحدات سودانية تابعة لقوات الردع العربية. وأعلنت قيادة الردع في بيان أنّه «في نطاق تدابيرها العسكرية، قامت بعملية تجميع لقواتها في الأشرفية لأسباب أمنية أملاها الظرف العسكري الحالي». وتحضيراً لإعادة التموضع السوري، طلبت القوات اللبنانية من وحداتها الموجودة في منطقة الأشرفية عدم الظهور بالسلاح والألبسة العسكرية وذلك اعتباراً من الساعة الحادية عشرة من مساء ١٩٧٨/٨/٩.

آليات سورية تعبر ساحة ساسين

بين ١٩ آب و٢٥ آب، عاشت محاور القتال في بيروت فترة هدوء نسبية، لكن المواجهات مع القوات السورية انتقلت الى قرى وسط قضاء البترون وخصوصاً بلدة كور التي خاضت معركة عنيفة مع الجيش السوري الذي سيطر عليها وأصبحت بلدة منكوبة خالية من أيّ حياة (معركة كور بالتفاصيل والوقائع والأسماء ص ١١٥).

في ٢٨ آب، أكّد الرئيس السوري حافظ الاسد بعد لقائه وزير خارجية لبنان فؤاد بطرس أنّه «لا يضمر الضغينة لأحد في لبنان، وعلى الجميع العمل لأمنه في معزل عن مؤتمر كمب دايفيد أو أي مؤتمر آخر».

في ٣١ آب، اندلع قتال عنيف في منطقة بشري بين القوات السورية وعناصر كتائبية (معركة الأرز التفاصيل والوقائع والأسماء ص ١٣١).

في ١ أيلول، قالت أجهزة الإعلام السورية أنّ حزبي الكتائب والأحرار المدعومين من اسرائيل، يشكّلان العقبة الوحيدة في وجه الشرعية، وهذا ما كرّرت تأكيده جريدة الثورة في ٦ أيلول التي كشفت ما اعتبرته «الورقة الجديدة التي تلعبها عصابات الكتائب والشمعونيين في محاولة للتخلّص من الكابوس الذي بدأ يضغط على عنقها لإنفضاح دورها بأنها قوى عميلة ومأجورة تعمل لمصلحة العدو الصهيوني».

ابتداءً من ٧ أيلول، تدهور الوضع الأمني في بيروت الشرقية من جديد وتصاعدت حدّة الاشتباكات، وعنف القصف المدفعي على عين الرمانة والشياح والطيونة والتحويطة وفرن الشباك، وامتدّ التراشق الى حرج تابت وسن الفيل.

في ٨ أيلول، أعلنت قيادة قوة الردع العربية أنّه «في الساعة ١٤.٣٠ من تاريخ اليوم، بينما كان جنديان من قوات الردع في سيارة عمومية خاصة السيد ميشال عازار على كورنيش النهر في إتّجاه المتحف، لاحقها عدد من المسلحين، وعندما وصلت أمام كنيسة السريان، أطلقت عليها النار واختطف الجنديان من داخلها قبل أن تصل قوى الجيش اللبناني التي هرعت الى مصدر النار وصادرت السيارة المدنية التي ظهرت في داخلها بعض آثار الدماء... ولم يعرف حتى الآن مصير الجنديين اللّذين يعتقد أنهما لدى أحد التنظيمات الحزبية في تحويطة فرن الشباك».

على الأثر، اتّصل قائد «قوة الردع العربية» العقيد سامي الخطيب بالشيخ أمين الجميل لمعرفة مصير الجنديين، وقالت مصادر كتائبية إنّ الجميل أبلغ الخطيب أنهما غير موجودين في مراكز كتائبية، واتّفقا على الاستمرار في البحث عنهما.


آليات سورية تخرج من الأشرفية

في ١٠ أيلول، أعلن الرئيس الأسد في حديث الى مجلة ديرشبيغل الألمانية: «أنّ القرار بإنهاء القتال في لبنان يعود الى السلطة الشرعية فيه، وأنّه لو كان الأمر بيد القوات السورية، لكانت طهّرت بيروت منذ البدء».

في غضون ذلك، استمرّ الوضع الأمني متفجّراً وخصوصاً في منطقة الحدث، فوقعت اشتباكات عنيفة رافقها قصف مدفعي وصاروخي شمل أيضاً طريق الحازمية وأحراج بعبدا واليرزة، وامتدّ التوتّر الى منطقتي الصيفي و«أوتيل ديو»، فيما استمرّ التراشق على جبهة عين الرمانة - الشياح.

وبلغت حصيلة الاشتباكات في صفوف اللبنانيين ٥ شهداء و٩٨ جريحاً، فضلاً عن الأضرار المادية البالغة. وقالت مصادر كتائبية ان قصف عين الرمانة «كان شديداً ومركّزاً على الأحياء فجرح ١٢ شخصاً حال بعضهم خطرة، ووجّه الرئيس كميل شمعون كلمة الى «المقاتل اللبناني» قال فيها: «لقد برهن عن روح الشجاعة والثبات التي ورثها من أسلافه والتي كانت مسؤولة عن صمود اللبنانيين عبر التاريخ على رغم الأزمات الخطيرة التي مرّ بها لبنان».

من جهته، وصف الرئيس حافظ الاسد الميليشيات اللبنانية بأنها «ألعوبة في يد اسرائيل، وانّ القوات السورية دخلت الى لبنان بناء على طلب الدولة اللبنانية لوقف الاقتتال، وأنها ستبقى حتى تنجز مهمتها بشكل كامل...».

ويروي حنا العتيق «وبعد استحالة إسكات مرابض ضهور الشوير، طلب ريمون أصايان منّي ومن وليم بدر العودة من بناية الباطون الى أدونيس وأخذ مدفع ٨٥ ملم لقصف مراكز مدفعية السورين في ضهور الشوير، فسرنا في نهر بيروت بإتّجاه برج حمود، ووصلنا في اليوم التالي الى أدونيس، وصعدنا مع المدفع الى بلّونة وقصفنا من هناك مرابض ضهور الشوير يومين متتاليين ثم طلب منّا النزول الى المونتي فردي لقصف برج رزق. وبقينا نقصفه لمدة سبعة أيام. وبعدها عدنا الى بناية الباطون في بيروت بالطريقة نفسها وبطلب من كمال المرّ بعدما تمّ تأمين طاقم من كسروان لقصف مواقع السوريين».

في ١٧ أيلول، انصبّت المدافع السورية على منطقة عين الرمانة ودارت معارك بمختلف أنواع الأسلحة.

في ١٩ أيلول، رفضت الجبهة اللبنانية التجديد لقوات الردع العربية.

في ٢٢ أيلول، وفيما كان الرئيس الياس سركيس يلقي رسالة الى اللبنانيين من الإذاعة والتلفزيون، اندلعت اشتباكات عنيفة في منطقة عين الرمانة - الشياح، فطغت أصوات الإنفجارات وأزيز الرصاص على ما كان يقوله الرئيس اللبناني.

في ٢٣ أيلول، تدهور الوضع الأمني في الأشرفية، فوقعت إشتباكات رافقها قصف مدفعي وصاروخي أدّى الى اندلاع حرائق، والى وقوع عدد من الجرحى. وانتقلت الإشتباكات إلى محاور قصر العدل وبدارو والشياح وعين الرمانة،



خصوصاً شارع مار مارون والمازدا والمطاحن وأسعد الأسعد.

وأصدرت قيادة «قوة الردع العربية» بلاغاً أعلنت فيه: «أنّ القذائف انهمرت على مواقعها في الطيونة والشفروليه، وفتحت عليها نيران الأسلحة الرشاشة من عين الرمانة وتحويطة فرن الشباك والحدث. فأصيب عدد من الجنود، الأمر الذي اضطرّ قوات الردع الى إسكات مصادر النيران هذه ببضع طلقات ثقيلة من أسلحتها العضوية ذات الرمي المباشر».

وأعلنت «القوات اللبنانية» في بيان أنّ «القوات السورية بدأت بفتح نيران الرشاشات الثقيلة على الأبنية السكنية الممتدّة من ملعب السلام حتى شارع عبد الوهاب الإنكليزي، ثمّ قامت بقصف عنيف على الأشرفية».

وقال حزب الأحرار «مئات القذائف سقطت في أقلّ من ٣ ساعات على الأشرفية، فجرح ٨ أشخاص واحترق وتصدّع عدد من الأبنية في ظلّ محاولات سورية متكرّرة للتقدم بإتّجاه الأشرفية وعين الرمانة».

في ٢٧ أيلول، أصيب قصر الرئاسة في بعبدا بثلاث قذائف، وزرع محيطه بنحو ٤٠ قذيفة، وأمضى الرئيس سركيس يومه في ملجأ القصر يجري المشاورات والإتصالات لوقف إطلاق النار، وأوفد قائد «قوة الردع» سامي الخطيب الى العبادية للقاء قيادة القوات السورية، التي قالت في بلاغ أنّه «بعدما تمّ في تاريخ الأربعاء ٧٨/٩/٢٧ حسم الموقف العسكري في الحدث، وتوقّفت الاستفزازات والقنص ضدّ قوات الردع العربية، تجدّد القصف في صورة مفاجئة في مناطق عين الرمانة وتحويطة فرن الشباك. وللمرة الثانية خلال ٢٤ ساعة، تشترك مدفعية الميليشيات المركّزة في مناطق ضبية ورومية وبيت مري بالقصف العنيف على مراكز قوات الردع العربية في برج رزق وبنايتي حبيس وأبي حمد، ولم تزل قوات الردع تعالج مصادر النيران بما يناسب من أسلحة، وأنّ مسلّحي الميليشيات كثّفوا القصف على



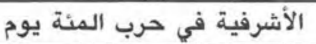
المرابض اللبنانية ردت بعنف

مواقع قوات الردع في الأشرفية وسن الفيل والشفروليه والحدث والحازمية».

ردّت القوات اللبنانية في بيان قالت فيه «منذ ٩٠ يوماً، والقوات السورية تتابع اعتداءاتها على المناطق المسيحية متسلّحة بغطاء الشرعية الصامتة... وهي فجّرت الوضع الأمني في جميع أنحاء بيروت الشرقية، فشمل القصف







الأشرفية في حرب المئة يوم





الأشرفية، عين الرمانة، التحويطة، فرن الشباك، الشياح، بدارو، الجعيتاوي، مار مخايل، الجميزة، الصيفي، المرفأ. واستخدمت المدفعية من عيار ١٢٢ و١٣٠ ملم، ومدافع الهاون ١٢٠ و١٦٠ و٢٤٠ ملم وراجمات الصواريخ والقذائف المحتوية مادة الفوسفور المحظّر استعمالها دولياً.

حيال هذا التصعيد، ردّت القوات اللبنانية على النيران لإسكات المدفعية السورية، وأوقعت خسائر في العتاد والأرواح بين السوريين».

وتحدّثت مصادر كتائبية عن «قتال عنيف دار في محلة الصيفي قرب بيت الكتائب»، وقال حزب الأحرار لوكالة «رويتر» إنّ منطقة الحدث شهدت قتالاً عنيفاً، وطوّقت بنحو أربعة آلاف جندي سوري تدعمهم ٤٠ دبابة ومدافع الهاون.

استرجاع بناية جوزيف عيد جونيور

في ٢٨ أيلول، ازدادت ضراوة الاشتباكات والتراشق المدفعي، واشتعلت محاور المنطقة الشرقية، وانتقلت عناصر الوحدات الخاصة السورية من بناية حمد الى بناية جوزيف عيد جونيور بين جامع بيضون وبارتي وقسم secteur 10 على السوديكو الذي كان برئاسة كابي أبو سليمان، ولم يكن شباب القسم متحضّرين، فهاجمهم السوريون على حين غرّة، فهربوا واحتلّت القوات السورية البناية، ويروي بوب حداد: «طلب الشيخ بشير إخراج السوريين من البناء الذي احتلّوه، فتجمعنا تحت منزله في الأشرفية مع مجموعة أذكر منها عباس وفؤاد أبو ناضر والياس الزايك وجو إده وجورج قزي وإيلي سعاده (مشكل) وريمون رزق وريمون المر وجان جبور... وبدأنا تحضير قنابل المولوتوف والأسلحة، وتوزيع المهام. فصعدنا مجموعة من ثمانية أشخاص يقودها ابراهيم ضاهر وتضم أيضاً ميشال الشامي وريمون رزق وجان جبور وناجي خيرالله وحبيب نمور وكميل نمور الى البناية التي احتلّها السوريون»، ويضيف حداد: «استخدمنا ألواحاً خشبية (بوندي) وضعناها على شرفة مبنى ملاصق لشرفة طابق من البناية التي احتلّتها القوات الخاصة السورية وكانت الساعة ١١ ليلاً، وبسرعة ألقينا ثلاث قنابل يدوية لإحداث بلبلة لدى السوريين، ودخلنا عبر ألواح الخشب والتحمنا مع الجنود ودارت معركة عنيفة في طبقات البناية وداخل الغرف فقتل جنديان سوريان وتمّ إخراج القوات الخاصة وتحرير بناية جوزيف عيد الاستراتيجية».



مجموعة من المغاوير

ويتابع بوب: «انسحب السوريون مع بعض الجرحى الى بناية أخرى كانوا يسيطرون عليها. ومع الفجر، طوّقت مجموعة أخرى من المغاوير مؤلّفة من جورج قزّي ومسعود الحويك، ومعهما فرج عبجي وجان حايك أبو نجوى ونصري منصور وطوني جبور وجبرايل الحويك والياس الخوري وخليل أبو خليل، إضافة الى بعض شباب الـ«ب ج» المبنى الذي يتحصّن فيه السوريون من ناحية بارتي. وقبل مهاجمة المبنى، إنسحب السوريون الى بناية أبو حمد وبرج رزق».

لم يتقبل السوريون ذلك، وبدأوا تحضيراتهم لتنفيذ عملية كبيرة تعيد معنويات جنودهم والمواقع التي خسروها. ونفّذت مدفعيتهم وراجماتهم جولة قصف هستيري أدى الى سقوط عدد كبير من الضحايا واندلاع حرائق في الأبنية والمؤسّسات منها المستشفيات. وتعذّر على الأجهزة إحصاء الإصابات بسبب استمرار الاشتباكات. ووصلت القذائف حتى ضبيه في المتن الشمالي ونهر الكلب وزوق مكايل في كسروان. ولم تسلم مباني القصر الجمهوري في بعبدا والسرايا في بيروت وقصر منصور في محلة المتحف من القذائف ورصاص القنص.

إزاء التدهور الدراماتيكي والقصف الهستيري، أطلق الرئيس كميل شمعون إنذاراً مدته ٢٤ ساعة محمّلاً الحكم والحكومة مسؤولية ما قد يحدث إذا لم توقف السلطة «المجازر» وتنفّذ الترتيبات الأمنية التي وعد بها رئيس الجمهورية

وتتخّذ موقفاً معارضاً للتجديد لـ«الردع».

في ٢٩ و٣٠ أيلول، امتدّ خط النار من عين الرمانة الى الأشرفية والحدث وصولاً حتى ضبية ومشارف جونيه، ومن ضهور عاليه الى قرنة شهوان وعين سعادة وبرمانا وغيرها من المناطق والبلدات. وطالبت الولايات المتحدة بعقد مؤتمر دولي حول لبنان، ووجه الرئيس جيمي كارتر نداءً ملحّاً الى جميع الأطراف المعنية في الحرب اللبنانية للتفاوض «من أجل إيجاد خاتمة نهائية لحلقة الصدام الدائر منذ أمد بعيد».











القصف على مستشفيات كرم واوتيل ديو والروم جعلها تعالج الجرحى في الملاجئ

رفضت سوريا فوراً ورسمياً المشروع الاميركي الخاص بالدعوة الى عقد مؤتمر دولي من أجل لبنان، ووصفته بأنه «تدخل وفرض وصاية على الشعوب». وقالت أنه لم تجر أي اتصالات أميركية - سورية بهذا الشأن.

في ٣٠ أيلول، كانت حصيلة الاشتباكات والقصف الذي امتدّ الى قرى المتن الشمالي وكسروان والمنطقة الغربية من بيروت، أكثر من ٧٠ قتيلاً و٣٠٠ جريحاً، إضافة الى خسائر مادية فادحة.

وكشفت مصادر أن حصيلة الساعات العشر من القصف السوري جاوزت مجموع أضرار «الحرب في لبنان» خلال سنتي ١٩٧٥-١٩٧٦، وقتل من جراء اختراق قذيفة عيار ٢٤٠ ملم سقف أحد ملاجئ منطقة الشحروري كرم الزيتون ١٩ شخصاً من النساء والأطفال والشيوخ، عرف منهم الآنسة جان حبيب وعائلة من آل خوري، كما سقط ٥ مواطنين في منطقة الحدث، ونقل الى مستشفى مار يوسف في الدورة أربعة قتلى هم الدركي جورج أبو عيد والجندي جوزف حاصباني وديب حدشيتي وامرأة مجهولة الهوية. وعالج مستشفى مار يوسف ١٢٢ جريحاً. أمّا الخسائر المادية، فقد فاقت كل الأضرار اللاحقة بالمناطق المسيحية منذ ١٣ نيسان ١٩٧٥، اذ انشطرت أبنية الى اثنين وسقطت أجزاء منها وسدّت الشوارع، وأحدثت قذائف عيار ٢٤٠ ملم حفراً عمقها متران وعرضها ثلاثة أمتار، كما احترقت مئات الأبنية،

والتهمت النيران الأحراج في ضبيه وديك المحدي وغيرهما.

وأعلنت القوات اللبنانية «ان الاعتداء تواصل لمدة ٧٢ ساعة على المناطق المسيحية من الحدث الى الصيفي وضبيه وذوق مكايل وديك المحدي وقرنة شهوان وبرمانا، وهي مناطق تقارب مساحتها ١٠٠ كيلومتر مربع زرعها جيش الاحتلال السوري بما يزيد على ٢٠ ألف قذيفة ثقيلة عيار ١٦٠ و٢٤٠ ملم ومن مدافع الميدان عيار ١٢٢ و١٣٠ ملم وصواريخ الراجمات والغراد».





الراجمات السورية تقصف الأشرفية من برج رزق

وقالت القوات اللبنانية إنها «أصابت مربض مدفعية رئيسي قرب كلية العلوم في الشويفات (١٢ مدفعاً)، وانفجر مخزنه فأتى على عدد من الجنود السوريين، كما أصابت مرابض سن الفيل وتلّة المير وتلّ الزعتر وجسر الباشا وتلة رياض في الحازمية.. والتقط اتصال لاسلكي بين قيادة الوحدات السورية ومربضي مدفعية يدعيان اصطلاحاً «كميل» و«نظير»، فسألت القيادة عن سبب تخاذل «كميل» وتوقّفه عن الاطلاق، فأجاب المربض «بأن «كميل» مريض ويستحيل عليه الشفاء قبل إنتهاء إرسال الهدايا الموجعة».

واستفسرت القيادة عن تقاعس «نظير» في تنفيذ الأوامر، فأجيبت بأن «نظير» مريض حتى الموت ويجب إسعافه بسرعة». وسألت القيادة «هل صحيح أن نظير مريض بكلّ قواه؟» وكان الجواب أن «نظير وأبناءه السبعة مصابون».

وفي الأشرفية، أعلنت القوات اللبنانية إصابة ثلاث راجمات للسوريين في برج رزق انفجرت مع ذخائرها، كما أصابت مربض مدفعية من عيار ١٢٠ ملم وراجمة في بناية «السنا»، ودمّرت «سبع راجمات صواريخ في الأشرفية وأربع دبابات من نوع ت ٥٥ في عين الرمانة».

وأوردت سير المعارك على النحو التالي: «في الحدث اشتدّ القصف السوري، وحاولت قوات الاحتلال التقدّم على محور سبنيه معزّزة بالدبّابات ومستخدمة قذائف ب٧ والرشاشات الثقيلة. فوقع في صفوف المهاجمين أكثر من عشرة قتلى وردّوا على أعقابهم، وتمكّنت القوات اللبنانية في الحدث من تعزيز مواقعها قبل تطبيق اتفاق وقف النار.



العميد الحاج أصيب في القصف

مثلث عين الرمانة تعرض الى أقصى أنواع القصف من دون انقطاع، وجرت أكثر من محاولة اختراق على محاور بدارو- الطيونة والبريد ومستشفى الحياة وغاليري سمعان، لكنّها باءت بالفشل وتكبّد السوريون خسائر كبيرة في الأرواح.

وشمل القصف السوري قيادة الأمن الداخلي قرب أوتيل ديو، فأصيب العميد أحمد الحاج إصابة طفيفة في يده فيما أصيب الرائد قبرصلي، الذي كان يرافقه إصابة خطرة، وأسقط القصف قتلى وجرحى في منطقة الجميزة والسراسقة، فيما بقيت فصيلة من الجيش السوري محاصرة في منطقة الصيفي.

في رأس الدكوانة تقدّم السوريون، واحتلّوا المساكن الواقعة قرب كنيسة سيدة النجاة، واشتبكوا مع الأهالي وخسروا بضعة قتلى، واستمرّ القصف متواصلاً على الدكوانة حتى الرابعة من بعد الظهر، وتعرّضت مناطق الفنار - سد البوشرية والجديدة، الدورة برج حمود- كمب طراد- الشلّ - جل الديب - انطلياس - بقنايا - الضبيه - ديك المحدي - دير طاميش - قرنة شهوان - العطشانة لقصف عنيف أوقع اكثر من ٢٠٠ إصابة نقل منها ٤ قتلى و١٢٢ جريحاً الى مستشفى مار يوسف بعضهم في حال الخطر. وقد أخلي من المستشفى ٣٠ مريضاً لتتسع الأماكن للجرحى، بعدما أصيب المستشفى بقذائف عديدة أحدثت إحداها حريقاً وأشعل القصف حرائق في أحراج ضبيه وعوكر ودير طاميش وقرنة شهوان، حيث قتل داوود الياس وشخص آخر وأصيب ١٠ أشخاص في العطشانة من جراء سقوط قذيفة على دير السريان الأرثوذكس. وسقط عدد من الجرحى والقتلى الأرمن بسبب تعرض أحيائهم في برج حمود وكمب طراد للقصف السوري. وعزّزت القوات السورية مواقعها واستبدلت مدافعها المعطلة في سن الفيل وحرج تابت، ونصبت راجمة صواريخ في منطقة الشل على سطح بناية الباطون، وراجمة في حرج تابت باتجاه الدورة، وراجمة على طريق الزعرور.

وتعرّضت ثكنة صربا للقذائف سقطت إحداها على مبنى تعاونية السجاد وأوقعت جريحين، كما أصابت سبعة قذائف محيط حاجز الجيش في نهر الكلب، وقصف دير يسوع الملك والمنطقة المجاورة.

وأصدرت قوات الردع العربية بلاغاً عن الوضع الأمني جاء فيه:

«في صباح ١٩٧٨/٩/٣٠، اضطرّت قوات الردع نتيجة لتكاثف القنص وزيادة رقعة القصف المدفعي عليها الى معالجة الموقف بقسوة مستعملة مدفعيتها الميدانية لإسكات بطاريات المدفعية التي سبق أن حذرت القيادة من استعمالها، وذلك في ضبيه وفي جوار بعض قرى المتن، كما قصفت بالأسلحة العضوية كلّ مصادر النيران ابتداءً من الأشرفية حتى الحدث، ولم تزل في صدد معالجتها حتى إذاعة هذا البلاغ، وحتى يتمّ اسكاتها نهائياً، لأنه لا يمكن إبقاء قوات الردع تحت رحمة القنص والقصف المركز ليلاً نهاراً».

في المقابل، أصدرت القيادة الموحدة للقوات اللبنانية سلسلة بيانات جاء فيها :

«ان مدفعية الميدان السورية من عيار ١٢٢ و١٣٠ ملم، والهواوين من عيار ١٦٠ و٢٤٠ ملم، وراجمات الصواريخ قصفت بوحشية بالغة مناطق عين الرمانة والحدث والشياح وفرن الشباك والتحويطة وبدارو وسامي الصلح والأشرفية والجعيتاوي والصيفي ومار مخايل والبدوي، وشمل القصف السوري النبعة والدورة والجديدة ونهر الكلب وعين عار. كذلك قصفت بالوحشية نفسها المراكز الطبية والمستشفيات ومنها مركز الصليب الأحمر الدولي في الجمّيزة. إنّ العدو السوري الذي يستعمل القنابل الفوسفورية المحظّر استعمالها، ركّز قصفه على بيت الكتائب المركزي والمركز الرئيس لحزب الوطنيين الأحرار. ونطلب من الشعب اللبناني الالتفاف حول المقاومة التي تقودها القوات اللبنانية ضد جيش الاحتلال السوري».

وأعلنت القوات «تدمير بطاريتي مدفع عيار ١٢٢ ملم للعدو السوري متمركزتين في تلة الرياض في محلة الجمهور. كذلك، دمّرت مخزناً للذخيرة في بلدة كفرشيما. من جهة أخرى، قامت قوات الاحتلال السوري بثلاث محاولات اختراق فاشلة تجاه ملعب السلام في الأشرفية استشهد خلالها أحد قادة القوات اللبنانية الصيدلي ميشال بارتي، وحتى الساعة الثانية كانت المعارك لا تزال محتدمة بين عناصرنا وقوات الاحتلال السوري».

«انّ القيادة الموحّدة للقوات اللبنانية تكذّب الخبر الذي وزعته إحدى وكالات الأنباء العالمية عن سقوط بلدة الحدث، وتؤكّد أن الوضع العسكري في هذه البلدة جيّد. فالحدث والمناطق المسيحية الأخرى في بيروت والضواحي لا تزال تواجه قوات الاحتلال، وقد أصدرت أوامرها الى وحداتها بالتصدي بعنف للقوات السورية وأوقعت فيها خسائر في الرجال والعتاد».

«بلغ عدد القتلى والجرحى حسب التقدير التقريبي ٢٨٠ من المدنيين، أما المنازل التي دمرت فعددها يفوق ١٧٠٠ منزل، وبلغ مجموع القذائف التي سقطت ١٢٩٦٠ قذيفة بمعدل ٢٧ قذيفة كلّ دقيقة».

«ومن جهة أخرى، تعرّضت الضاحية الجنوبية لقنص غزير من جهة الطيونة، مار مخايل، البريد، المطاحن، مار

مارون، كاليري سمعان، الحدث، سبنيه، والأنطونية. كما تعرّضت منطقة التحويطة - فرن الشباك وبدارو والحدث الى قصف عشوائي عنيف. ودارت معركة طاحنة على محور المطاحن في عين الرمانة عندما حاولت العناصر السورية التسلّل تحت غطاء نيران مدفعية الدبابات في منطقة غاليري سمعان. وفي الصيفي، وجّهت القوات السورية نيران مدفعيتها بغزارة على المنطقة وعلى بيت الكتائب المركزي، وأطلقت قنابل مضيئة لدى هبوط الظلام فوق المناطق المستهدفة للقصف.

وعلى جسري الكرنتينا وبرج حمود، تسلّلت عناصر سورية «مؤلّلة» لتفريغ الذخيرة والتمركز مجدداً على تلة الرياض في الجمهور بعدما كانت القوات اللبنانية قد دمّرت مربض مدفعية من عيار ١٢٢ ملم على هذه التلة.

وفي مستشفى الروم، دعت الإدارة الأهالي للتعرف على ٥٧ جثة موضوعة في البرادات لضحايا القصف على المنطقة، وعلم بأن قذيفة هاون سقطت أمام فرن شقير في فسوح وأدّت الى مصرع رجلين، كما انفجرت قذيفة من عيار ٢٤٠ ملم تحت منزل في فسّوح، واقتلعته من أساسه بالإضافة الى تدمير كامل لتعاونية الشحرور.

ومن قتلى اليوم في الحدث، عرف الشاب بسام عون وجريحة تدعى مارلين قصعمي، وقتل في الأشرفية الطبيب الدكتور ميشال الأصفر».

وقال الرئيس كميل شمعون في مؤتمر صحفي: «ان بإمكان المقاومة ان تستمرّ على طول المدى... حتى النهاية... الى اليوم الذي لن يعود فيه أي جندي سوري على الأرض اللبنانية...».

وأضاف: «حقّقوا حلمهم القديم بالدخول الى لبنان فبدأوا بقتل كمال جنبلاط، وانتهوا بإرتكاب مجزرة أودت بحياة ٢٦ بريئاً في القاع وجديدة الفاكهة ورأس بعلبك. ونجحوا بشقّ المسيحيين الى قسمين وكانت هذه لعبتهم».

معركة بارتي

قبل ظهر ٣٠ أيلول ١٩٧٨، تسلّلت مجموعة سورية من الحديقة الواقعة وراء بناية بارتي بإتّجاه الصيدلية بعدما غطت تحركها بتفجير قنابل دخانية، فواجهم الدكتور ميشال بارتي[1] وعدد من رفاقه، فقتل ثمانية جنود سوريين. وإتّخذ بارتي إحتياطات أمنية في الشارع، وتوزّع ورفاقه في موقعين الأول على محطة الحاج مراد والثاني في محاذاة أزهار


جنود سوريون أمام صيدلية بارتي

(١) الصيدلي ميشال بارتي في الثامنة والأربعين من العمر، متزوّج، صاحب صيدلية بارتي في الأشرفية ومعهد التجميل الملحق بها، عضو في نقابة الصيادلة ومؤسس «لجنة الدفاع عن حقوق الصيادلة». أسّس خلال حرب السنتين ٧٥-٧٦ تنظيم «جيش التحرير اللبناني» وهو أحد التنظيمات المنضمّة الى القيادة الموحدة للقوات اللبنانية، وكان أصيب خلال حرب السنتين ما أدى الى عطب دائم في رجله اليمنى.

عزّام. عاودت القوات الخاصة السورية الهجوم بقوّة أكبر بعد قصف عنيف تبعه معركة ضارية، ونزل السوريين عن التلة من برج أبو حمد بإتّجاه بناية بارتي، فسقط لهم عدد من الضحايا، وأصيب ميشال بارتي إصابة قاتلة.


خوند استدعى المغاوير لتحرير بارتي

استولى السوريون على بناية بارتي ومحيطها. وبدأوا تحصين مراكزهم والإستعداد للتقدّم بإتّجاه وسط الاشرفية.

فور شيوع مقتل بارتي وتقدّم السوريين، صعدت من المجلس الحربي مجموعة إدارة العمليات، وهي مؤلّفة من فؤاد أبو ناضر، الياس الزايك، أسعد سعيد، ومسعود الأشقر والياس حبيقة... ومعهم بعض الشباب.

واتّصل بطرس خوند بثكنة المغاوير، طالباً من ضابط الخدمة ابراهيم حداد التوجّه بسرعة إلى مركز القيادة.

وصل بوب الى غرفة العمليات، فوجد خوند مع شخص آخر، فقال له بطرس: «السوريون دخلوا الى بناية بارتي ويستعدّون للتقدم نحو ساحة ساسين فيجب أن نتصرف بسرعة».

وقال الشخص الذي مع بطرس: «انتبه يا إبني، هؤلاء السوريون يرمون قنابل دخانية للتحرّك، وعند رميهم القنابل الدخانية عليكم إطلاق النار بكثافة على أماكن الدخان». فأجابه حداد بتهكّم «وهل ننبطح أرضاً ونطلق النار». فعضّ بطرس خوند على شفته ونظر الى حداد بانزعاج، وتبيّن لبوب فيما بعد أن الشخص الذي مع بطرس خوند هو العقيد ابراهيم طنوس الذي أصبح فيما بعد قائداً للجيش اللبناني.

كان في ثكنة المغاوير شاب يمتلك دراجة نارية من نوع هوندا ٧٥٠ ويدعى سليم تنكرة، كان يتولى بسرعة إبلاغ الشباب بأي استنفار مستخدماً دراجته، لأنّ معظم الشباب لم يكن في بيوتهم هاتف.


وحدات المغاوير

إضافة الى تنكرة، تولّى إيلي سعاده (مشكل) إبلاغ قسم كبير من الشباب يعملون في شركة سونوبور (سونوبور شركة أسّسها حزب الكتائب وجمعت القياديين الكتائبيين ومنهم جو إده وابراهيم الضاهر وجورج قزي وإيلي سعادة وبوب حداد وأسعد سعيد وايلي قرداحي وغيرهم وكان طانيوس سابا مديراً لها).

إنطلق الشباب بسرعة بواسطة جيبّات وشاحنة جي إم سي يقودها بشارة عضيمي (كانت لبلدية بيروت ووضع الشباب عليها شعار المغاوير).

سلكت المجموعة طريق السيدة ووصلت الى اللعازارية في الأشرفية التي كانت تتعرّض لقصف عنيف، وسار الشباب الى مستشفى كرم بإتّجاه محطة الحاج مراد ووجدوا على زاوية المحطة رجلاً مصاباً وبجانبه رشاش فرنسي ٥٢ ملم مع جنزير رصاص وقربه نحو ٢٠٠ رصاصة فارغة وفراغ قذيفة لانشر كان أطلقها على السوريين، وسقط بعدما أصيبت قذيفة اللانشر في بندقيته برصاصة فأنفجرت وبترت يده اليسرى حيث يمسك البندقية. فسأل ابراهيم حداد شاباً هناك من هو هذا الرجل؟ فقال له هذا المعلّم ميشال بارتي، فوضع فؤاد أبو ناضر حراماً على الجثة، وسحبوها الى المحطة حيث مجمع abc التجاري اليوم. وبدأت المواجهة مع الوحدات الخاصّة السورية التي توغّل عناصرها واحتلّوا عدداً من الأبنية، منها بناية librairie orientale حيث اشتبك ميشال بارتي معهم قبل استشهاده.

وصلت ليلاً تعزيزات سورية جديدة الى البنايات التي احتلّوها في ظلّ القصف العنيف، وبدأوا بالتجمع وتحصين مواقعهم في محيط المكتبة الشرقية استعداداً لإكمال انتشارهم وتقدّمهم بإتجاه بناية السلام. وتموضعت مجموعة عمليات المجلس أمام باتيسري موريس بمواجهة الوحدات السورية عند مستشفى كرم باتجاه بناية أبو حمد.


ميشال بارتي استشهد بعد معركة ضارية

تقدّم ابراهيم حداد وميشال الشامي وحبيب نمور الى بيت ميشال بارتي، ووجدوا عدداً كبيراً من جنود القوات الخاصة السورية في موقف للسيارات وراء بناية بارتي. فقرّر الشباب قذفهم برمّانات يدوية، لكنّهم عدلوا عن ذلك وابتكروا طريقة أكثر فعالية بعدما وجدوا قارورة غاز كبيرة، فوضعوا عليها أصابع معجونة من المتفجرات، وحملها ميشال الشامي صاحب البنية الرياضية، وأشعل بوب الفتيل الذي يفجّر الصاعق ورماها الشامي بسرعة الى موقف السيارات حيث التجمع السوري فدوى انفجار هائل تبعه صراخ وأنين، واندلعت المعركة بعنف.

قام السوريون برمي قنابل دخانية كثيفة شكلها لافت وهي من نوع فورمايكا خشبية، فحجبوا الرؤية وعزلوا جنودهم عن المقاتلين، لكن أحد ضباط الجيش الذي كان يقاتل الى جانب الأحرار إبتكر طريقة لإزالة الدخان، وهي أن يتمّ قصف غمامة الدخان بالهواوين الصغيرة، فإذا كان السوريون يتقدّمون سيصابون، واذا لا، فالقذائف ستساهم في إزالة الدخان، وهكذا حصل.


بناية صيدلية بارتي بعد المعركة

نزلت مجموعة من المغاوير من أمام بناية السلام الى بناية بارتي، ودخلت الى مختبر الصيدلية بحذر من دون إطلاق نار، فظنّت شقيقة ميشال بارتي لور ومعها شاب وفتاة صغيرة أنهم سوريون فقالت: «دخيلكن نحن لا علاقة لنا بشيء»، فقالوا لها «لا تخافوا نحن كتائب»، وتمّ تأمين انسحابهم بسرعة، فيما استمرّ تقدم المغاوير في الداخل حتى أصبحوا على بعد أمتار من وحدة القوات الخاصة السورية.

في هذا الوقت، وصلت مجموعة بقيادة إيلي سعادة (مشكل) وجان حايك (أبو نجوى)، ودخلت من جهة مار متر الى بناية نجيب طباع على المفرق المؤدي الى زهرة الإحسان، وأصبحوا على تماس مباشر بالنار مع السوريين أمام بناية المكتبة الشرقية، ثمّ دخلت مجموعة ثانية بقيادة جورج قزي من جهة حلويات ورد ومنزل بشير الجميل. بدأ التقدّم بحذر فيما السوريون يرمون


أصلان ألحّ لفك الطوق عن الرائد سلمان

القنابل الدخانية لحجب الرؤية.

ويقول فؤاد أبو ناضر: «سمعنا أحد الضباط السوريين يطلب من أحد عسكرييه القفز عن حائط باطون مرتفع قائلاً له: «اقفز ولا» فأجابه الجندي: «ما بحسن سيدو»، فقال له: «اقفز يعني اقفز». وأطلق النار على قدمه. وهذا أمر مشهور لدى السوريين الذين يتبعون التنظيم السوفياتي، أي من لا ينفذ الأمر تطلق النار عليه. تكرّر الطلب من جندي آخر فقفز وأخذ يصرخ من كسر في رجله».

في غضون ذلك، بدأت المجموعات الثلاث ومجموعة العمليات برمي القنابل اليدوية وقذائف ب٧ على البناية ومحيطها من دون توقّف، واستعمل لأول مرة مدفع كارل غوستاف. ومع انبلاج الفجر، بدأت عملية الاقتحام، فيما كانت الأشرفية تدمّر بمختلف أنواع القذائف السورية عيار ٢٤٠ و١٦٠ ملم، وصواريخ الراجمات، وتحوّلت كتلة من اللهب والدخان، وقدّرت القنابل التي سقطت على الأشرفية وجوارها في يومين بـ٣٠ الف قذيفة.

لم تكن منطقة بارتي تقصف بالقنابل الكبيرة لأنّ المقاتلين كانوا على تماس مباشر مع السوريين. وعلم في ما بعد أن أهمّ ضباط القوات السورية الرائد محمد سلمان، وهو الإبن المدلل للواء علي أصلان، كان محاصراً في المكان، وكان هذا القصف العنيف بهدف إنقاذه من الموت وتأمين انسحابه من بناية بارتي وموقع بابا جينا.

ويقول اللواء سامي الخطيب في كتابه في عين الحدث: «اتّصل بي في الساعة ١٤ ذلك اليوم اللواء علي أصلان من شتورا وقال لي بهدوء «لقد حصل اليوم في قطاع الرائد نايف العاقل في الأشرفية خطأ تكتي من قبل إحدى الفصائل التابعة له التي بدّلت مع فصيلة من قوات الرائد محمد سلمان، وأثناء التبديل ... تقدمت فصيلة الرائد نايف واحتلّت المبنى الذي توجد فيه صيدلية بارتي، وتوقّفت هناك لأنها وجدت نفسها معزولة وقد تجاوزت الخط المحدّد لها في أمر التحرّك، وبالتالي أصبحت مطوّقة من عناصر الميليشيات المسيحية برئاسة بشير الجميل، وبدأ الطوق يطبق شيئاً فشيئاً على الفصيلة المتقدمة والتي لم يعد أمامها سوى طريق واحد للعودة الى الغرب، أي العودة الى مراكز الكتيبة قرب برج رزق»، ثمّ طلب مني اللواء أصلان تأمين عودة هذه الفصيلة الى الخلف، أي التخلّي عن بضع بنايات شرقي وشمالي برج رزق للميليشيات، والمطلوب أخذ وعد رسمي من الشيخ بشير بوقف النار حتى تتمكن الفصيلة من العودة بدون خسائر، لأنّها كانت تحمل في ذلك الوقت ثلاثة جرحى وشهيدين»، وبإختصار قال لي اللواء أصلان «يا أخي نريد الانسحاب فقط نحن لا نطلب توسيع رقعة تواجدنا بل تصغيرها، فليكونوا أيّ الميليشيات صادقين معنا ولننه هذا الأمر بعد ظهر اليوم، ولتكن هذه البادرة خطوة إيجابية لحلّ مشاكل كثيرة عالقة»...



بشير وأنستاز وتوتنجي

يضيف اللواء الخطيب: «اتّصلت بالشيخ بشير فلم أجده... فإتّصلت بالشيخ بيار وكان في غاية التفهم وخاصة عندما شرحت له فحوى الطلب السوري وإيجابياته، وقلت له «في كلّ مرة كنا نطلب توسيعاً لنطاق مسؤوليات الردع، الا اليوم فحن نطلب موافقتكم على تصغيرها والإبتعاد عنكم»، فوعد خيراً وقال أنه سيطلب من الشيخ بشير مكالمتي فوراً لحل هذا المشكل، وانتظرت حتى الخامسة والنصف ولم أتلق أي جواب من الشيخ بيار ولا من الشيخ بشير، لكنّ اللواء اصلان كان على الخط الثاني يسأل ملحاً على إنهاء الموضوع قبل هبوط الليل، فاستمهلته حتى العاشرة ليلاً... وعدت للشيخ بيار وطلبته وكان رحمه الله عالي التهذيب ولكنّه واسع الحيلة دهاء وحنكة، وقال لي أنه سيطلب من ديب انستاز

أحد المسؤولين أن يكلّمني ويحل المشكلة مع السوريين، وتكلّمت مع انستاز بعد ساعة تقريباً، وشرحت له الأمر ليشرحه بدوره للشيخ بشير لأنه القادر على أخذ القرار وتنفيذه، وأعطاني أيضاً مهلة حتى الساعة ١٢ ليلاً، وعدت بعدها الى اللواء أصلان وبصعوبة كليّة استطعت إمهاله الى الساعة ١٢، لكنّه هذه المرة بدا متوتراً، وارتفع منسوب صوته وقال: «يا أخ سامي، نحن جيش نظامي لنا تاريخنا وتراثنا ورصيدنا في العالم العربي، لنا وزن عالمي، هل تريد أن ترانا مكبلين في المجلس الحربي عند بشير الجميل، أنا لا استطيع العودة الى دمشق إذا لم أسحب هذه الفصيلة بما فيها الأموات، فأرجوك أن تكون المهلة هذه، هي الأخيرة»، فهدأت من خواطره وقلت له «الشيخ بيار كلمني للمرة الثالثة الليلة، وأعتقد أنه سينهيها خلال ساعة بإذن الله».

يتابع اللواء الخطيب: «ولما أصبحت الساعة ١٢،٣٠ من بعد منتصف الليل ولم أسمع من أحد منهم كلمة، طلبت الشيخ بيار للمرة الرابعة ... وأدركت أن سحب الفصيلة أصبح قراراً سورياً على أعلى مستوى، واستحلفت الشيخ بيار أن ينقذ الاشرفية وربما لبنان هذه المرة بقرار حاسم وصادق، فأجابني بأنه سيجبر أنستاز على التكلم معي مهما كان الظرف لإيجاد مخرج سريع وفعّال لتفادي الكارثة، ولأنني كنت على اتصال دائم مع الرئيس سركيس، وضعته بالصورة القاتمة لجواب أصلان ولتهرّب الكتائب. ولما سألني الرئيس وماذا يمكن أن يفعل أصلان لسحب فصيلته من صيدلية بارتي، فقلت لفخامته ما سمعته من اللواء اصلان في الاتصال الاخير، أي انهم سيحيطون منطقة صيدلية بارتي بدائرة من نار المدفعية تشلّ الحركة كلياً، وهناك تسحب الفصيلة على سلالم أعدّت لهذه المهمة قبل ساعات.

وعدت لانتظار مكالمة الشيخ بشير أو ديب أنستاز ولكن بلا نتيجة، حتى أني اتصلت بالمجلس الحربي الكتائبي ....

فتحت نار جهنم على الأشرفية .... وحاولت ما استطعت مع اللواء أصلان والعقيد محمد الغانم، ثم مع العماد حكمت الشهابي والأستاذ عبد الحليم خدام وغيرهم... ولكن من دون جدوى.... واستمرّ الوضع على ما هو عليه حتى سحب الفصيلة بكاملها بما فيها ثلاثة شهداء وخمسة جرحى ...».

استمرّت عملية بارتي ليومين وتمّ بنتيجتها انسحاب القوات السورية التي تكبّدت خسائر كبيرة، وشوهدت نحو عشرة أبواب خشبية مليئة بالدماء كان السوريون يستعملونها لحمل القتلى والجرحى لجهة البستان وراء بناية بارتي حيث الممرّ الوحيد لانسحابهم.

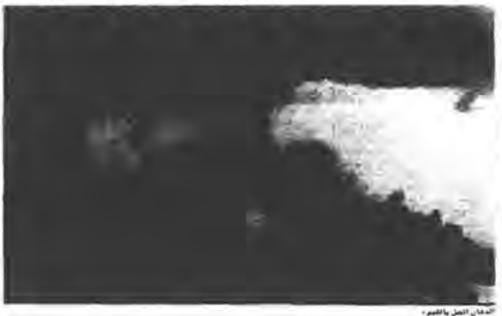
قيادة قوة الردع أذاعت بلاغاً عمّا جرى قالت فيه: «في تاريخ يوم السبت ٣٠- ٩-١٩٧٨، وأثناء اشتباك قوات الردع العربية في الأشرفية مع المسلحين، اضطرّت مجموعة منها الى التقدم صوب الشمال الغربي نحو ٢٠٠ متر لتأمين حماية جانب الكتيبة الغربي، واحتلّت بناية مشرفة هناك (بناية بارتي). وصباح يوم الاحد ١- ١٠- ١٩٧٨، وبعدما استمرّ وقف اطلاق النار في شكل ناجح تقريباً في كلّ المناطق، وجدت قيادة قوات الردع العربية أنّ المكان الجديد الذي استقرّت فيه المجموعة المشار اليها، قد يتّخذه المسلّحون حجّة لخرق وقف اطلاق النار وإعادة تصعيد الموقف الأمني من جديد، لذلك اتّخذت القيادة قراراً بإعادة هذه المجموعة الى مركزها السابق في بناية حبيس وبرج رزق. ولكن خشية أن يتعرض أفرادها للقنص من قبل المسلحين في أثناء عودتها الى مراكزها، استدعت قيادة قوات الردع العربية مسؤولين حزبيين في الساعة الرابعة عشرة من بعد ظهر يوم الأحد الى مقرّها لوضعهما في صورة قرار القيادة وتحذيرهما من مغبة التعرّض لهذه المجموعة لدى عودتها الى مراكزها، وإفهامهما في شكل واضح وصريح أن أي تعرّض لأفراد هذه المجموعة سيجبر قوات الردع على إبقائها في مكانها واحتلال كلّ المباني التي تغطي قيادة الكتيبة عسكرياً، فوعد الممثلان المذكوران بإعطاء الجواب عند الساعة الثالثة والنصف، وفي الموعد المحدد جاء الجواب بأنّ هناك فريقاً آخر لم يتمكّنا من إيجاده لوضعه في صورة الموقف، ومن ثم فتحت النار على مراكز المجموعة وعلى مراكز الكتيبة نفسها وبدأ تراشق خفيف بين المسلحين وقوات الردع ما لبث أن أوقف.

ثم أجرت القيادة ما بين الساعة ١٨.٣٠ ومنتصف ليل الاحد - الاثنين أربعة اتصالات هاتفية مع رئيس حزب رئيسي، فكان متجاوباً كلّ التجاوب، وأعطى تعليماته الحازمة لأحد المسؤولين العملانيين بتنسيق العملية، خصوصاً أن بين أفراد المجموعة المطلوب سحبها بضعة جرحى جروحهم خطرة، غير أن المسؤول الحزبي بعد تردّد طويل ذهب الى مكان العملية ولم يعد. كما أنّه لم يتصل ويُفد عما جرى معه، فيما استمر المسلحون المواجهون للمجموعة في رماياتهم

يوم مجنون عاشته بيروت والضواحي والمتن الشمالي وكسروان

اشتباكات عنيفة وتراشق مدفعي وصاروخي متواصل الهبت الاشرفية وعين الرمانة والحدث وبعبدا والحازمية وسن الفيل













الغزيرة على أفراد المجموعة والكتيبة التي كانت قد أوقفت النار كليّاً لتسمح للمسؤول الحزبي بالوصول الى جوار مؤسسة بارتي وإنهاء العملية. وفي الساعة الثانية عشرة ليلاً، اتّصل المسؤول نفسه ليقول أن العملية غير ممكنة ليلاً. فاستمهلته هذه القيادة وطلبت اليه البقاء حيث هو للإتفاق معه على توقيت صباحي. ولمّا حاول المسؤولون في القيادة الإتصال به ثانية لتحديد الساعة، لم يتمكنوا من العثور عليه أو الوصول اليه بشتّى الوسائل الممكنة وأجيبوا بأنّه ترك مكتبه ولا يعرفون الى أين اتجه، الامر الذي أثبت وجود نيات غير إيجابية.

في الساعة الثالثة من صباح الاثنين ٢- ١٠- ١٩٧٨، فوجئت المجموعة بإحكام الطوق عليها وانهالت بعد ذلك عليها نيران غزيرة من كلّ الاتجاهات، الأمر الذي اضطرّ قوات الردع العربية الى استعمال مدفعيتها بكثافة على محيط الكتيبة لتتمكّن من فك الطوق عن عناصرها وإعادتها الى مراكزها الاساسية. وقد تمّت العملية وأخلي الجرحى السبعة في الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥، في حين كانت نيران الميليشيات تنهمر على كلّ مراكز قوات الردع العربية. وفي الساعة الرابعة والدقيقة الـ٥٠، أوقفت قوات الردع إطلاق النار وقفاً تاماً بناء على أوامر القيادة، الا إن مدافع المسلحين لم تتوقف حتى ساعة إذاعة هذا البيان».

في المقابل، أذاع الناطق الرسمي بإسم القيادة الموحدة للقوات اللبنانية سلسلة بيانات عن الوضع الأمني، وجاء في البلاغ الأول: «الحال النفسية التي يعيشها جيش الاحتلال السوري تدعو حقاً الى القلق ما دفع قيادته وبغية رفع معنويات العناصر المنهارة الى القيام بعمليات يائسة تزجّ فيها الوحدات التي تعتبرها خاصة وممتازة كالمحاولات الفاشلة لفكّ الطوق المضروب حول فصيلة سورية محاصرة قرب صيدلية بارتي.

وقد أقرّت قيادة قوات الردع السورية صراحة اليوم بأنها قصفت المناطق المسيحية في لبنان مستعملة ما يزيد على تسعة آلاف قذيفة ثقيلة خلال ١١٠ دقائق، شملت ٨٠٠ ألف مواطن و٥٠٠ كلم، وذلك لتسهيل العملية التكتيكية المحدودة التي أسندت الى مجموعة من المغاوير البعثيين، وهي الإفراج عن ١٥ عنصراً فقط من الوحدات الخاصة الممتازة. ولكنّ المقاومة الشرسة والصمود المنيع لدى القوات اللبنانية التي تستمدّ قوتها وإرادتها من صمود الشعب اللبناني ومقاومته أفشلت وستفشل كلّ محاولات جيش الإحتلال السوري .

إنّ قيادة القوات اللبنانية تعلن للشعب اللبناني وللرأي العام العالمي : لن يمرّوا لن يمرّوا».

وجاء في البلاغ الثاني: «تمكّنت القوات اللبنانية من تطهير منطقة الشهيد ميشال بارتي وإحكام سيطرتها تماماً عليها، وذلك بعد معركة عنيفة أسفرت عن مقتل عدد كبير من الوحدة السورية التي كانت محاصرة، فيما هرب بعض الجنود ووقع جنديان أسيرين في أيدي القوات اللبنانية».

وفي البلاغ الثالث: «تمكّنت القوات اللبنانية من تدمير ١٢ مدفعاً في ضهور الكحالة وتل المير وتل الزعتر وتل الحمرا في الدكوانة، وتلة الرياض في الجمهور وشوهدت النار تندلع من مربضين هناك وفي مستديرة المكلس. وكانت مدفعية الميدان السورية عيار ١٢٢ و ١٣٠ ملم والهواوين من عيار ١٦٠ و٢٤٠ ملم وراجمات الصواريخ قصفت بوحشية بالغة مختلف المناطق الشرقية، وبلغ عدد القتلى والجرحى حسب التقدير التقريبي ٢٨٠ من المدنيين. أما المنازل التي دمّرت فعددها يفوق ١٧٠٠ منزل. وبلغ مجموع القذائف التي سقطت ١٢٩٦٠ قذيفة بمعدل ٢٧ قذيفة كل دقيقة».

بعد معركة بارتي، جال بشير الجميل على المنطقة، وأصبح جو إده يتصرف كالصبية من شدة فرحه ويطلق النار في الهواء ابتهاجاً ويركل البراميل التي تقفل الطرقات بقدميه.

أجمعت الصحف المحلية والعالمية على وصف نهار الخميس ٣١ آب بأسوأ أيام الحرب اللبنانية منذ ١٩٧٥، وقدّرت مصادر أمنية لبنانية عدد القذائف التي سقطت على الأشرفية وحدها حتى الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر بنحو ٣ آلاف قذيفة مختلفة العيارات من ٢٦٠، ١٧٥، ١٦٠، ١٥٥، ١٢٢ ملم، إضافة إلى القذائف المضادة للطائرات.

انتهت عملية بارتي في ٢ تشرين الاول بتراجع الجيش السوري الى برج رزق ولم يعد بإمكانه التقدم، واعتُبر ذلك أول انتصار للقوات اللبنانية.

الردّ على معركة بارتي كان قصفاً سورياً شاملاً على مدى يومين لم يسلم منه أي حي أو قرية في المنطقة الشرقية، وكان الرئيس سركيس الذي يعيش في ملجأ القصر الجمهوري من دون كهرباء وماء بسبب تعرضه لقصف عنيف قرّر تنفيذ خطة أمنية جديدة، ودعا الى إعادة انتشار قوات الردع العربية، ووجّه رسالة الى اللبنانيين قال فيها قررت «تنفيذ خطة أمنية جديدة خلال مهلة أقصاها عشرة أيام تزيل الاحتكاك، وإشراك الفعاليات السياسية اللبنانية الرئيسية بحكومة جديدة، يكون في أولى مهماتها معالجة أزمتنا الحاضرة لا سيما على الصعيد السياسي.. وإيجاد الحلول الثابتة لانقاذ الوطن».

رفضت دمشق مبادرة الرئيس، وضاعفت حدّة قصفها للمناطق الشرقية وبشكل هستيري اختلطت معه رائحة البارود بالحرائق والجثث المتفحّمة، وكان وميض وصوت القذائف ليلاً أشبه ببرق وقصف الرعود في عاصفة لا تتوقف.

عنف القتال والقصف الصاروخي على كلّ المحاور من الأشرفية الى عين الرمانة والحدث وبعبدا والجديدة والدورة والزلقا وجل الديب وانطلياس وضبيه وجونية وبكفيا وضهور الشوير وبيت مري وبرمانا وغيرها من البلدات.

ثمّ شهدت جسور المدخل الشرقي لبيروت والكرنتينا التي كانت منطلقاً لسلسلة المواجهات الأخرى أعنف جولات القتال، وسقط عدد كبير من القتلى والجرحى واندلعت حرائق هائلة أكبرها في كازخانات الغاز والوقود في الدورة، والتهمت النار أبنية ومصانع كثيرة، وغطّت



كازخانات الدورة تشتعل

سحب الدخان الاسود سماء المناطق الشرقية التي تحوّلت الى أرض منكوبة ومحروقة. وعلى الأثر، اقترحت فرنسا إعادة توزيع قوات الردع العربية في لبنان وتدخّل «قوات فصل» من أجل إيجاد حلّ للأزمة اللبنانية.

في المقابل، شنّت وسائل الإعلام السورية حملة واسعة على حزبي الكتائب والاحرار، وربطت بين البدء بتنفيذ اتّفاقات كامب دايفيد، والتصعيد الذي تقوم به الميليشيات.

أدّى عنف القصف السوري الى انقطاع الإتصال مع المستشفيات، وانقطاع الكهرباء عن الأشرفية ومعظم الضاحية الجنوبية، وانقطاع المياه والخبز وسائر الحاجات الغذائية والأدوية والأمصال والأوكسجين.

وقالت القوات اللبنانية إنّها «استخدمت بعض إمكاناتها العسكرية لإلحاق ضربة موجعة بالمدفعية السورية لصدّ أي محاولة تقدّم على محاور الصيفي والأشرفية والضاحية الجنوبية، وقد حقّقت القوات اللبنانية أهدافاً عسكرية حيث دمّرت قواعد مدفعية ميدان سورية بكاملها، وعدداً من مدافع المضاد للطائرات والدبابات وناقلات الجنود وراجمات الصواريخ».

أضافت القوات: «التقطت مخابرة لاسلكية موجّهة من القيادة في الشام الى الرائد نايف ابراهيم (العاقل) قائد جيش الإحتلال في الأشرفية تأمره بتدمير الموقعين ٢٢١ و٥٠١ (أي المجلس الحربي الكتائبي وبيت الكتائب المركزي)، وأبلغ المتحدث من دمشق الرائد نايف ابراهيم أنّ الأوامر واضحة وصارمة ولا تقبل أي جدل، وقيل لإبراهيم إذا كانت وسائلك غير قادرة، فأبلغنا لندرس خطة أخرى».

وكشفت مصادر أمنية وطبية «أنّ مستشفى أوتيل ديو مقطوع عن العالم: لا هاتف، لا كهرباء، لا ماء وقليل من المأكولات للجرحى، غرف العمليات لم تعد صالحة وكذلك الطوابق الواقعة فوق سطح الأرض.

المستشفى اللبناني استقبل أربعة جرحى ولحقت بمبانيه أضرار جسيمة. مستشفى الروم استقبل ٢٢ جريحاً و٨ قتلى ودمر الطابق الثالث فيه المخصص للأطفال وكذلك الغرفة ٤١٥، سقط زجاج كلّ الأجنحة وتحطّمت أربع سيارات إسعاف وتناثرت حجارة المستشفى في الشارع، ونقل المرضى الى الملجأ وبات المستشفى غير صالح جزئياً وبحاجة الى أوكسجين وعلاجات وأمصال ودمّ...


جنديان سوريان وسط الدمار

في الضاحية الجنوبية، شمل القصف السوري جميع أحيائها، وامتدّ من عين الرمانة والحدث الى بعبدا والحازمية، ولم يسجل أي تقدّم سوري على هذه المحاور، رغم محاولة التسلل التي جرت على محور سبنيه، وقد تحوّلت شوارع هذه الضاحية الى كتلة من الركام تعذّر تحرّك السيارات في أحيائها من جراء حفر القذائف الثقيلة من عيار ٢٤٠ ملم (١٠٥ كلغ وزن القذيفة الواحدة) و١٣٠ ملم.

وتعرّضت الجديدة - جل الديب - انطلياس - الضبيه - الفنار - بياقوت الى قصف متواصل بالهواوين ومدفعية الميدان، وسجّل سقوط عدد من القتلى منهم: جوزف مطر (تنورين)، وقد احترق من جراء انفجار قذيفة داخل منزله، وكابي حنينه، وجرح كلّ من بطرس عواد ومارون عواد وشقيقه وطوني عواد وساميا أبي نادر وسيمون أبي نادر.

ونقل الى مستشفى مار يوسف ٥٥ جريحاً فعولج أصحاب الحالات العادية في المستشفى، وأرسل الباقون الى جونيه إذ كان المستشفى يشكو من

انقطاع خطوط الهاتف ومن نقص في كميات الأوكسيجين، وقد نقل الجرحى والمرضى ومعظمهم من الأطفال الى الملجأ والممرات الداخلية.

أما مأوى عجزة دير الصليب، فقد أصيب الجناح الشرقي منه بعدة قذائف ميدانية من عيار ١٣٠ ملم أدّت الى قتل العجزة: طانيوس سلوم وسعيد فرنسيس وبدور معوض وطانيوس كرم، وجرح تسعة أشخاص بينهم أربعة جروحهم خطرة وهم: اسكندر الأسمر وفؤاد ظريف والياس دعيبس وسعاد نمنم، والآخرون هم: جورج مكرزل وابراهيم عيد ويوسف معتوق وخالد مادياس ومونيب نجار.

وأعلنت القوات اللبنانية في بيان أنّه «في منطقة جسري الكرنتينا - سن الفيل - الدورة الشل، سقط عشرات الجنود السوريين بينهم حوالي العشرين داخل البراد، وقد بدأت التحرّشات السورية فجراً بإطلاق قذائف الآر.بي.جي على متاريس القوات اللبنانية، ونصب السوريون ثلاث راجمات جديدة بينها واحدة على سطح البراد، وأخرى على سطح بناية الباطون. وبعد تعرّض هذه المنطقة لقصف سوري، سجّلت دبابات القوات اللبنانية إصابات مباشرة في مواقع السوريون على هذا المحور.



آليات سورية باتجاه جسر نهر بيروت

وتعرّضت قرى رومية وبيت مري وبرمانا وعين علق لقصف عنيف، كذلك ثكنة رومية العسكرية وموقع دير القلعة العسكري وثكنة مار شعيا في برمانا لقصف مباشر بمدفعية الميدان السورية، وأصيب أوليف تادروس في برمانا وبضعة مقاهي وفندقي البستان والغاردن. كما تعرّضت بلدة ديك المحدي ومدرسة الشانفيل لقصف مباشر أحدث حرائق عدة استمرّت مشتعلة حتى المساء.

ووصل القصف السوري الى مدينة جونية حيث سقطت ٦ قذائف أدت الى مقتل احدى السيدات ووقوع بعض الأضرار في الممتلكات والسيارات. وفي الثامنة ليلاً سقطت ست صواريخ غراد على ساحل كسروان».

من جهتها، قالت المنظمة الدولية للصليب الأحمر «ان المدنيين، الموجودين في قلب المعركة، هم الضحايا الأساسيون لهذه المعارك ويتعرضون لخسائر كبيرة في الأرواح، وان المستشفيات والمستوصفات وسيارات الاسعاف اضافة الى الأطباء، قد شلّهم القصف المدفعي الذي يتعرضون له».

أشرفية أخرى من بلد تغيّر





انها الحرب! قال المراسل العربي محنياً قرحه بالصمت الوافر واطلق عدسته عما يعممه. انها الحرب. هيبت انت، وليمنها الاسرياء. كبار اللاعبين سقدهم المساحة اما انصار فالبراعة والمراس.

اذكر كانت العاشرة من صبيحة الاحد اول تشرين الاول وكانت السنة ١٩٧٨ وهي بامعة اصلا للثلث الاخير من القرن العشرين. وكان "الويك اند" ومن المفروض ان يظهر الناس في الشوارع ليستريحوا من اسبوع عمل. ومن الطبيعي ان تسأل المحلات وسادي العابرين، وان يختنق الشارع بالسيارات وان يهلل الشبان لعيني آنستين. لقد كان من عادة الاشرفية ان تحيا. غير ان الايام السوداء بقايا من الروزنامة القديمة تعطل الذاكرة.

انها الاشرفية. تكتب في دفترك الصغير: الشوارع جانبها السهر والشبابيك ثقوب كثيبة، الشرفات لا ازهار ولا ايدي والعمارات الجميلة ليست صخرة البرق بعض حيطانها انهكها النهار العابر فاستجارت بالارض والتكأت.

انه وبك انت مختلف في اشرفية اخرى من بلد تغير.

انت اتحسب رذاذ حطلون. جدران مثقوبة. حصى وشظايا طعم الموت. ورائحة النعب عيون غاضبة وسادق. واجهات مهشمة وحجارة انفرطت من هول البارحة وسقطت معها الستائر والاواني واحترقت الاسرة. حتى الملاجىء تآمرت احيانا على المستجيرين بها. حفر في الطرق وقذائف لم تنفجر. الكهرباء عائدة والنفايات على المفارق. المحلات مغلقة لا احد يتحرك. القطط الخضراء وحدها تجول. اكثرية الناس لجأوا الى الجبال ومن بقي اثر عتمة الملجأ على ضوء الهدوء الحذر. لا ترى صفوفاً امام الافران. فهي لم تعمل ولا امام اللحامين ولا باعة الخضر. محلاتهم مقفلة. السيارات المتحركة عسكرية او يقودها عسكريون والذين جرحوا. فعلوا مكرهين لسؤال المستشفيات عن جريح او قتيل.

في السوفيي. عند ابتشاك، الارض مغطاة بالحجارة ويستحيل على السيارة العبور. المنطقة المحيطة بمنزل الرئيس شمعون نالت قسطاً وافراً من القصف والشارع المجاور بقنبلة القذائف فصار "صالحا" للزراعة: كما قال المسلح. مداخل البنايات تسعفك باكياس الرمل وبالاشجار المقلوعة. خطوط الكهرباء لامست الارض والهاتف سلماً وحرباً من دون حرارة. ومن وقف الى آخر يمشي بمعبر الشارع ووراءه بيوت اتشحت بالسواد بدمس القبيل وبكس لحماسي.

في "اوتيل ديو" غرفة العناية القصوى لا تعمل. فجوات كثيرة في الطبقات العليا. نقل المرضى الى الممرات في الطبقات السفلى. انها شريعة الغاب. تعرض المستشفى لقصف مباشر. نحن اصحاب رسالة. نساعد كل جريح الى اي فئة انتمى. انتم الصحف تتكلمون عن دوركم في ايصال الحقيقة الى الناس. هل يجوز في القرن العشرين ان يحدث ما حدث؟ فضيحة حقيقية. لم يحدث في كل الحروب العربية الاسرائيلية شيء مشابه. جاءنا قتلى كثيرون وجاءنا نحو ثلاثين جريح. الصليب الاحمر الدولي واللبناني يهدان بد العون.

اننا نسأل ماذا بقي من المواثيق التي توقعها الدول وتدرسها في المدارس وتعلقها على ابواب المؤسسات".

في المستشفى اللبناني في الجعيتاوي قالت الاخت ماري تريز مسعود رئيسة المستشفى: "تعرض المستشفى لقصف كثيف مركز الضربات كما قال الاختصاصيون الذين عاينوا القذائف. اعتقد ان البناء تصدع. مريضان ماتا في سريريهما عند بداية القصف. الاول بنوبة قلبية والآخر بنوبة قلبية. حملنا المرضى من دون اسرتهم الى الطبقات السفلى حيث ناموا على الارض. اجرينا العمليات في الملجأ. معظم الآلات انضبت الخاصة بالاشعة والمسح وغيرها تعطلت بفعل الارتجاج.

اليوم نقلنا معظم المرضى بواسطة الصليب الاحمر الدولي لعجزنا عن تقديم العناية. بعد العدد استقبلنا ستة قتلى وستين جريحا".

سيارة الاسعاف تنقل مصابا الى مكان آخر. العريف بولس احمد عون من الجيش اللبناني (المدرسة الهندسية) وهو من الصمدان في قضاء جزين: "كيف نشرح اعراضا لامي من المكان في عنر الرمايد حين وقع الهاون قربي واصبت في مكانين من جسدي. الاسير وفي بدي". زاد العجوز باتعب الكلام، تدمعها حكت انها خسرت زوجها وابنها وان يوم امس حاول ان يحرمها الامل الوحيد الباقي.

من الجعيتاوي الى مستشفى الروم. الاجواء تعودتها بحسن الحال. سيول حمد متروكة على ارض المستشفى والمطلوب ان يتعرف الاقرباء عليهم. مشهد مرعب ومقرر ان تكشف على الجثث الزرقاء سوادا او المقطعة لتعرف ان هذه الجثة ابنك ام تلك. ودموع تبلل الجثث وتنهال على الباقي من الجسد. "عرفوه جيبوا صندوق". يدخل النعش تفتح برلون الجثة فيه برسلوبد وتسمعه من عرفوه بالصراخ وبلوبحات الوداع. اكثر القتلى من النساء والاطفال. والصغير رفضت امه ان تسكنه الا النعش الابيض شهادة ضد اللون السائد. ومن البوابة الحديد السوداء نعش في اثر نعش، وفاحت رائحة الجثث والاوطان معروضة بمراثي الاهل وشتائمهم.

قرب منزل الرئيس شمعون سقط السبت على النسوة والاطفال المحتمين وراحت الجرافة تفتش عنهم في تلة الركام.

يوقفك مسلح "اريد ان اعطي رأيي. فهل تجرأ على كتابته وهل اراه غدا في الجريدة؟".

علما تقول نعم. فيقول: "ما يجري له علاقة بكمب ديفيد. انها حرب الوطن. المتصارعون في الشرق الاوسط متفقون في لبنان. ولا مجال للوطن اذا ظلت الجبهة اللبنانية قوية. اتفق العرب مع اميركا واسرائيل على طحن جميع القوى في لبنان والجميع يلعبون الدور".

تترك تحليل المسلح ليخبروك ان ٦٠ عائلة في منطقة فسوح قرب منطقة ظل ما زالوا في الملاجىء من ثلاثة ايام وينقصهم الخبز والماء.

رشقات في الهواء ورصاصات منفردة. تزداد موقع التجمع مساء ساخنا.

في السراسقة زارته الحرب والعنف. قصر الدونا ماريا فجوة كبيرة في مدخله والدرج الثمين تحطم وانهار القلعة. الخسائر مليون ليرة قال اللبناني. فعلا وحدها الخسائر الناس لا الليرة. فحول الاسروكلوب اصابته القذائف اصابات بالغة. كنيسة مار نقولا للروم الارثوذكس اصابتها القذائف كما كنيسة السيدة في ابتشاك. كذلك وزارة الخارجية وقصر نقولا سرسق.

في منطقة الجميزة حجارة في الطرق وتراب وفجوات في الجدران وبضعة سقوف اطبقت على محتويات المنازل. المسلحون نافرون: "ما تصور ممنوع التصوير. الرفاقة ما بحب المناظر البشعة خصوصا اذا الشرعي عاملتها. الحكي ما بيفيد الصور ما بتفيد الارض تعبها دم. كل شبر بيروح مردود، مقابل بالاجراح والجبال واذا بقي شبر واحد منعيش فيه بكرامة".

انس باباكيان قالت: "نزلنا الى الملجأ انا واولادي السلامة. الاولاد جاعوا و... والكهرباء انقطعت. صرنا عالشمعة باطرين ال... على جنب التويجنا وبرد عن الشباب. شي هو ... شي مش معقول! قولك بيصل الوضع هيك؟ ضحى ... كل يوم معقول حلقنا مرجع مسلش ...".

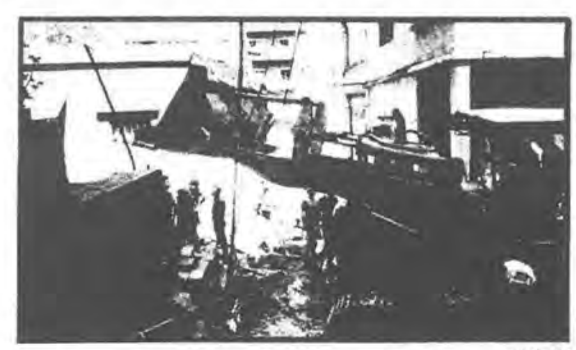
امام بيت الكتائب في الصيفي لا ... ولا السيارات متوقفة. فجر فرهيد ... تطاير والاصرار بسطو. نصر الحارس على ان ... يذكر او يسحق المصور.

في طريق العودة مسلح يقول: "... شو شغلوا كانت فخم ومفتوحه الديني ... راح شي العمر سب وشي ٢٠٠ بين قتيل وجريح و٥ مقاتلين بس ماتوا".

ومسلح آخر يقول "من بدي عول ... وين اللبناني احكي مصير هنا هيك؟ ... وكل شي راح. الناس هلكت على ابواب السفارات. العربي يحدلي. اللبناني بشرشح. الحكام ابوب. الحق على مين؟ الحق على الكل وعلى اللبناني بالاول. قولك رح يرجع صوت العقل ويخلص من شرقي وغربي من المخابرات والمزايدات ويبطلوا الاحزاب والجيران يتدخلوا في شؤوننا ويحل اسرائيل يحل مشاكلها على حسابنا؟ صعبة صارلنا سنين يشتهر. ناس بتنقرح. ناس بتقتل. اقتصاد منهار. مدارس مسكرة ومعامل بتحترق. البلاد بتت عاصمة عالشوارع الحرامية".

المأساة بعد الظهر. العبور من الشرقية الى الغربية تخوف من كل الاحتمالات. تفكر ماذا ستكتب. كل كلام متهم بالمبالغة في حين كل كلام عاجز. عمل عشرات السنين اكله يوم واحد.

هل تفتح الجنون باب العقل؟ ام تنادي العنف العنف ويستسقي الدم الدم؟ وهل الاشرفية فصل جديد من كتاب الرعب ومتى الفصول النافذة وكيف؟ تتعرقل خنقك بالحز والقمر. تدخل سيجارة، ترفع يديك على شكل سؤال. اوطان تنحر في وطن صغير. تتذكر قول المراسل العربي: انها الحرب. ومتى كانت الحرب بيضاء؟



مرفعون الإطفاء.



ركام واسلاك.



جدران.



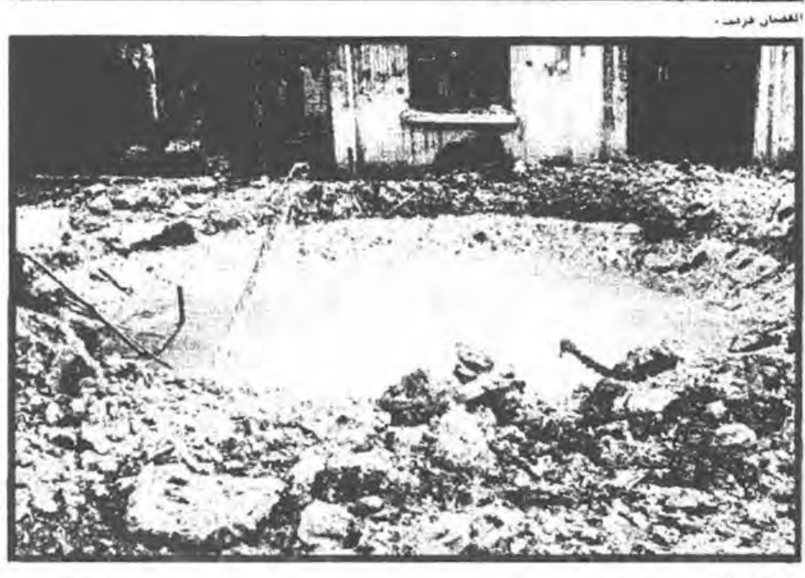
في السوفي قرب منزل الرئيس شمعون.




القضبان عرضت.



قذائف لم تنفجر.



قذائف تضرب مركزاً.



المشاة فقط.

قصف وقنص سوري على الجسور أوقع قتلى ودمر سيارات

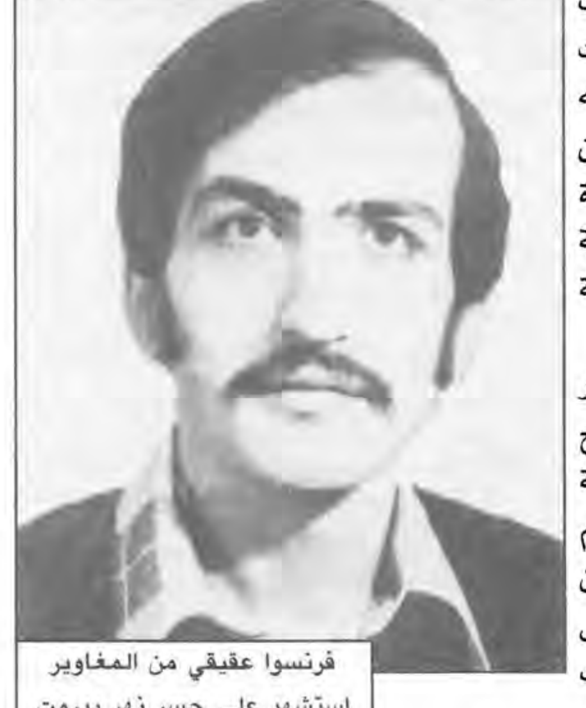


دمار في بدارو



وفي الشياح - المطاحن

في ٤ تشرين الأول، توسّعت المعارك الى جبهات جديدة ودارت مواجهات بين السوريين والكتائب في عيون السيمان وبكفيا وضهور الشوير، إضافة الى المحاور الأخرى في الأشرفية والحدث وعين الرمانة، فيما لم تنج منطقة من القصف العنيف. كما تعرّض قصر بعبدا لسقوط ١٢ قذيفة أدّت الى إصابة ٧ من أفراد الحرس الجمهوري وتدمير واحتراق ثلاثين سيارة. وناشد الرئيس شارل الحلو والشيخ أمين الجميل فرنسا أن تفعل شيئاً، وأكّد الشيخ بيار الجميل أنّ الحال تخطّت الخطّ الأحمر، فيما استغرب الأمين القطري لحزب البعث عاصم قانصوه «أن يستمر كميل شمعون والكتائب في تضليل الرأي العام والمسيحيين»، واستغرب اقتراح «وضع قوات من الجيش اللبناني للفصل بين الجيش الشرعي أي قوات الردع، وبين عصابات الكتائب والاحرار الاسرائيلية».



فرنسوا عقيقي من المغاوير
استشهد على جسر نهر بيروت

في ٥ تشرين الأول، استمرّت المعارك على الجسور لليوم الثالث على التوالي، وتمدّد القصف الى المناطق الجبلية واستمرّ لساعات طويلة، فيما قال بيان للقوات اللبنانية: «إنّ الحصار الذي يمارسه جيش الإحتلال السوري يمنع تماماً تموين عشرات الآلاف من المواطنين المدنيين. وأمام هذا الوضع المأساوي، تطلب قيادة القوات اللبنانية من السلطات الرسمية ومن الهيئات الدولية المختصة كالصليب الاحمر الدولي إتّخاذ الإجراءات الفورية الكفيلة بتأمين تموين العاصمة».

في تقرير للصليب الاحمر الدولي نشرته الصحف المحلية نهار الاثنين ١٩٧٨/١٠/٩ جاء فيه أن عدد القتلى بين تموز وأيلول راوح بين ٥٠٠ و ٦٠٠ قتيل، والجرحى نحو ١٥٠٠. وأوردت وكالة الصحافة الفرنسية أنّ الأشرفية تلقّت خلال ٨ أيام قرابة ٣٠ ألف قذيفة، ولم يبقَ من سكانها البالغ عددهم ٢٢٠ ألفاً إلاّ ٢٠ ألفاً. وذكرت أن القذائف من عيار ٢٤٠ ملم حرثت الطرق على عمق ٣ أمتار، وبعرض ٤ أمتار وزجاج البنايات غطّى كل الطرق التي بدت حولها السيارات محترقة. أما السيد انريك دولاماتا رئيس الصليب الأحمر الاسباني، فقد أدلى بتصريح في مدريد بعد زيارته لبيروت نشرته الصحف المحلية نهار الاربعاء ١٩٧٨/١٠/١١ جاء فيه أنّ جولة العنف الأخيرة بين قوات الردع والقوات اليمينية في بيروت الشرقية أدّت إلى مقتل نحو ٨٠٠ شخص وإصابة ٣ آلاف وتهجير ٥٠٠ ألف شخص وتدمير ٣٥ ألف شقة سكنية. واعتبر مندوب لجنة الصليب الاحمر الدولي في الشرق جان هوفليفر في بيان نشرته الصحف المحلية نهار السبت ١٩٧٨/١٠/٢٨ أنّ عدد القتلى في الاشتباكات التي شهدتها بيروت الشرقية في الفترة الاخيرة (اعتباراً من الأسبوع الأخير من شهر آب) يراوح بين ٣٥٠ و ٤٥٠ قتيلاً، وعدد

الجرحى نحو ألف.

كان يتعذر السير على طرقات الاشرفية عندما يهدأ القصف بسبب امتلاء الطرقات بالزجاج والردم والاتربة والحجارة التي تخلفها القذائف وكان سكان الاشرفية يستغلون فترات الهدوء القليلة لتنظيف الطرقات وفتحها واستمر هذا الامر طيلة فترة الحصار والقصف.

مجلس الأمن الدولي يوقف النار والموت

لم يكن الخروج من جحيم الموت والنار ممكناً لولا الضغط الدولي لإيقاف المأساة، إذ أعلن الناطق بلسان الأمم المتّحدة أنّ مجلس الامن الدولي وافق على عقد اجتماع طارىء لمناقشة إتّخاذ خطوات تهدف الى وضع حدّ للإشتباكات في لبنان. وقال غسان التويني مندوب لبنان في الامم المتحدة لإذاعة مونتي كارلو إنّ الوفد اللبناني وافق بعد مشاورات مع رئاسة مجلس الامن على عقد الاجتماع، فيما نفى رئيس الحكومة سليم الحص من بيروت أي عِلم للحكومة اللبنانية أو للرئيس الياس سركيس بهذا الموضوع.

بناء على "رغبة مشتركة من الرئيسين" أوقف "الردع" اطلاق النار



الأسد: الأمر مهمّ... ونبحث عن أفضل الحلول

المحادثات تتخطى الناحية الامنية الى حل سياسي شامل
ووفود تمثل اطرافاً لبنانية وفلسطينية تصل الى دمشق

النتيجة الاولى للقاء الرئيسين الياس سركيس وحافظ الاسد، ظهرت مساء امس، قبل ان تنتهي محادثات القمة اللبنانية - السورية المنعقدة في دمشق منذ قبل الجمعة - السبت، باصدار قيادة "قوة الردع العربية" اوامرها الى كل وحداتها بوقف اطلاق النار "بناء على رغبة مشتركة من الرئيسين" ابتداء من الثامنة مساء، وبالفعل توقف اطلاق النار في الثامنة على كل المحاور (راجع ص ٤).

الا ان النتيجة الاولى هذه، وان كانت مؤشرا لسير المحادثات في طريق النجاح المبشر بالانفراج القريب، ان هي الا خطوة اولى في طريق طويل لايجاد امن حقيقي في لبنان، مما يقتضي على حد قول الرئيس الاسد: "خمسة وخمسين وثلاثا واربعا وعشرا (...) لانه اذا

- التتمة في الصفحة ٢ -

وقف النار: نسبة التقيد ٩٥ في المئة

اصدرت قيادة "قوة الردع العربية" في السادسة والنصف بعد ظهر امس البلاغ الآتي:

"تعلن قيادة قوات الردع العربية انه بناء على رغبة مشتركة من سيادة الرئيس حافظ الاسد وفخامة الرئيس الياس سركيس، وبهدف خلق المناخ المناسب للوصول الى استتباب الامن والاستقرار في لبنان، فقد اصدرت اوامرها الى كل الوحدات بوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٨،٠٠ من مساء اليوم السبت ١٩٧٨/١٠/٧ وعدم الرد على اية استفزازات وضبط النفس الى اقصى الحدود توخيا للهدف المنشود من الرئيسين".

وفي الاولى والنصف فجر اليوم اعلن مصدر في "الردع" انه لم يحصل اي خرق لوقف النار في ما عدا قذيفتين سقطتا في العاشرة ليلا في الطيونة وبعض الرمايات المتقطعة على مختلف المحاور.

واضاف المصدر "ان نسبة التقيد بوقف النار بلغت حتى الساعة ٩٥ في المئة".



الاسد تسلم رسالة البكر
في انتظار موقف "جبهة الصمود" ١٠ دول وافقت على القمة

أقصر جلسة في تاريخ مجلس الامن
المندوبان الاميركي والسوفياتي شاركا في الصياغة
رئيس المجلس وفالدهايم يرحبان باعلان وقف النار

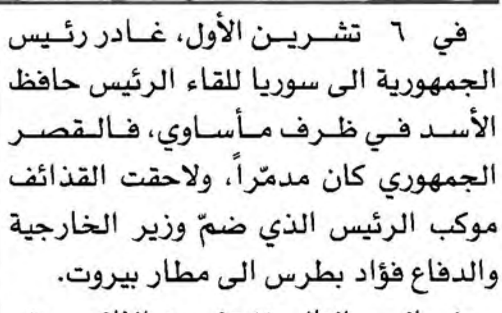
"الموند": بداية التدويل للمشكلة اللبنانية

مبعوث فالدهايم في دمشق واليوم في بيروت



الفاتيكان يناشد الاسد وفالدهايم وضع حدّ فوري للقتال والقصف

أهالي الأشرفية رفعوا العلم اللبناني بعد انسحاب السوريين من برج رزق



في ٦ تشرين الأول، غادر رئيس الجمهورية الى سوريا للقاء الرئيس حافظ الأسد في ظرف مأساوي، فالقصر الجمهوري كان مدمّراً، ولاحقت القذائف موكب الرئيس الذي ضمّ وزير الخارجية والدفاع فؤاد بطرس الى مطار بيروت.

في اليوم التالي ٧ تشرين الثاني، عقد مجلس الأمن الدولي جلسة لم تستغرق أكثر من أربع دقائق أصدر بنهايتها القرار رقم ٤٣٦ الذي طالب القوات السورية وقوات الجبهة اللبنانية بالوقف الفوري لإطلاق النار. اعتبرت الجبهة اللبنانية قرار مجلس الأمن أول اعتراف دولي بشرعية المقاومة اللبنانية، وهو أدى الى تجميد الوضع العسكري.

شاحنة سورية تنسحب من برج حمود

يصف بول عنداري في كتابه هذه شهادتي في الصفحة ٧٥ تلك الليلة فيروي أن المقاتلين انتظروا بفارغ الصبر حلول الساعة الثامنة من ذلك المساء، وهو الموعد المعلن لوقف النار، ويروي: «... خرجنا من مراكزنا غير مصدّقين، ولما أطلّ النهار إزددنا ارتياباً، فالأمكنة تبدّلت تبدّلاً غريباً، والمطارح أضحت غير مطارح، والسيارات التي كانت في الشوارع ارتفعت إلى الطوابق العليا من البنايات حطاماً، فيما أنزلت مبانٍ على الأرض ركاماً فوق ركام، وفي جوارها حفر عميقة أحدثتها القذائف. كان عسيراً على الناظر إلى هذه التلة من الركام أن يصدّق أنها كانت مدينة تنبض بالحياة...».


جندي سعودي أمام برج رزق بعد انسحاب السوريين

ويتابع: «... لم ينتظر الشبان طويلاً، بل مضى بعضهم يعبرون جسر نهر بيروت عائدين إلى منازلهم، وكنت من الذين تسرّعوا وجازفوا بعبور الجسر، فيما الجنود السوريون منتشرون على جانبي الطريق في وضع قتالي. وحين وصلت إلى البيت كانت قد سبقتني إليه أنباء المجزرة الكبرى التي ارتكبها أولئك الجنود، إذ قتلوا على الجسر ثلاثة عشر شاباً بينهم رفاق أعرفهم».

إثر صدور القرار الدولي، قام الرئيس سركيس بجولة عربية شملت السعودية والكويت والإمارات وقطر والأردن لإقناعها بالقبول بسحب قوات الردع العربية من المناطق المسيحية وإحلال الجيش اللبناني مكانها.

رفضت سوريا هذه الخطة وعقد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب في قصر بيت الدين في ١٦ و١٧ تشرين الأول ، وطلب الرئيس سركيس من وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل إقناع السوريين بالإنسحاب من محيط الأشرفية والمناطق المسيحية، لكنّ عبد الحليم خدام تصلّب في موقفه. ثم وافقت سوريا في اليوم الثاني للمؤتمر وبمسعى سعودي على إنتشار قوات عربية غير سورية في أماكن إنسحاب السوريين ولم تقبل بتاتاً بانتشار الجيش اللبناني.

أقنع الرئيس سركيس الجبهة اللبنانية بهذا الحلّ في لقاء جمعه في قصر بعبدا الى بيار الجميل وامين الجميل وداني شمعون ولم يحضر الرئيس كميل شمعون وبشير الجميل.

ما وراء حرب المئة يوم

- في ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٨، حلّ جنود قوات الردع السعودية مكان السوريين في الأشرفية وجوارها، وغادر الجيش السوري المناطق المسيحية الى منطقة بعبدا، وتموضع في الأسواق وسنّ الفيل ومنطقة السوديكو وخطّ الشام، وبدأت مرحلة جديدة بعد سقوط آلاف الشهداء والجرحى والمعاقين والمشرّدين وخسائر مادية هائلة.

- ورد في كتاب «لبنان تعايش في زمن الحرب» في الصفحة ٤١٦ أنّ أحد ضباط الجيش اللبناني وصف للمؤلّف الوضع العسكري أواخر شهر أيلول ١٩٧٨ قائلاً إن احتلال الأشرفية عبر حرب الشوارع أمر لا يمكن التفكير به ولا تحقيقه، وإلزام الأشرفية بالاستسلام، يفترض إقامة حصار شديد حولها لمدة ثلاثة أشهر على الأقل براً وبحراً، واللجوء إلى غارات جوية مكثّفة عليها. أمّا احتلالها بواسطة سلاح المشاة، ومواجهة الميليشيات التي تحارب في أحيائها الخاصة، فهذا أمر يصعب جداً على قوى نظامية. كما عبّر ضابط اسرائيلي للكاتب عن ميزان القوى كالآتي:


بشير يجول في الأشرفية

إذا أراد السوريون فعلاً استخدام كل قواتهم، لتمكّنوا من القضاء على المناطق المسيحية خلال أربع وعشرين ساعة. ولكن مع كلّ عشرة جنود سوريين يزجّون في المعركة، قد لا يعود خمسة منهم أحياء إلى منازلهم، ومثل هذه العملية ستكلّف السوريين فيلقاً كاملاً من جيشهم، قد يربحون المعركة ولكن بأي ثمن؟. ووصف


الرئيس شمعون خلال حرب المئة يوم



مسؤول عسكري فلسطيني الوضع للكاتب قائلاً أن الأشرفية ليست للاحتلال، لأنّ ذلك سيكون كارثة لكلّ جيش نظامي، وإلا ينبغي تدميرها تماماً بالقنابل.

- ساهم في صمود الأشرفية بقاء الرئيس كميل شمعون والشيخ بشير الجميل بداخلها، ورفضهما المغادرة طيلة أيام الحصار والقصف، وهذا ما أعطى معنويات عالية للمقاتلين وللمواطنين . كان الرئيس كميل شمعون يجلس في الملجأ مع الناس والمحازبين على ضوء الشموع، يبثّ المعنويات في الموجودين في ظلّ أصوات القذائف.

تمتّع شمعون طيلة أيام الحصار بالشجاعة وبرباطة جأش كبيرة، وكان يسأل الموجودين في الملجأ عن أسماء آبائهم والقرى التي ينتمون اليها، ويسرد عليهم ذكريات مع أهل بعضهم ورحلات الصيد وغيرها، فتمرّ ساعات القصف من دون أن يشعر من في الملجأ بما يجري في الخارج، كان يكتب رسائله وبياناته على ضوء الشموع وكان يستغلّ توقّف القصف ويخرج لتفقّد الأحياء والمواطنين.

- بعد توقّف حرب المئة يوم، انسحبت القوات السورية نهائياً من داخل أحياء بيروت الشرقية، ومداخل العاصمة الشمالية، وخفّفت تواجدها بشكل كبير في جميع الضواحي المسيحية لبيروت الشرقية. ونهار الخميس ٧ أيلول ١٩٧٩، وإثر إعلان الرئيس سركيس مبادئ الوفاق الوطني، أصدرت قوات الردع العربية بياناً أشارت فيه إلى أن الوحدات السورية وبمبادرة حسن نية تجاه الحكم اللبناني، ستنسحب نهائياً من مناطق فرن الشباك والحدث والحازمية وعلى الفور انتشرت وحدات من الجيش اللبناني في المراكز التي أخلتها القوات السورية.

- رسمت الخريطة الميدانية في لبنان على الشكل التالي: القوات السورية تسيطر على محافظة الشمال باستثناء قرى جرد منطقة البترون، كما سيطر السوريون على محافظة البقاع بإستثناء مدينة زحلة، وسيطر الجيش السوري على أعالي منطقتي المتن الشمالي وبعبدا والجزء الجنوبي من محافظة جبل لبنان الواقع جنوب طريق الشام، وعلى بيروت الغربية، ومدينة صيدا ومنطقتي الزهراني وجزين.



بداية العام ١٩٨٠ انسحب الجيش السوري من صيدا ومحيطها والشريط الساحلي حتى بلدة خلدة. وانتشرت في مناطق سيطرة الجيش السوري المنظمات الفلسطينية وأحزاب وتنظيمات الحركة الوطنية، وحركة أمل، وجيش لبنان العربي بعد إطلاق سراح قائده الملازم أول أحمد الخطيب من السجون السورية في ٤ تشرين الثاني ١٩٧٨، بعد اعتقاله قبل نحو سنتين. سيطرت الجبهة اللبنانية على بيروت الشرقية، ومنطقتا كسروان وجبيل وساحل منطقة المتن الشمالي وبعض قرى منطقة بعبدا ومنطقة البترون الوسطى والجردية.

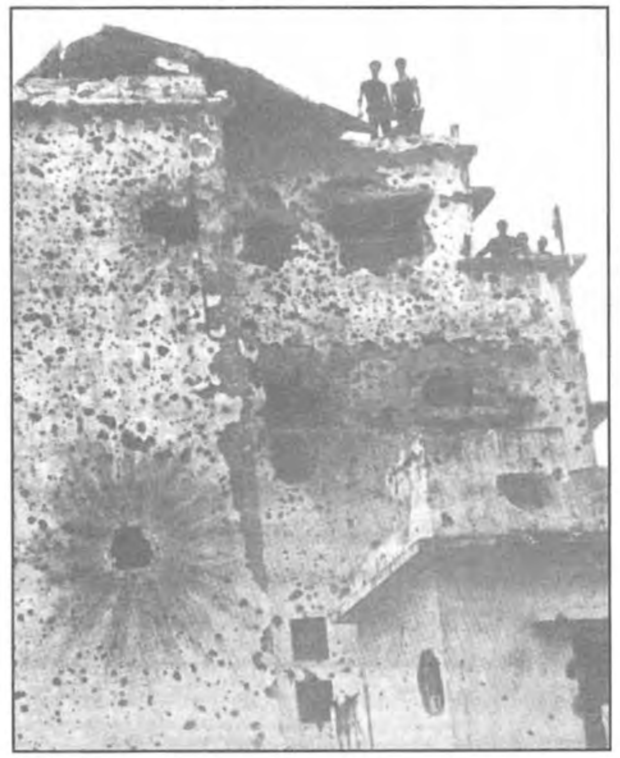
انتشرت وحدات الجيش اللبناني في بعض الضواحي الشرقية لبيروت (بعبدا، الحازمية، اليرزة).

سيطرت منظمة التحرير الفلسطينية على المنطقة الجنوبية من صيدا حتى نهر الليطاني، وبعد إنسحاب القوات السورية من جنوبي بيروت عام ١٩٨٠، امتدّت سيطرة منظمة التحرير على الخطّ الساحلي حتى بيروت الغربية.

سيطرت قوة الطوارئ الدولية على منطقة تمتد جنوب نهر الليطاني من الساحل حتى حدود منطقة شبعا، بإستثناء المنطقة المحيطة بقلعة الشقيف، وتمركزت في القرى حيث تنتشر القوة الدولية مجموعات فلسطينية ويسارية.

سيطر الرائد سعد حداد على الشريط الحدودي الذي امتدّ على طول الحدود اللبنانية - الفلسطينية من الناقورة إلى مرجعيون بعرض يتراوح بين ٧ و ١٥ كلم وأعلن الرائد حداد قيام دولة لبنان الحرّ.





صور من عين الرمانة



كميل شمعون وبشير الجميل المساهمان الأساسيان في صمود الأشرفية







بعد الإنسحاب السوري، بشير في ساحة ساسين

معركة كور

أقرّ مجلس الوزراء اللبناني، يوم الأربعاء ٢٨ حزيران ١٩٧٨، خطة أمنية أجازت انتشار الجيش اللبناني من جسر المدفون (الحدّ الفاصل بين محافظة الشمال ومحافظة جبل لبنان) جنوباً حتى بيروت، على أن تتسلّم قوات الردع العربية، المؤلّفة من الوحدات السورية، مسؤولية الأمن من جسر المدفون شمالاً على إمتداد محافظة الشمال.

بعد نحو شهر على قرار مجلس الوزراء، تبلّغ مسؤولو منطقة البترون الوسطى في حزبي الكتائب والأحرار أنّ قوات الردع العربية ستُسيّر دوريات عسكرية في المنطقة، وأنّه يجب تحاشيها وعدم الاحتكاك بها. تولّى النائب جورج سعادة إبلاغ كلّ من نعوم موسى وبطرس سابا (من كور) بقرار رئاسة الكتائب، كما تمّ استدعاء مسؤولي مفوضية قضاء البترون في حزب الوطنيين الأحرار إلى البيت المركزي للحزب في السوديكو، والتقوا الرئيس كميل شمعون الذي أبلغهم بدوره أنّ منطقة البترون قد تشهد خلال الأيام القليلة المقبلة تطورات عسكرية تتمثّل بتوسيع إنتشار القوات السورية في قرى المنطقة، «وأنّه ممنوع منعاً باتّاً التعرّض لها، لأنّ الوضع الحالي في المنطقة الشرقية لا يسمح بفتح معركة أخرى»، وطالب شمعون التصرّف بحكمة وروية وسحب الأسلحة والمقاتلين الى منطقة جبيل... إثر ذلك، غادر العديد من مقاتلي الحزب المنطقة والتحقوا بثكنات الأحرار في عمشيت والصفرا وطبرجا وضبيه.

وقبل نحو أسبوع من دخول الجيش السوري الى قرى وسط البترون، إنسحب الكتائبيون النظاميون مع أسلحتهم الثقيلة والمتوسطة الى ثكنة القطارة ميفوق أوّل قرى قضاء جبيل، وذلك قبل أن يتحوّل هذا الدير مقرّاً لقيادة منطقة الشمال بقيادة سمير جعجع.

مجزرة كفرحي

صباح الخميس ٢٤ آب ١٩٧٨، استفاقت منطقة البترون على خبر مجزرة رهيبة في وادي كفتون، حيث كمن مسلحون لسيارة مرسيدس ١٩٠ رقمها ٢٦٤٢٦٨ يقودها صاحبها منصور شاهين أبي شاهين وبرفقته عدد من عمّال معمل الكهرباء التابع لشركة الترابة الوطنية في شكا الواقع في وادي كفتون، وأمطروها بالرصاص. أدّى الكمين الى مقتل ٨ شبان هم فادي يعقوب ١٨ سنة، طوني يوسف يعقوب ١٨ سنة، بيار يوسف يعقوب ١٦ سنة، نبيل مخول خاطر ١٦ سنة، توفيق مخول خاطر ١٨ سنة، ريمون الياس الياس ١٨ سنة، حنا يوسف حنا ١٨ سنة، فيما أصيب الياس فرسان وسائق السيارة بجروح خطيرة.

وكانت سيارة منصور شاهين انطلقت من بلدة كفرحي وفيها، الى جانب شاهين، الياس فرسان وسبعة فتيان قاصدين مركز عملهم. ونحو السادسة والربع صباحاً، انهمر الرصاص على السيارة وأحسّ الركاب بتكسير الزجاج ولم يسمعوا بداية صوت إطلاق النار، فأحنى شاهين رأسه وقاد بأقصى سرعة، فإنحرفت السيارة إلى اليسار ووقعت في حقل في أسفل الطريق، فيما زخّات الرصاص وأصوات الفتية تصمّ الآذان. خرج شاهين من السيارة وارتمى تحتها، ولم يعد يظهر منه سوى قدميه، وانبطح الياس فرسان قرب السيارة فيما الرصاص يمزّق جسده. ركض باقي الفتيان محاولين النجاة، لكنّ رصاص المسلحين طاردهم في الحقول وهم يتخبطون بدمائهم ويطلقون صيحات الموت فاطلق المسلحون الرصاص على رؤوسهم للتأكد من موتهم. ونال الياس فرسان ثماني رصاصات في مختلف أنحاء جسده، فيما أطلقت خمس عشرة رصاصة على شاهين أصابت معظمها رجليه، وتمّ في ما بعد نقل المصابين والجثث الى مستشفى البترون.

ويروي الراهب اللبناني الأب شربل زكريا: «كنت في البلدة عندما وصل الخبر عن مقتل الشبّان في وادي كفتون، فأسرعت مع آخرين إلى موقع المجزرة وشاهدت ما لن أنساه طوال حياتي... عدداً من الأهالي بعضهم من أقارب الشهداء وجميعهم في حال يرثى لها، وبينهم والد شهيدين شقيقين راح يصرخ ويضرب رأسه بجنون، فحاولت تهدأته قليلاً، ولكن كيف يمكن تهدئة رجل اثنان من أولاده مضرّجان بالدماء أمام عينيه وإلى جانبهما ابن عمّهما أيضاً». يضيف الأب زكريا: «أدركت أني أمام خيارين لا ثالث لهما: إما أن أنهار مثلهم، أو أستجمع ما بقي لدي من قوة وأشجّع

الموجودين على نقل الجثامين... فصرخت بهم طالباً مساعدتي على جمع الجثامين التي لم تكن قرب بعضها البعض ... وانطلقنا إلى مستشفى البترون وكنت في طليعة الموكب تشجيعاً للباقين...».

بعد كمين كفتون، بدأ السوريون دوريات مكثّفة بحجّة البحث عن منفذي المجزرة، وحاول محازبو الكتائب والأحرار في البترون إقامة قدّاس وجنّاز لراحة أنفس الضحايا في بلدة كفرحي، لكنّ التوتّر الذي رافق الدوريات السورية لم يسمح بذلك، فدُفن ضحايا الكمين على عجل.

الدخول السوري وكمين شبطين

في ٢٥ آب، بدأ الدخول السوري الواسع والشامل الى قرى وبلدات وسط وجرد منطقة البترون بقيادة العقيد فواز البالوع المشرف ميدانياً على عمل الجيش السوري الذي دخل عبر محورين: الأول: من تحوم إلى سمار جبيل والثاني من أميون بإتّجاه دير بلاّ وبساتين العصي وباقي القرى.

على المحور الأول، تحرّكت مساء من بلدة تحوم بإتّجاه بلدة سمار جبيل، قافلة سورية مؤلّفة من سيارة جيب وعدّة شاحنات بقيادة العقيد زهير مستت، ولدى وصولها إلى المفرق المؤدّي إلى قلعة سمار جبيل على بعد أمتار قليلة من ساحة كنيسة مار نهرا تصدّى لها مقاتلو حزب الكتائب، فنشبت معركة إستمرّت نحو نصف ساعة أسفرت عن مقتل جندي سوري وإصابة مواطن من سمار جبيل يدعى جوزف باسيل صودف مروره على طريق قلعة سمار جبيل لحظة إندلاع الإشتباك. بعد توقف الرصاص تراجعت المجموعة السورية إلى قرب محطة المحروقات على مدخل البلدة لناحية بلدة راشانا، ثم تقدّمت الآليات السورية من جديد من دون أي مقاومة، بعدما أخلى المقاتلون القلعة ومراكزهم في البلدة وفي مراح شديد، وانسحبوا الى عبدلّلي وجرود منطقة البترون، فتمركزت القوات السورية قرب كنيسة مار نهرا. ثمّ التقى العقيد في الجيش اللبناني موريس أبو رعد يرافقه النقيب منير صعب وعدد من الضباط، قائد القوة السورية النقيب وهيب حيدر والملازم أول أحمد مسلّم وباقي الضباط السوريين في سمار جبيل، وأبلغوهم خلو البلدة والقلعة والقرى المحيطة من المقاتلين، وطلبوا أن يتمّ الإنتشار السوري بهدوء حرصاً على سلامة الأهالي، لكنّ القوات السورية اقتحمت مبنى قسم الكتائب والمستوصف ونصبت حاجزاً ثابتاً قرب كنيسة سمار جبيل.


شاحنة سورية على طريق سمار جبيل

على المحور الثاني: وصلت صباح ٢٥ آب ١٩٧٨ الى بلدة دير بلاّ من الكورة، دورية سورية مؤلّفة من جيب وأربع شاحنات محمّلة بالجنود، وطوّقت قسم الكتائب الذي كان ينام فيه خمسة عناصر من كور ومعهم سلاحهم الفردي وجيب عليه رشاش دوشكا مركون تحت بيت القسم ومكتوب عليه «كتائب كور»، والعناصر هم سعد سعد وأنطوان فرح وميشال ابراهيم يوسف وسليم خوري وإيلي فرج من تحوم.

طلب السوريون من العناصر تسليم أنفسهم وأسلحتهم للدورية، فرفضوا واستعدّوا للمواجهة، وأحرق قائد المجموعة سعد سعد الأوراق الثبوتية للعناصر، وأتلف جهاز اللاسلكي الذي يحمله قبل أن يخرج من بيت القسم ويبادر الى مصافحة آمر الدورية السورية الذي كان يريد اقتحام المنزل، فأعلمه سعد أن عناصره متوتّرون، ودعاه الى الدخول بمفرده أولاً، لخلق جو من الإطمئنان، فوافق الضابط السوري ودخل وصافح عناصر المجموعة الكتائبية، فقدّمت له ولمساعده القهوة. وبعد أن بردت الاجواء، راح أفراد المجموعة الكتائبية يشرحون للضابطين السوريين خصائص


قوة سورية تتمركز في قسم عبرين الكتائبي


سعد أنقذ شباب كور بحنكة

البندقية أم ١٦ الأميركية التي يحملها بعضهم، وصواريخ «لو» التي بحوزتهم والتي لا يعرف الضابطان عنها شيئاً.

وتفادياً لحصول مواجهة مسلحة، تفاوض سعد سعد مع الضابطين السوريين وتوصّل معهما الى إتّفاق قضى بتركه يرحل مع الشباب لقاء استيلاء الدورية السورية على الأسلحة والآلية العسكرية .

جمع الجنود السوريون الأسلحة ونقلوها إلى الجيب العسكري الكتائبي المركون أسفل المبنى، وبعدما تسلّم الضابط السوري مفاتيحه، قاده أحد الجنود إلى أميون، فيما انطلق عناصر الكتائب سيراً على الأقدام إلى بساتين العصي، ونصح الضابط السوري سعد سعد بألا يسير أفراد المجموعة الكتائبية على الطريق المعبّدة، فهبطوا الشير العالي من دير بلاّ الى نهر الجوز، وساروا في الحقول إلى حلتا وأمّنوا من هناك سيارة أقلّتهم إلى كور.

بعد وقت قليل، علم الشباب أنّ الدورية السورية التي صادرت أسلحتهم كانت متوجّهة الى كور، وتعرّضت لكمين في الوادي الفاصل بين شبطين ودريا، فقتل عنصران سوريان وجرح أربعة، وهرب الجنود بإتّجاه كور، فاشتبكوا مع مجموعة كتائبية يقودها طانيوس مخايل (شقيق سمعان يوسف مخايل أحد شهداء معركة كور)، فسقط عدد من القتلى والجرحى من الجنود السوريين تمّ دفن أربعة منهم في معمل للصخور، فيما أصيب من كور طانيوس يوسف مرقس وهو عنصر في الجيش اللبناني في رأسه، وعزت يوسف (شقيق ميشال يوسف الذي استشهد في كور)، فحملهم رفاقهم الى شبطين ومنها الى مستشفى أوتيل ديو في بيروت.

(بعد سنة على المعركة، اكتشف السوريون مكان جثث عناصرهم الأربعة ونبشوها إثر وشاية، فعادوا من جديد ونكّلوا بأهالي كور واقتحموا البيوت وخربوها).

وفي دريا، ألقى عناصر الكتائب القبض على جندي سوري وسلّموه الى الجيش اللبناني الذي أعاده الى السوريين. كما تمكّن مقاتلو ثكنة القطارة من توقيف جنديين سوريين كانا تائهين في القرى البترونية، نقلوهما إلى المجلس الحربي الكتائبي، (أطلق سراحهما في شهر تشرين الثاني في عملية تبادل للمعتقلين بين الكتائب اللبنانية والجيش السوري.)

كما قام أحد ضباط الجيش اللبناني بنقل ضابط برتبة مقدم وجندي سوري ومواطن لبناني كانوا في حال ذعر إلى ثكنة المدينة الكشفية. وأخبره المقدّم السوري أن دوريته تعرّضت لكمين في الوادي، ونجا الجيب الذي يستقله فيما أصيبت باقي الشاحنات.

وأكّد رتيب في الجيش اللبناني شارك في نقل الشاحنات السورية من طريق شبطين - دريا إلى ثكنة المدينة الكشفية أنّ الجيب العسكري السوري كان على بعد نحو مئة متر عن باقي الشاحنات ولم يكن مصاباً وجهاز اللاسلكي فيه كان لا زال يعمل، أما باقي الشاحنات فكانت قرب بعضها ومصابة بطلقات عدة وبجانبها جثتان لجنديين سوريين، وفي صناديقها بنادق كلاشينكوف وقاذفات آر بي جي وجعب ذخيرة تركها الجنود وهربوا.

البيانات وغضب سعادة


سعادة استاء بسبب كمين شبطين

عندما علم النائب جورج سعاده بكمين وادي شبطين، جنّ جنونه وكاد يفقد أعصابه وتجهّم وجهه وبدأ جسمه يرتجف وصبّ جام غضبه على كلّ من كان يقف أمامه، وأطلق الشتائم بحقّ من أطلق الرصاص على الدورية السورية...

وأوردت وكالات الأنباء بياناً عن مصدر أمني أشار فيه الى «أن دورية لقوات الردع العربية تعرّضت بين بلدتي شبطين ودريا في منطقة البترون الوسطى لإطلاق رصاص من مرتفعات تقع شرقي شبطين، فأصيب جندي من عناصر الدورية بجروح خطرة ما لبث أن فارق الحياة. وتابع البيان أنّ عناصر الدورية استطاعوا الاتصال بمقرّ قيادتهم في الشمال، فأرسلت على الفور قوة كبيرة تعزّزها المصفّحات ومشّطت المنطقة المحيطة بالبلدتين بحثاً عن المسلحين، فيما حلّقت فوق المنطقة الجردية من البترون ثلاث طوافات عسكرية نقلت جنوداً تمركزوا في المنطقة، وأقاموا حواجز على مفترقات الطرق. وأشار البيان إلى تعرّض معسكر الجيش اللبناني في المدينة الكشفية لإطلاق النار، ما أدّى إلى إصابة أحد الجنود إصابة طفيفة».

عند الساعة العاشرة ليلاً، صدر عن القيادة الموحّدة للقوات اللبنانية بلاغ أشار إلى أنه «في تمام الساعة الثالثة من بعد ظهر ٢٥ اب بدأت القوات النظامية السورية بهجوم شامل ومفاجئ على منطقة البترون، شاركت فيه وحدات مجوقلة نقلتها ثلاث طوافات سورية، وقد تصدى الأهالي للقوات السورية المتقدمة وأوقفوا تقدّمها». وتابع البيان أنه «نظراً لكثافة النيران السورية لم يتمّ تحديد عدد الضحايا والخسائر المادية، وأن هذا الهجوم غير المبرر على القرى الآمنة في منطقة البترون يأتي بعد الاستفزازات التي مارستها القوات النظامية السورية في دير الأحمر وعيناتا، والتحركات التي تقوم بها باتجاه اليمونة - العاقورة، وأنه حتى الساعة التاسعة والربع ليلاً تاريخ إعداد البيان كانت العمليات السورية ما تزال مستمرة». وختم البيان أنه «بعد هذا العدوان على القرى الآمنة اضطرت القوات اللبنانية الى

خارطة منطقة البترون

اتخاذ جميع التدابير الدفاعية لتأمين حماية المدنيين الأبرياء».
بعد نصف ساعة على صدور بيان القيادة الموحّدة للقوات اللبنانية، أصدرت قيادة قوات الردع العربية أول بيان مفصّل حول حادث وادي شبطين جاء فيه أنه «على أثر الأوامر المعطاة لقيادة قوات الردع في الشمال بمطاردة الجناة الذين نصبوا كمين وادي كفتون، قامت دوريات تابعة لقوات الردع بملاحقة المجرمين، فتعرّضت لإطلاق نار في الوادي الفاصل بين شبطين ودريا من قِبل بعض المسلحين، واستشهد أحد أفراد الدورية وجرح جندي آخر. وطاردت الدورية المسلّحين الذين فرّوا إلى الأحراج المجاورة، وقد أرسلت التعزيزات اللازمة. واعتباراً من الساعة ١٦:٠٠، بدأت قوات الردع تمشيط المنطقة بحثاً عن الفاعلين، ولم تزل العملية مستمرة حتى إذاعة هذا البلاغ».
من جهّتها ردّت القيادة الموحدة للقوات اللبنانية ببيان مفصّل فنّدت فيه ما اعتبرته أكاذيب بيان الردع تساءلت فيه «عن أي مجرمين يتحدث بيان الردع؟ ومن يطاردون في قرى منطقة البترون؟ وكيف يهرب المجرمون الذين ارتكبوا مجزرة وادي كفتون باتجاه قرى منطقة البترون وهم الذين وصلوا الى كفتون من الشمال سالكين طرقات منطقة الكورة؟» وطلب البيان من قيادة قوات الردع العربية «عدم استغباء المواطن اللبناني الذي يعرف جيداً جغرافية وطنه».
عند منتصف الليل، أصدرت قيادة قوات الردع العربية بياناً جديداً أشارت فيه إلى أن دورية من قوات الردع العربية تعرّضت لإطلاق رصاص في بلدة سمار جبيل، فردّ عناصر الدورية بالمثل، ما أدّى إلى استشهاد عنصر من الردع وإصابة رفيقه، ومقتل جوزف باسيل من بلدة سمار جبيل أحد الذين شاركوا في إطلاق الرصاص على الدورية.
بعد اجتماع مجلس قيادة القوات اللبنانية الموحّدة، التقى الشيخ بشير الرئيس كميل شمعون في منزله في الأشرفية بحضور الآباتي شربل قسيس، وتابعوا درس الوضع المتأزم في منطقة البترون.

دنت ساعة كور

تقع بلدة كور على تلّة استراتيجية في وسط البترون، وكانت تشكّل مع كفرعبيدا وشكّا القوة الكتائبية الضاربة في هذا القضاء.
فجر اليوم الثاني لكمين وادي شبطين في ٢٦ آب ١٩٧٨، وصلت قافلة سورية كبيرة الى وادي عين عيّا واتّخذت من أحد معامل الصخور مقرّاً لقيادتها. في غضون ذلك، كان أربعة عناصر من الجيش اللبناني يهمّون للإنطلاق من كور في جيب عسكري من دون أسلحة للإلتحاق بمركز خدمتهم في المدينة الكشفية - سمار جبيل. (وهؤلاء العناصر هم طانيوس بنيامين مارون وجان سليمان فرح من كور وحنا ضاهر سركيس من زان ويوسف نادر الياس من أصيا وكانوا ينتقلون يومياً بهذه الطريقة الى المدينة الكشفية).
طلب أهالي كور من عناصر الجيش اللبناني عدم الذهاب لأن الجوّ متوتّر والسوريون مستنفرون ويسيّرون دوريات. فردّوا بأنهم جنود الشرعية وليس معهم أسلحة، ووضعوا العلم اللبناني على آليتهم وانطلقوا الى وادي عين عيّا حيث التقوا بالقافلة السورية، سمع أهالي كور إطلاق نار متقطّع، وكان مفترضاً أن يظهر الجيب الذي يقلّ الجنود بعد نحو خمس دقائق على الطريق المواجهة لكور والمؤدية إلى بجدرفل لكنه اختفى وطال انتظاره.
في غضون ذلك، شاهد من بقي من شباب كور من مركز ضهر الرامية عناصر سورية تتقدّم في وضع قتالي عبر الأحراج بإتّجاه البلدة من جهة عين عيّا، فاستعدّوا لمواجهتها وخصوصاً بعدما أيقنوا أنّ عناصر الجيش الأربعة تعرّضوا لمكروه.
كان بحوزة مقاتلي كور جهاز ارسال لاسلكي prc 25 للتحدّث مع الشباب في دير القطارة وأفادتهم وفاء فرح إحدى النظاميات بأن قوة سورية كبيرة مؤلّلة تتّجه صوب كور عن طريق كفرحي.
قُرع جرس كنيسة مار مخائيل لدعوة الأهالي للدفاع عن البلدة. فيما بدأت القذائف والصواريخ السورية تنهمر عليها بعنف من مرابض رُكّزت قرب كنيسة مار سابا في كفرحي وفي كفرحاتا قضاء الكورة.

كور من الجو

استبسال واستشهاد

نظّم رجال وشباب كور مواقعهم بالحدّ الأدنى المتوفر في موقع ضهر الرامية المطلّ، وهم: ميشال ابراهيم يوسف، موسى مخايل (النمر)، سمعان يوسف مخايل، ماريو تسالونيكو (يوناني عمره ٦٠ عاماً كان يسكن كور وحاول الشباب إبعاده عن خطّ النار فرفض قائلاً: «عشت معكم الأيام الحلوة لن أترككم في أيام الضيق»)، يوسف موسى النمر، نديم طرابين، سعد سعد وأنطون فرح بالإضافة الى ايلي طانيوس فرج من تحوم وبعض الاهالي غير المدرّبين على القتال ومعهم عدد من نظاميات الكتائب، وتولّت وفاء فرح تأمين الاتصالات مع شباب القرية في القطارة.


الشهيد سمعان يوسف مخايل

بدأ الاشتباك مع العناصرالسورية التي توغّلت بكثافة في الأحراج المحيطة بالبلدة، وقام سمعان يوسف مخايل بعملية في منتهى الإقدام والجرأة، إذ حمل قاذفة b2 ورشاش كلاشينكوف ولاقى الجنود السوريين الى منطقة المقالع باتّجاه عين عيا، فأطلق قذيفة على مجموعة منهم بشكل مباغت ودارت بينه وبينهم معركة شرسة، فقتل ضابطاً وأكثر من عشرة جنود، وأصيب سمعان في فخذه فوضع في جرحه عوداً لقطع الدماء، وأكمل القتال حتى نفذت منه الذخائر فاستشهد بعدما أظهر بسالة نادرة، وأخّر السوريين في الوصول الى البلدة (كان سمعان ذا لون داكن، فظنّه السوريون مرتزقة في صفوف الكتائب، وبعد المعركة أنكره والده خوفاً من أن يقتله السوريون، وقال لهم أنّه لا يعرفه، ودفن إبنه حيث استشهد من دون أي مراسم بعدما نزع خاتمه من إصبعه).

في غضون ذلك، كرّر الجيش السوري إنزال وحدات مجوقلة بواسطة مروحيات إنطلقت من مطار حامات الى ضهر حيشبون بين زان وآصيا (تلّة استراتجية تشرف على منطقة وسط البترون وعلى بعض قرى الكورة منطقة القويطع) لمنع أي إمدادات الى كور، ولتطويق البلدة من جميع الجهات.

استبسل المدافعون في ضهر الرامية، وكانوا يخوضون المعركة من دون وجود متاريس أو دشم، واستمروا في المقاومة حتى استشهد معظمهم بإستثناء طانيوس بولس يوسف الذي كان يطلق النار من رشاش ماغ، وتمكّن من الإنسحاب بعدما أفرغ كلّ رصاصاته ولم يعد لديه أي طلقة، ونديم طرابين وسعد سعد، فيما استشهد ميشال ابراهيم يوسف وكان عمره ١٧ سنة، (وهو انتزع من شقيقه الكبير بندقيته وجعبة الذخيرة وطلب منه العودة الى أولاده، والتقى قبل أن يبدأ القتال أحد رجال القرية، فسأله: «لماذا أنت هنا؟»، إذ كان من المفترض به أن يكون مع الشباب الذين انتقلوا الى دير القطارة فأجابه: «أنا قادم لأموت هنا»)، وهو بقي يقاتل في موقعه بعدما سقط كلّ رفاقه من حوله إلى أن تمكّن الجنود السوريون من قتله بعدما أبلى ببسالة نادرة وأوقع في صفوف المهاجمين إصابات كثيرة، وقال عنه الضابط السوري الذي كانت فرقته تهاجم موقع ضهر الرامية: «إذا كان العرب يتكلّمون عن رمي اسرائيل في البحر، فهم بحاجة الى ١٠٠ شاب مثل الشاب الذي كان يقاتلنا قبل أن نتمكن من قتله...».


الشهيد ميشال ابراهيم يوسف

أما إيلي طانيوس فرج من تحوم، فكان موقعه الى جانب ميشال على الخطوط الأمامية عند مبنى السنترال الحالي في كور، واستمرّا في القتال حتى بدأت ذخيرتهما بالنفاد فتراجع رفيقهما طانيوس بولس يوسف نحو ١٠٠ متر في محاولة لتأمين انسحابهما، وقام مع شاب آخر بتأمين التغطية النارية ليتمكن إيلي وميشال من التراجع.

نهض إيلي من متراسه تحت وابل كثيف من الرصاص والقصف السوري، وتراجع بضع خطوات، لكنّ رشق رصاص منعه من إكمال طريقه فاستشهد على بعد أمتار من رفيقه ميشال.

حاول رفيقاهما سحبهما لكن غزارة الرصاص وقصف الهواوين منعاهما من ذلك، فاضطرا الى الانسحاب.

(بقيت جثتا ميشال ابراهيم يوسف وايلي طانيوس فرج في ساحة المعركة حتى قامت السيدة رفقا عازار بدفنهما في موقع استشهادهما بعد ٣ أيام).

استمر ماريو سالونيكو بإطلاق النار على الجنود السوريين بعدما انسحب الى منزل يوسف طانيوس مرقس حتى نفذ رصاص بندقيته فأفرغ رصاص مسدسه، قبل أن يحاصره السوريون ويقتلونه داخل منزل العجوز المقعد يوسف مرقس (٨٥ عاماً)، الذي قُتل أيضاً في فراشه، بسبب وجود صورة معلّقة على الحائط لابنه جورج الشهيد المغوار في الجيش اللبناني، واستشهد في المنزل أيضاً موسى نمر مخايل وابنه يوسف ويوسف الياس زكريا...


الشهيد ايلي طانيوس فرج



الشهيد موسى نمر مخايل



الشهيدان يوسف الياس طعمه والفتى يوسف موسى مخايل

كان يساند المقاتلين في بلدة كور مدفع هاون عيار ١٢٠ملم يرابض في بلدة الدوق يرمي عليه جورج جرجس الذي تتلمذ على يد ضبّاط الجيش اللبناني في خلال حرب السنتين عامي ١٩٧٥-١٩٧٦، ولعب دوراً بارزاً في تأخير تقدّم السوريين، فهو إبن كور ويعرف البلدة تماماً، وكانت وفاء فرح من النظاميات تعطيه الإحداثيات عبر جهاز اللاسلكي وتعلمه أين أصبح التقدم السوري، ولم يتردّد جورج في قصف الآليات السورية في ساحة كنيسة مار يوسف التي تبعد عن منزل عمه طانيوس جرجس وعماته ١٠ أمتار، والذين كانوا ما يزالون هناك.

بعد ساعات على بدء الهجوم السوري، أصبح البقاء في كور انتحاراً، فمعظم التلال أصبحت تحت سيطرة القوات السورية التي وسّعت أماكن إنزال المظليين الذين بدأوا التقدّم إلى داخل الأحياء السكنية، وسمح استبسال المقاومين في ضهر الرامية والقصف الذي نفّذه جورج جرجس للمدنيين العزل بالهرب، وقامت مسؤولة النظاميات في البلدة سيدة جرجس التي شاركت أيضاً في القتال بإجلاء الأطفال والنساء والشيوخ، وساعدتها بعض الفتيات اللّواتي كنّ في عداد نظاميات الكتائب، وسارت عائلات كور على الأقدام إلى كفرحتنا وزان في طريق حرجية تربط كور بعين المجدل شبطين عبر الوادي الفاصل بين البلدتين.

من شبطين، انتقل الأهالي الذي كانوا في حال يرثى لها، بالسيارات إلى دير سيدة ميفوق الذي غصّ بالنازحين.

جورج جرجس

عندما وصل السوريون الى كنيسة مار يوسف في وسط كور، اعتقدوا أنّهم سيطروا على كل البلدة لأن هناك مسافة بين الكنيسة والحارة الأخرى التي فيها أيضاً كنيسة، فظنّوها قرية أخرى وتأخّروا في الدخول اليها ما سمح بإعطاء الأهالي مزيداً من الوقت للهرب. وقد استعان الجيش السوري ببعض العمال السوريين الذين كانوا يعملون في مقالع الحجر المنتشرة حول كور للإستدلال على طرقات القدم في الأحراج ما سهّل توغّلهم في البلدة.

معلومات وكالات الأنباء والبيانات

ذكرت الوكالة اللبنانية للأنباء في عرضها لحوادث البترون أنّ العمليات العسكرية استؤنفت بهجوم مركّز استهدف عدداً من القرى بالأسلحة الثقيلة والصواريخ، وقالت: «ان القوات السورية التي أنزلت بواسطة ثماني طائرات هليكوبتر، قامت ابتداءً من الساعة الثامنة صباحاً، بهجوم مركّز على بلدة كور، وقد حلّقت طائرات سورية مقاتلة فوق المنطقة لمساندة قوات المشاة المعززة بالمدافع والآليات في الهجوم الذي فشل في تحقيق أهدافه، وقد دارت معركة كانت ما تزال مستمرة حتى ساعات بعد الظهر، وسقط فيها عدد من الجرحى بين الأهالي وعدد آخر من القوات المهاجمة».

وتابعت الوكالة: «آخر الأخبار التي وصلت أشارت الى أن القوات السورية احتلت قريتي دير بلاّ وبقسميا في قضاء البترون، واحتجزت عدداً كبيراً من الأهالي».

وقال مصدر رسمي في القوات اللبنانية: «إن هناك خمسة ألوية سورية مجهزة بكلّ أنواع الأسلحة الخفيفة والثقيلة تستعد للقيام بهجوم على قرى البترون الجردية... من المحاور الآتية: من الساحل عن طريق البترون - المدينة الكشفية حيث تقوم ثكنة للجيش اللبناني وقد تمّ قصفها بالمدافع ليلاً، ومن الجرد عن طريق حدث الجبة ومحور تنورين، والمحور الثالث هو طريق كفتون - بقسميا - كفرحي».

وأصدرت الشعبة الخامسة في قيادة القوات اللبنانية البيان الآتي: «تتابع القوات السورية محاولاتها لإحتلال المنطقتين الوسطى والجردية الواقعة في منطقة البترون، وقد ركّزت القوات السورية هجماتها على قرى دير بلاّ وكور وبقسميا مستخدمة المدفعية الثقيلة بكثافة والطوافات لنقل الوحدات المجوقلة أي بواسطة الجو».



مروحية سورية فوق بجدرفل في طريقها الى كور

وأضاف البيان: «ان أربع طائرات تابعة لسلاح الجو السوري شوهدت تحلّق فوق كور، وقد أعطت قيادة القوات اللبنانية الأوامر الى وحداتها بمساندة الأهالي الصامدين للدفاع عن أرواحهم وأرضهم، كما أن القيادة تطلب من المواطنين عدم الأخذ بالشائعات التي تروّجها مصادر مشبوهة».

القيادة الموحّدة للقوات اللبنانية أعلنت أنّ «ما لا يقل عن ٢٥ شخصاً قتلوا في القتال الدائر في منطقة البترون، وسُجّل فقدان نحو ٤٠ مواطناً، وأن القوات اللبنانية الموحّدة تقوم بتنظيم الدفاع عن المناطق السكنية في البترون بمشاركة الأهالي».

يتذكّر بعض أبناء كور أنه تمّ خلال هروبهم توقيف أكثر من ثلاثين من النساء والاطفال والعجزة، وراح الجنود السوريون يشتمونهم ويضربون العجزة، كما عانى شباب كور صعوبات كثيرة خلال نقلهم الجرحى من البلدة، فحملوا المصابين وهم ينزفون على ظهورهم وساروا بهم في الحقول إلى شبطين، ومن هناك نقلوهم في السيارات إلى مستشفى سيدة المعونات - جبيل عبر طريق عبدللي - صغار - عين كفاع.

في غضون ذلك، قامت طوافات سورية بنقل عدد كبير من الجنود الجرحى الذين سقطوا في المعركة من ضهور كفرحي ومقلع الصخر على مدخل البلدة في وادي عين عيّا الى المستشفيات في طرابلس وسوريا، كما أرغمت القوات السورية المواطن عساف مرتينوس الذي وصل إلى جسر عين عيّا قادماً من البترون على نقل أربعة جرحى إلى مستشفى الهيكلية في طرابلس.

طلب السوريون بعد سيطرتهم على كور من يوسف الياس طعمة الذي بقي في البلدة لأنه يخالف توجه الكتائب أن

يدلّهم على بيوت المحازبين، وعندما رفض ذلك أطلقوا عليه النار فأردوه، وقامت زوجته وأمه بدفنه في بستان قرب منزله فيما اختبأ ابنه الصغير بطرس في مزرعة الخنازير حتى حلول الليل وهرب في وادي كور كفيفان.

مجموعة من كتائب كور

هجوم مضاد لم يُترجم

ليل ٢٦ آب ١٩٧٨ وصلت إلى ميفوق مجموعات من وحدات المغاوير في القوات اللبنانية، وتقدّمت بإتجاه بلدة حلتا بهدف مهاجمة القوات السورية في بلدة بقسميا وقطع طريق الإمداد عنها، وتحضّرت مجموعات في دير القطارة بقيادة نعوم موسى وبطرس سابا للقيام بهجوم لإستعادة كور والبلدات المجاورة، وتمركزت ليلاً في دوما مجموعات من نمور الأحرار وحراس الأرز تمهيداً لمهاجمة دير بلاّ.

عُقد إجتماع في ثكنة القطارة ليلاً للمسؤولين العسكريين لبحث إمكانية نجاح الهجوم المضاد، واستقرّ الرأي على عدم القيام بأي عمل عسكري لأنّ حرب المئة يوم كانت في ذروتها، وارتأت القيادات أنه ليس ممكناً فتح حرب جديدة في منطقة الشمال موازية لحرب المئة يوم، وبالتالي من الأفضل التركيز على صمود بيروت. فعادت وحدات المغاوير من حلتا إلى بيروت، وكذلك مقاتلو الأحرار وحراس الأرز. الأمر الذي أثار غضب وتململ شبّان القرى البترونية الذين كانوا يأملون بتحرير قراهم والعودة اليها.

- بعدما سيطرت القوات السورية على كور، بدأت دهم المنازل التي سلمت من الدمار وتفتيشها وبعثرة محتوياتها، وساقت تحت الضرب والإهانات إلى ساحة كنيسة مار مخائيل ٣٥ شخصاً، من بينهم الخوري طانيوس يزبك والخوري يوسف سمعان، ثم تمّ فرز المعتقلين وأبقي على أحد عشر هم الجنود في الجيش اللبناني جميل طانيوس طعمه، يوسف حبيب الخوري، ميشال يوسف طعمه، وخمسة رجال تجاوزوا العقد الخامس هم: حنا جرجس حنا، بولس جرجس يوسف، سمعان بطرس سابا، نجم سليمان فرح وحنا يوسف طعمة وثلاثة فتيان لم يتجاوزوا السادسة عشرة هم: جورج جميل طعمه، يوسف حبيب يوسف وابراهيم حنا طعمه، فيما سمح لباقي الموقوفين بالمغادرة إلى منازلهم شرط عدم الخروج منها.

نعوم موسى

نُقل الموقوفون تحت الضرب إلى مقرّ قيادة القوات السورية في الهيكلية- طرابلس وأخضعوا للتحقيق الذي تركّز حول مخابئ السلاح وأماكن تواجد المسلحين وأسمائهم، وكان مع المحقّقين لوائح بأسماء العديد من مقاتلي الكتائب. تمّ التركيز خلال الاستجواب حول ظروف المعركة، وتبيّن من الأسئلة أن هناك عدداً من الجنود السوريين فقدوا يوم الجمعة ويصرّ المحقّقون على معرفة مصيرهم (منهم أربعة جنود دفنوا في معمل للصخور في كور بعد كمين وادي شبطين)، وسأل المحققون شباب كور عن موقع مغارة «الحرامية» ومغارة «بو عبدو» وماذا تحتويان وإمكانية إيصال الأسلحة اليهما. وأوضح المعتقلون أن المغارتين تقعان في الأحراج البعيدة عن القرية وأنهما كانتا تستعملان سابقاً زريبتين للماعز.



بطرس سابا

بعد ثلاثة أيام في الهيكلية، نُقل شباب كور الى مقرّ المخابرات السورية في

شارع مار مارون في طرابلس، وهناك سجنوا الى جانب شباب من بلدة اده، ثم نقلوا ليلاً إلى مدرسة الأميركان وتشاركوا السجن مع نحو ٣٠ معتقلاً بعضهم من منطقة بشري بينهم بعض شباب بريسات أوقفوا على أثر تعرّض شاحنة سورية لكمين في بلدتهم.

أخضع شباب كور لتحقيق جديد ودقيق، تركّز مجدداً حول الجنود السوريين المفقودين.

بعد عشرة أيام، أطلق سراح شباب كور باستثناء جنود الجيش اللبناني الذين نقلوا بعد أسبوع إلى ثكنة أبلح، حيث تسلّمتهم مخابرات الجيش اللبناني وأعادتهم إلى منازلهم.

معاناة نجدة كور

الأحد ٢٧ آب، حاولت بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر برئاسة السيد بيار غوبيران يرافقه السيد هنري فورنييه الدخول الى كور والبلدات المجاورة بواسطة سيارتين ترفعان علم الصليب الأحمر، فأوقفتها أربعة حواجز سورية قرب مبنى الريجي في البترون وأمام مبنى قسم عبرين الكتائبي وعلى جسر عين عيّا، وعلى مدخل كور حيث منعت من دخول البلدة فعادت إلى البترون بعد ساعات من الانتظار. وهذا ما حصل في اليوم نفسه مع المطران رولان ابو جودة الذي تعرّض لتفتيش دقيق على الحواجز السورية ومع بعثة قوى الأمن الداخلي وشاحنة محمّلة بالمساعدات الغذائية. إثر ذلك، اتّصل البطريرك خريش بالرئيس الياس سركيس طالباً منه العمل على تسهيل تفقّد القرى البترونية المنكوبة بعدما روى له المطران أبو جوده ما حصل معه على الحواجز السورية ومع الهيئات الدينية والإنسانية.

البطريرك خريش

وأوفد الرئيس سركيس إلى الصرح البطريركي أحد ضباط الحرس الجمهوري، وتقرّر أن تواكب دورية من الإرتباط المطران أبو جوده والهيئات الإنسانية خلال تفقّدهم قرى منطقة البترون.



المطران أبو جوده

في اليوم التالي، تمكّن المطران أبو جوده، يرافقه الأب سليم رزق الله الكبوشي والأب شربل زكريا وثلاث من راهبات الصليب وضابط الإرتباط الملازم أول يوسف سعد وبعثة الصليب الأحمر الدولي من الدخول الى كور وعبروا البلدة سيراً على الأقدام ولاقاهم الى ساحة كنيسة مار مخائيل الكهنة الياس فارس وطانيوس يزبك ويوسف بو سمعان، الذين أبلغوا المطران أن المدافن دُنّست وبعثرت التوابيت.

بعد مفاوضات شاقة مع الضابط السوري، سُمح للمطران أبو جوده ومن معه بتفقد الكنيسة، وتبيّن لهم أن الكؤوس المذهّبة سُرقت وبعثر الأثاث، فأقام أبو جودة الذبيحة الالهية لراحة أنفس الشهداء بكأس زجاجي.

من كنيسة مار مخائيل، حاول المطران أبو جوده ومرافقوه التوجّه إلى كنيسة مار جرجس التي تتمركز فيها القوات السورية، فمنعهم الجنود من دخولها بحجّة أنها موقع عسكري.

في غضون ذلك، اكتشف وفد الصليب الاحمر مجزرة رهيبة بعدما قام وفد منه برفقة النقيب اللبناني في الارتباط يوسف سعد بدخول منزل يقع في أول البلدة، حيث وجدوا ست جثث بدأت تتحلّل وهي تعود للمواطنين: يوسف طانيوس مرقس، موسى نمر مخايل وابنه يوسف، يوسف الياس زكريا وشخص يوناني يدعى ماريو متزوج من فتاة من كور ويُقيم فيها، إضافة الى جثتين لم يتعرفوا عليهما، وجميع هؤلاء الضحايا كانوا يتجاوزون العقد الرابع من العمر.

كما كشف وفد الصليب الأحمر الدولي عن وجود ١٢ جثة في جوار البلدة، و٣٠ جثة أخرى في الاحراج. وقامت بعثة الصليب الأحمر الدولي بحقن المصابين من أهالي البلدة بمادة «تيتانوس»، وزوّدت الأهالي بمبيدات لتلافي الأوبئة التي قد تسببّها الجثث المهترئة التي كانت تفوح منها رائحة الموت.

وأفادت البعثة أن هناك عشرات الاشخاص لا يزالون في كور معظمهم من النساء والأطفال والرجال الذين تجاوزوا العقد الخامس من العمر، وأن السوريين يقفون على مداخل البلدة. وأخرجت البعثة شخصين من البلدة كانا قدما من بيروت وتاها أثناء زيارة أحد معارفهما. وقام متطوعو الصليب الأحمر الدولي بإنقاذ ثلاثة أشخاص من أهل كور كانوا اختبأوا منذ نهار السبت في بئر جاف، وأحضروهم إلى منزل الخوري الياس فارس الذي طوّقته قوة سورية، وتلاسنت مع ضابط الارتباط الملازم أول سعد وكادت الأمور تتطور أكثر لولا تدخّل المطران أبو جوده محاولاً تهدئة السوريين قبل أن يغادر ومرافقوه البلدة، فيما توجه بعض الذين بقوا في كور لدفن جثامين الشهداء في أماكن إستشهادهم.

صباح ٢٨ آب، حاولت وحدات من القوات السورية التقدّم من قرب دير كفيفان بإتّجاه دريا، فتعرّضت لرمايات رشاشة من تلال عبدللي، فاضطرّت للتوقّف، ثم بدأت المدفعية السورية المركّزة في كور قصف تلال عبدللي المشرفة على طريق جران- دريا، وطاول القصف بعض أحياء عبدللي حيث أصيبت كنيسة مار جرجس وبعض المنازل.

تقدّمت مجدّداً وحدات سورية من أمام دير كفيفان عبر طريق جران دريا، ولدى وصولها إلى مفرق دير مار يوسف جربتا ركّزت موقعاً في محبسة دير كفيفان الأثرية.

وفيما كان القصف السوري مستمراً على محيط عبدللي، توغّلت مجموعات من الوحدات الخاصة في الوادي الفاصل بين دريا وكور وسارت في الطريق المؤدّي من دريا إلى شبطين من دون أي مقاومة وتمركزت مساءً في عبدللي وعلى التلال المشرفة على بلدة صغار.

بعد الرمي على القوات السورية المتقدمة من دير كفيفان، قرّر شباب قسم عبدللي الكتائبي متابعة مواجهة القوات السورية وانضم إليهم بعض مقاتلي الكتائب والأحرار الذين كانوا أخلَوا قراهم في بجدرفل وعبرين وكفيفان ووصلوا إلى عبدللي، ورفضوا نداءات ثكنة القطارة بوجوب إخلاء البلدة على الفور ما استوجب حضور مفوض منطقة البترون بطرس سابا إلى ساحة كنيسة مار جرجس في عبدللي، والطلب من المقاتلين الإنسحاب فوراً بناءً لأوامر حزبية لا تقبل أي مناقشة، فتوجّه المقاتلون إلى بلدة صغار.

البحث عن جنود الجيش اللبناني

صباح الإثنين ٢٨ آب، انطلق ضابط أمن في الجيش اللبناني ومعه ثلاثة عناصر، يتبعه جيب للشرطة العسكرية وسيارتا إسعاف من مركز طرابلس في الصليب الأحمر اللبناني، للبحث عن عناصر الجيب الأربعة الذين فقدوا صباحاً قبل بدء معركة كور، وشاهد أفراد المجموعة العسكرية اللبنانية في وادي عين عيّا قرب معمل للصخور على طريق عام جرد البترون الجيب العسكري، فتوقّفوا، وطلب الضابط اللبناني لقاء الرائد السوري جودت السعيد قائد الكتيبة المتمركزة في وادي عين عيّا، فيما عاين الجنود اللبنانيون ومتطوّعو الصليب الأحمر الجيب ولاحظوا أنه سليم وغير مصاب بالرصاص، كما أحصوا ١٤ جثة لجنود سوريين موضوعة قرب حائط معمل الصخر من بينها جثة ضابط كانت النجوم واضحة على كتفيه.

ساد التوتر لقاء الضابط اللبناني مع الرائد السوري قبل أن يتوجّها إلى مكان وجود الجيب العسكري حيث قال الرائد السوري: «عناصر الجيب أطلقوا النار علينا فاشتبكنا معهم»، فردّ عليه أحد الجنود اللبنانيين: «يا سيدنا الجيب لا مغموش ولا فيه رصاصة واحدة». وقبل أن يتابع نهره الضابط اللبناني وأمره بالصعود إلى سيارته العسكرية. قاد أحد عناصر الشرطة العسكرية الجيب وتابعت القافلة طريقها إلى كور للبحث عن الجنود الاربعة.

بعد ساعات من التفتيش، جمع عناصر الصليب الأحمر ثلاث جثث بلباس الجيش اللبناني كانت مشوهة ومنتفخة، وأكّد أحد عناصر الشرطة العسكرية أن أصحاب الجثامين هم طانيوس مارون، حنا سركيس ويوسف الياس، أما جثّة جان فرح فلم يعثروا عليها.



الجندي الشهيد طانيوس بنيامين مارون



الجندي الشهيد جان سليمان فرح

الجندي الشهيد حنا بطرس سركيس

أرسلت الجثامين الثلاثة إلى المستشفى العسكري في بدارو، وأعدّت الشرطة العسكرية تقريراً وفيه أن الجيب المفقود وجِد إلى جانب الطريق قرب منشار الصخر على الطريق العام المؤدّي إلى تنورين، وغير مصاب بأي رصاصة ومفتاحه في موضعه. وأنّه تمّ العثور على جثامين ثلاثة جنود في الحقول المجاورة للطريق المؤدية إلى كور في حقول عدة ولم تكن قرب بعضها البعض وعلى بعد نحو ١٥٠٠ متر من موقع الجيب.

في ١٠ شباط ١٩٧٩، أي بعد نحو أربعة أشهر، أرسلت الشرطة العسكرية في ثكنة المدينة الكشفية برقية إلى قيادة منطقة الشمال أفادت فيها أنه تمّ العثور على جثة في الحقول قرب مدخل كور تبين أنها للجندي الشهيد جان فرح المفقود منذ ٢٦ آب ١٩٧٨.

وحتى هذا الوقت، وبعد مرور ٣١ عاماً على تلك الأحداث، ما زال بعض الأهالي يقولون أن هذه الجثث ليست لأبنائهم، ويعتبرون أنّهم من مفقودي الحرب، وهذه من أكثر جوانب الحرب اللبنانية مأساوية إذ أن الكثير من المواطنين الذين ابتلعتهم الأحداث باتوا مجهولي المصير، ويطبّق على كلّ واحد منهم القول «لا حياً فيُرجى ولا ميتاً فيرثى».

الثلاثاء ٢٩ آب، التقى النائبان جورج سعاده وبطرس حرب يرافقهما الآباتي أبو فاضل والأب سمير مظلوم والأب سليم رزق الله الكبوشي وزيري الداخلية والعمل والشؤون الاجتماعية، في القصر الجمهوري وطالبوا برش القرى والبلدات بالمبيدات ودفن الجثث في كور، بعد أنبعاث الروائح منها.



نائبا البترون حرب وسعاده

وفي اليوم نفسه، طوّقت القوات السورية ثكنة المدينة الكشفية ومنعت ضباط وجنود الجيش من الدخول والخروج، بحجّة وجود مقاتلين كتائبيين داخل الثكنة. وبعد اتصالات تولاّها ضباط لبنانيون، فك الطوق السوري عن الثكنة من دون الدخول إليها.

صباح الخميس ٣١ آب، دخلت إلى كور بعثة لمسح أضرار البلدة، ترأسها رئيس دير كفيفان الأب يوسف عجيل ممثّلاً الآباتي شربل قسيس، وضمّت الأب شربل زكريا وعدد من الرهبان ومهندسي الهيئة المارونية للتخطيط والإنماء ومسؤولي الهيئة العليا للإغاثة وكاريتاس، جالوا في أحياء البلدة وعاينوا المنازل المتضررة ورفعوا تقريراً بالأضرار.

كيف توقف التقدم السوري

- تمكن نائبا البترون جورج سعاده وبطرس حرب من خلال اتّصالاتهما السياسية من تحاشي تمركز القوات السورية في قرى جرد منطقة البترون، ولفتا نظر الرئيس الياس سركيس والمقدم سامي الخطيب الى أن لا مبرر لتمركز القوات السورية في تنورين ودوما وبلدات جرد البترون، لأن تواجدها في تلك القرى سيؤدي إلى إشكالات مع الأهالي. فوافق رئيس الجمهورية على طرح نائبي البترون، وأوعز إلى المقدم الخطيب بالإتّصال بالقيادة السورية لعدم نشر مراكزها العسكرية في البلدات البترونية التي لم تشهد أي حوادث، والبعيدة عن أماكن الإحتكاك بين المقاتلين.

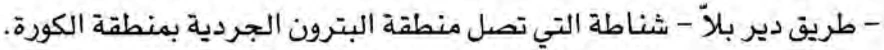
وبالتزامن مع تحرّك النائبين سعادة وحرب، قام قائد منطقة جبيل في الجيش اللبناني النقيب بول فارس الذي كان مركزه في إذاعة عمشيت بزيارة قائد الجيش العماد فكتور خوري في الشاليه التي يملكها قرب الإذاعة، وطرح عليه ما يجري في بلاد البترون، وأبدى له تخوّفه من أن تتوغل القوات السورية في قضاء جبيل لملاحقة عناصر الكتائب وتدخل الى بعض القرى، وسأله: «هل ترضى mon général أن يدخل الجيش السوري الى عمشيت؟». فأجابه خوري «لا، ولكن لا نستطيع فعل شيء». إقترح عليه فارس أن يضع الجيش اللبناني نقاطاً على كلّ الطرقات التي تؤدي من محافظة الشمال الى محافظة جبل لبنان، فإذا أراد السوريون التوغل يشاهدون الجيش بنقاط معززة فيتوقّفون. فقال له خوري: «أنا لم أقل لك شيء، قمّ بذلك على مسؤوليتك. إذا نجحت، أمر جيد وإذا لم تنجح سأحاسبك».


العماد فيكتور خوري

على الفور، قام النقيب فارس بتعزيز نقطة الجيش قبل جسر المدفون لجهة جبيل، وحرص على أن يعلم السوريين بذلك، كما وضع حاجزاً معزّزاً بالمصفّحات على أطراف بشعلة أوّل منطقة جبيل، وكذلك في بلدة عين كفاع وفي ميفوق أول قرى قضاء جبيل لجهة الشمال، ونصب الجيش اللبناني حاجزاً معزّزاً على طريق تنورين -حدث الجبة التي تصل جرود البترون بمنطقة بشري.

كانت دوريات الجيش السوري تصل الى أماكن وجود الجيش اللبناني فتتوقّف وتقفل عائدة، لكنّ القوات السورية وضعت حاجزاً ثابتاً على جسر المدفون بمواجهة حاجز الجيش اللبناني وبقي الحال كذلك لسنوات طويلة.

وقد قطّعت معارك الأسبوع الأخير من آب ١٩٧٨ أوصال منطقة البترون وأقفلت الطرقات التالية:



- طريق دير بلاّ - شناطة التي تصل منطقة البترون الجردية بمنطقة الكورة.
- طريق جبلا - مفرق عورا / طريق كور - كفرحتنا.
- طريق دريا - شبطين / طريق تولا - الدوق.
- طريق تنورين - حدث الجبة التي تصل جرود البترون بمنطقة بشري.
- طريق نيحا - قنات. ولم يبقَ سالكاً سوى طريق عبدللي - جربتا - صغار إلى منطقة جبيل، وطريق وادي عين عيّا - صورات.

وبسبب إقفال طريق حردين - دير بلاّ، شقّت القوات اللبنانية فيما بعد طريقاً يصل حردين بكفور العربي، كما شقّت طريقاً يربط نيحا بكفور العربة، التي يتابع الأهالي منها طريقهم إلى بيت شلالا - دوما - بشعله - ميفوق وصولاً إلى منطقة جبيل. وشقّت طريقاً يصل محمرش براشا، وآخر يصل محمرش بمار ماما، وطريقاً يصل زان بأصيا، وهربونا بزان، بحيث اتّصلت القرى البترونية الواقعة خارج سيطرة القوات السورية ببعضها من دون اضطرار الاهالي المرور على الحواجز السورية.

النقيب بول فارس

ما وراء المعركة

كتب الصحافي غسان شربل في جريدة النهار في عددها الصادر نهار الاربعاء في ٣٠ آب ١٩٧٨ أي بعد أقل من أسبوع على دخول الردع إلى منطقة البترون تحقيقاً جاء فيه: «... ما أن تترك عمشيت شمالاً حتى يتغيّر المناخ، قلّة نادرة من السيارات وتتغير ملامح الوجوه، الخوف بادٍ ولا أحد يرغب بالحديث. في كفرعبيدا قلّة نادرة على الطريق. إمرأة تجرأت وردّت علينا وقالت لنا لقد دفعنا الثمن غالياً ٩٩ ٪ من الأهالي غادروا، يوجد فقط بعض العجزة وبعض النساء يعدن في النهار لإحضار بعض الحاجيات الضرورية، في الليل البلدة بلدة أشباح. وتضيف: لماذا دفعنا هذا الثمن؟ لقد دافعنا عن لبنان وقدّمنا خيرة شبابنا. حاولت أن تكمل لكن سيدة أخرى منعتها. من كفرعبيدا تابعنا إلى البترون، فإذ هي مدينة شبه مشلولة، القلق بادٍ على الوجوه ولا أحد يريد التكلم، شاحنات الردع تعبر وعيون الأهالي تراقبها بقلق وخوف، علمنا أن بعض أهالي المنطقة الوسطى هربوا إلى البترون، ولكن الأكثرية توجّهت إلى جرود منطقة البترون ومنطقة جبيل. من البترون نتوجّه صعوداً. وعند مبنى الريجي، حاجز الردع يدقق كثيراً ويسأل إلى أين؟ في اجدبرا، القرية تبدو شبه فارغة، الأعلام البيضاء ترفرف على السطوح، وقلّة عادت بعد نداء الردع، ومن عاد ينتظر عودة البعض الآخر قريباً حسب ما قال لنا أحد العجائز. نتابع إلى عبرين، في أول البلدة حاجز للردع أمام بيت الكتائب وقربه جيب للدرك. عند الحاجز مُنعنا من التقدم، وبعد محاولات عديدة سُمح لنا بإكمال الطريق، وفي عبرين لا أحد يريد الكلام، علمنا أن نصف الأهالي ما زالوا خارجها. من عبرين تابعنا إلى بجدرفل، هناك لم يُسمح لنا بالتقدم أكثر رغم كل مساعينا. المشهد في بجدرفل لم يتغير، وأخبرنا أحدهم أن الصليب الاحمر دخل إلى كور ودفن الجثث. كور وبقسميا والبلدات المحيطة تبدو أمامنا ولكن لا أحد يستطيع الوصول إلى هناك فقفلنا عائدين. خلال زيارتنا علمنا أنه نقلاً عن وكالة الصحافة الفرنسية تمّ إحصاء ٣٤ قتيلاً في منطقة البترون الوسطى منذ يوم الجمعة الماضية سقطوا خلال عمليات دخول الردع إلى منطقة البترون».

– سقط للقوات السورية أكثر من ثلاثين قتيلاً ونحو مئة جريح في مواجهات كور وكمين شبطين.

– كانت سيدات كور مثالاً في البطولة والجرأة ومنهن وفاء فرح وسيدة جرجس مسؤولة النظاميات التي نسّقت خروج الأهالي العزَّل من القرية وشاركت في القتال، وسعدى مخول زوجة الخوري الياس فارس السورية الأصل، التي واجهت الجنود بجرأة ومنعتهم من التعدي على بعض الأهالي والمنازل، ورفقا اللقّيس زوجة يوسف عازار التي بادرت وشجّعت عدداً من الرجال على دفن الشهداء بعد أن بدأت جثثهم تتحلل... وقامت ظهر نهار الإثنين ٢٨ آب، برفقة رجلين من كور بدفن ثلاثة جثامين في أماكن استشهادها، من بينها إيلي فرج وميشال يوسف اللذين استبسلا في موقع ضهر الرامية.



مجموعة من نظاميات كور

– في بلدة كفيفان، أطلق السوريون النار على رجل في العقد الرابع من عمره فأردوه، واعطوا فرصة نصف ساعة لابناء البلدة لاجراء مراسم الدفن، ولم يحضر الجنازة سوى أشخاص معدودين.

– في جران، قتل السوريون المواطن عبدالله بطرس. وفي جبلا، نسفوا منزل طنوس سمعان وهو من بلدة اصيا– البترون.

– اعتقل الجيش السوري العشرات من أبناء قرى البترون، ونقل كثيرين منهم الى مقر القيادة السورية في الهيكلية طرابلس وتعرضوا للاهانات والتعذيب، لكن بعد أيام على الدخول السوري إلى القرى البترونية الساحلية، بدأ بعض

الوجهاء في القرى ينسجون علاقات مع ضباط سوريين ويقدّمون لهم الهدايا، ويستضيفونهم في محاولة لتخفيف الضغط عن الأهالي، وقد ساهمت العلاقات التي بُنيت بإنقاذ العديد من الشبان وتهريب آخرين إلى خارج منطقة البترون.

– قدّم النائب جورج سعاده لائحة بأسماء ٦٥ مواطناً من منطقة البترون لا يزال مصيرهم مجهولاً، إضافة إلى لائحة بأسماء ٢٠ شهيداً سقطوا خلال الأيام الماضية، وقام كهنة الرعايا في المنطقة بالتدقيق بأسماء المفقودين كلّ في رعيته، بالتنسيق مع الأب سليم رزق الله الكبوشي ونقلت الأسماء إلى قيادة قوات الردع العربية.

– أصدرت الهيئة العليا للاغاثة بياناً نشرته الصحف المحلية نهار الخميس ١٦/١١/ ١٩٧٨ قالت فيه: «بلغ عدد المهجّرين الذين تمّ تسجيلهم في منطقة جبيل في المرحلة الاولى للتهجير حتى آخر شهر آب ١٩٧٨، ووصلوا من مناطق البترون والكورة وبشري وزغرتا ٢٨٨٥ عائلة تضم ١٤٤٢٥ شخصاً، فيما أضيف إليهم حتى آخر شهر أيلول ١٥٢٦ عائلة تضم ٩٥٧٨ شخصاً أتوا من نفس القرى والبلدات وتوزّعوا بمعظمهم على الأديرة والمدارس، إضافة إلى العديد من الذين توزعوا في أماكن متفرقة. واعتبرت الهيئة في تقريرها أن عدداً آخر من المهجّرين أتوا من نفس القرى ولم يتقدّموا لتسجيل أسمائهم وقدّرتهم بحوالي ١٠ ٪ من إجمالي عدد المهجّرين المسجّلين».

– يقول بطرس لبكي في كتابه: «جردة حساب الحروب من أجل الآخرين على أرض لبنان» في الصفحة ٤٤، أنّه نتيجة الصراع في الشمال صيف ١٩٧٨، سقط حوالى١٠٠ قتيل من الطرفين، وتهجّر ٢٥ ألف شخص من الشمال بإتّجاه المنطقة الشرقية، فيما سُجل مغادرة عدة عائلات زغرتاوية المنطقة الشرقية إلى زغرتا.

– بعد المعركة بأسابيع، نسفت منازل عدة في كور ومنها منزل وديع طعمة ومنزل يوسف متى ومنزل فرح فرح، ونسف مبنى المدرسة الرسمية والنادي وبيت الكتائب وهو بناء واحد من ثلاث طبقات.

– النكبة الأولى التي تعرّضت لها كور، كانت مع خروج الصليبيين من الشرق واحتلال جبل لبنان من قبل جيوش المماليك. يومها اضطر معظم الأهالي للمغادرة إلى جزيرة قبرص، وهناك أنشأوا بلدة جديدة أسموها «كور ماجيت» ما تزال قائمة حتى اليوم ويعيش فيها أحفاد من غادر من كور.



مضاد لكتائب كور

أبرز مراجع معركة كور كتاب: «بلاد البترون من الشرارة إلى الانتفاضة» لنبيل يوسف.

معركة الأرز

كانت منطقة بشري العليا وصولاً الى الأرز ما تزال خارج السيطرة السورية، بعد إقرار الحكومة اللبنانية برئاسة رئيس الجمهورية الياس سركيس في ٢٨ - ٦- ١٩٧٨، خطة أمنية مستعجلة كلّفت بموجبها قوات الردع العربية حفظ الأمن في محافظة الشمال كافّة. يومها أعلنت فعاليات بشري رفضها إسناد الأمن الى قوات الردع السورية وطالبت بتكليف الجيش وقوى الأمن الداخلي هذه المهمة وتعهّدت بدعم هذه القوى اللبنانية بكلّ قواها وعلى جميع المستويات.

تدخلت البطريركية المارونية والرئيس الياس سركيس لتبريد الأجواء، وحضر الى بشري قائد القوات السورية في الشمال العقيد تامر الجوني والتقى فعالياتها في منزل النائب جبران طوق وأوضح أنّ هدف دخول قوات الردع هو حفظ الأمن في المنطقة في ظلّ غياب القوى الشرعية ومنع حصول أي صدام بين بشري وزغرتا في ظل الاجواء القائمة آنذاك.

اشترطت فعاليات بشري عدم تواجد السوريين داخل المدينة، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وعدم ملاحقة أي شخص من بشري أو المنطقة أياً كان انتماؤه، وعدم تفتيش المنازل مهما كانت الأسباب.

وافق الجوني على هذه الشروط، وأبدى استعداده الكامل لكلّ تعاون، وتولى رئيس حزب الكتائب الشيخ بيار الجميل والرئيس كميل شمعون إقناع عناصر الكتائب والأحرار بعدم مواجهة القوات السورية والقبول بما قررته فعاليات وشخصيات بشري.


الآليات السورية بين حدشيت وبشري

صباح ٣٠ حزيران ١٩٧٨، تحرّكت قوات الردع السورية بعديدها وعتادها الى قرى قضاء بشري العليا على محورين:

١-محور أهدن، كفرصغاب، بان، حدشيت ووصلت الى مدخل بشري بعد الظهر في محلة الحريم بعدما نصبت حواجز ثابتة، وأقامت مراكز في حدشيت وبان وكفرصغاب، ومشّطت البساتين والحقول وسلكت آلياتها الطرقات الترابية الزراعية في محيط بشري ونصبت حاجزاً ثابتاً على طريق الأرز فوق بشري.

٢- محور طورزا قرى بشري الوسطى وكانت القوّة كناية عن أرتال دبابات انطلقت من الكورة ودعمتها القوى السورية التي كانت متواجدة بعد معركة بلاّ في ضهور برحليون وقنات، وأقام السوريون تجمّعاً كبيراً في منطقة حدث الجبّة في الفنادق المطلة على الكورة وزغرتا، ونصبوا حاجزاً على مفرق الطريق المؤدّي الى حريصا تنورين، وبذلك أصبحت منطقة بشري بالكامل تحت قبضة القوات السورية.

من ناحية أخرى، أكمل الجيش السوري سيطرته الكاملة على منطقة الهرمل وجرودها بعد مجزرة البقاع التي حصلت في ٢٨ حزيران ١٩٧٨، وبدأت القوات السورية تداهم القرى المسيحية، وأوّلها بلدة القدّام حيث فتشت المنازل وصادرت كميات من الأسلحة ثم انسحبت.

دهم عيناتا ودير الاحمر


قوات الردع على تخوم بشري

بعد منتصف ليل ٢٤ -٢٥ آب، طوّقت القوات السورية بلدة عيناتا وطلبت من شبابها ورجالها عبر مكبّرات الصوت التجمّع في ساحة البلدة، فنفّذوا ذلك. ثم دخل الجيش السوري الى البيوت برفقة عناصر لبنانية كانت تدلّه على منازل الحزبيين وتعرّفهم بأسمائهم، حتى أن هذه العناصر كانت تعرف أنواع الأسلحة التي كانت بحوزة بعض شباب عيناتا. وقام الجيش السوري بمصادرة الأسلحة والذخائر، وكميات من المخدّرات وحشيشة الكيف، بالإضافة الى سرقة مجوهرات ثمينة، واحتجز السوريون عدداً من أبناء عيناتا، ثم أفرجوا عنهم بعد إخضاعهم لتفتيش دقيق.

مساء ٢٥ آب، دخل لواء مدرع من القوات السورية الى بلدة دير الاحمر عبر محورين: الأول: نبحا - القدّام - برقا- بشوات.

الثاني: بعلبك بإتّجاه ايعات، اجر الحرف، خط السهل، الكنيسة.

أقامت القوات السورية حواجز ومراكز ثابتة على طول الطرقات المؤدية الى دير الأحمر، وعلى مداخلها، وقامت بتفتيش المنازل واعتقلت عدداً كبيراً من الأهالي، وصادرت كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر ومن حشيشة الكيف، واستولت على بعض المقتنيات، ومنها المال والحلى، ثمّ تقدّمت القوات السورية من منطقة البقاع بإتّجاه ضهر القضيب وسيطرت على الغرفة الفرنسية.

ظهر ٢٧ آب، أصدرت قيادة قوات الردع العربية بلاغاً حول ما يحصل في منطقتي بشري - دير الأحمر جاء فيه: «أنّ وحدة من قيادة البقاع الشمالي في قوات الردع العربية كلّفت صباح ١٩٧٨/٨/٢٥ إقامة حواجز على طريق دير الأحمر - عيناتا بإتجاه الأرز، بعد ورود معلومات عن عمليات نقل سلاح ثقيل وكميات كبيرة من الذخيرة من تلك المنطقة، ودامت العملية من الساعة ٦.٣٠ صباحاً حتى الظهر، صودر بنتيجتها كمية كبيرة من الأسلحة والذخائر كما أوقف شخص واحد من بلدة عيناتا، واستبقيت ثلاثة حواجز على مقربة من بلدتي عيناتا - دير الأحمر لفترة مؤقتة».

صباح ٢٨ آب، بدأت القوات السورية توسيع انتشارها على القمم المجاورة الخالية إلاّ من بعض رعاة الماعز، فتقدّمت مجموعات كبيرة من المشاة السوريين سيراً على الأقدام وفي شاحنات عسكرية ومجنزرات عبر الطرق الترابية الوعرة، وسلكت قمة جبل «المكمل» حتى وصلت إلى سفوح «القرنة السوداء». ثم إجتازت عريض «الترمس» وجورة «القنديل» وتمركزت على قمّة عريض «القشاطي»، كما تمركزت مجموعات سورية أخرى عند «كوع اليمّونة» وقطعت الطريق الترابية الوعرة التي تنسلّ عبر ممرات متعرّجة في الجرد، وصولاً إلى مزرعة «حريصا» في أعلى جرود تنورين. وبذلك أصبحت منطقة الأرز وبشري وجميع قرى الجبة تحت السيطرة السورية الكاملة، فيما إستمرت لليوم الثاني حملة مداهمة منازل بلدات دير الاحمر، وعيناتا وبشوات والمجيدية وبتدعي وبرقا ونبحا والقدام ومزرعة السيّاد.

إزاء العملية السورية الواسعة، زار النائب طارق حبشي رئيس الجمهورية الياس سركيس على رأس وفد من أهالي المنطقة في محاولة لإطلاق الموقوفين، وإيقاف عمليات الدهم، فطلب سركيس من قوات الردع في البقاع عدم التعرّض للأهالي، وإخلاء سبيل المحتجزين منهم، فأفرجت القوات السورية عن المعتقلين لديها.

علي ديب في الأرز

بعد سيطرة القوات السورية على قرى البقاع المسيحية وعلى القرنة السوداء وضهر القضيب، تقدّمت فرقة مدرعة من عيون أرغش وانضمّت إلى الجنود المتمركزين في الغرفة الفرنسية على قمة ضهر القضيب.

بدأت الأخبار تتوضّح أكثر حول الانتشار السوري في الأرز، والمضايقات الكثيرة التي يتعرض لها العابرون على الطريق الى عيناتا، فسُجّل إنتشار مسلح كثيف للأهالي على التلال والجبال المحيطة بمدينة بشري، خاصة بعد أن تأكّد لهم أن الرائد السوري علي ديب المتّهم بمجزرة البقاع الشمالي وصل إلى الأرز.

فجر ٢٩ آب ١٩٧٨، نصبت القوات السورية حاجزاً على مفرق طريق المصعد الكهربائي المتفرّع من طريق الأرز - عيناتا، أخضع المارين لتفتيش دقيق وقاس.

في هذه الأثناء بدأت القوات السورية تركيز مواقعها في الأرز، واقتحمت مخفر الدرك وطردت عناصره الثلاثة بعد أن صادرت أسلحتهم ومسدّساتهم الأميرية، وطوّقت ثكنة الجيش اللبناني مدّعية أن عناصر من حزب الكتائب من دير الأحمر ومنطقة البترون اشتركوا في القتال ضد قوات الردع التجأوا إليها.

تعرّضت ثكنة الأرز للقصف وتلقّى ضبّاطها وجنودها إنذاراً بالإستسلام وتسليم الثكنة والاسلحة الى القوات السورية بموجب لائحة رسمية. استمرّ القصف لنصف ساعة، ثمّ طلب ضابط سوري من الملازمين اللبنانيين لحود جرجس ونبيل حسون تسليم الثكنة، فرفضا وأبلغا السوريين أنّ الثكنة لن تستسلم وستقاتل حتى آخر رجل، لأنّها ترمز الى كرامة الجيش اللبناني، ثمّ جرت اتّصالات بين الثكنة وقيادة الجيش في اليرزة، واستمرّ حصار الثكنة حتى حصول المواجهة في الشاليهات ومقتل النقيب السوري وإثنين من عسكرييه.

استفاق الأهالي المتواجدين في شاليهات الأرز على هدير المدرعات السورية، وبدأ الجنود تفتيش الشاليهات، وفيما كانت قوة سورية تهمّ بدخول شاليه ينام فيها فادي جعجع أحد المقاتلين الكتائبيين عاجلها الأخير بإطلاق النار ورمى قنابل يدوية فقتل ضابطاً وعنصرين وجرح نحو خمسة آخرين، وتمكّن من الفرار وهو مصاب.

ينقل بول عنداري في كتابه هذه شهادتي عن جوزيف سكر ما حصل في اشتباك الأرز، الذي يقول: «كنّا نحرس ليلاً في الأرز، ونختفي نهاراً، وكنّا ننزل الى بشرّي مشياً على الأقدام. ثمّ كان هجوم السوريين على ثكنة الأرز الذي كنّا نتوقّعه ونستعدّ له، وكان بإمكاننا القيام بمجزرة ضدهم، لكنني لم أكن مهيأً لإتّخاذ مثل هذا القرار بمفردي (كان سمير جعجع يعالَج من إصابته في مجزرة إهدن، ومفوّض الشمال جوزيف جعجع معتقل في سجن المزة السوري ونادر سكر مريض) وكان قراري الوحيد ألا يقتل أحد من فرقتنا. كانت نوبة الحرس حتى الساعة السادسة صباحاً، ويوم الهجوم، كنّا قررنا البقاء في الثكنة حتى الثامنة، ثم ارتأيت أن ننسحب، في حين بقي الرفيق فادي جعجع نائماً لأنه أرهق من السهر على مدى ليلتين ولم يعرف بالهجوم السوري... وفجأة وصلت اليه امرأة كانت تهتمّ بتحضير طعامه وغسل ثيابه وأيقظته قائلة: لقد وصل السوريون ... ولم يكن قد أفاق من غفلة النوم بعد حتى دخلوا عليه، فأخذ بندقية م ١٦ وأطلق النار فوراً فقتل الضابط السوري لحظة خروجه من الباب وألقى قنبلة يدوية على المدخل فقتل عنصرين آخرين، وتوجّه ناحية مغارة قاديشا وهو مصاب برجله ومعه رشاش الضابط السوري ومسدسه، وبقي مختبئاً في أغراس البندورة حتى المساء». (فادي جعجع كان شارك في معركة بلاّ وأبلى البلاء الحسن، وهو من العناصر الذين كمنوا للدورية السورية في منطقة بعفشا، ودمّر إحدى آلياتها بعبوة ناسفة).



فادي جعجع

بعد الاشتباك مع فادي جعجع ومقتل نقيب سوري (تردّد يومها في بشري أنه إبن شقيقة الرائد علي ديب) وعنصرين وإصابة آخرين أخذ

الجنود السوريون يطلقون النار في كلّ الإتّجاهات، ثم نقلوا قتلاهم والجرحى بسرعة، وأسروا بعض أبناء بشري الذين كانوا في الشاليهات كرهائن وبعض عناصر ثكنة الارز بعدما فكّوا الطوق عنها، وتراجعوا للتمركز حول الغرفة الفرنسية في ضهر القضيب، وبدأوا قصف المزارع المحيطة بالأرز قصفاً عنيفاً، ووصلت بعض القذائف إلى تخوم بشري.

هذه التطورات المتسارعة دفعت القيادات البشراوية للإجتماع في منزل الخوري فيليب شبيعة، وقرّروا تهدئة الوضع واتّفقوا على القيام بإتّصالات لمحاولة تجنيب منطقة بشري كوارث جديدة. زار الشيخ قبلان عيسى الخوري والدكتور جورج جعجع الرئيس سليمان فرنجية لمحاولة وضع حدّ لما يحصل، كما قصد بعبدا النواب حبيب كيروز وجورج سعاده وجبران طوق وبطرس حرب وطارق حبشي ووضعوا رئيس الجمهورية في حقيقة الوضع المأساوي في قرى وبلدات البترون وبشري ودير الاحمر.

خلال الاجتماع، استدعى رئيس الجمهورية المقدم سامي الخطيب الذي غادر على الفور جواً إلى البقاع لمعالجة الوضع المتدهور، كما استدعى وزير العمل وأعطاه توجيهاته للاسراع في تحرّك الهيئة العليا للاغاثة لنجدة المهجرين والمنكوبين.

اتّصل المطران رولان أبو جوده من البترون بالخوري فيليب شبيعة يسأله عن الوضع في منطقة بشري - دير الأحمر وإمكانية تفقّدها، فأعلمه أن القوات السورية تقطع طريق دير الأحمر في منطقة الأرز، وأنّ رئيس أساقفة طرابلس المطران أنطوان جبير والأب عاد أبي كرم نائب رئيس كاريتاس لبنان اللذين كانا يتفقدان المنطقة موجودان حالياً في منزله.

بعد وصول المطرانين أبو جوده وجبير من الشمال، عُقد اجتماع في الصرح البطريركي ترأسه البطريرك خريش وشارك فيه المطارنة نصرالله صفير وأبو جوده وضومط وجبير، والآباتي مخايل أبي فاضل رئيس الرهبنة الأنطونية وعدد من آباء الرهبنة اللبنانية والكهنة ومسؤولو كاريتاس والهيئة المارونية للتخطيط، وتقرّر أن تقوم الرهبنة المارونية باستقبال المهجّرين في أديرتها، وأن تتولى كاريتاس الإشراف على تنسيق المساعدات، فيما أصرّ البطريرك خريش على وجوب إبلاغ الكهنة بضرورة بقائهم في قراهم وعدم مغادرتها مهما كانت الظروف.

خلال الإجتماع، اتّصل البطريرك خريش بالرئيس سركيس ناقلاً إليه مجدّداً حقيقة المأساة في قرى البترون وبشري ودير الأحمر، التي خلت من الناس، وأوفد المطارنة صفير وأبو جوده وجبير والآباتي أبي فاضل والخوري شبيعة والأب سمير مظلوم إلى قصر بعبدا، ووضعوا الرئيس سركيس ووزيري الداخلية والشؤون الإجتماعية في حقيقة الوضع المأساوي في القرى التي زاروها، والتقوا النواب حبيب كيروز وجورج سعاده وبطرس حرب وطارق حبشي وجبران طوق.

المجزرة

مع حلول الظلام، وصل إلى بشري جنود الجيش اللبناني الذين احتجزهم السوريون في الأرز، وأخبروا اهالي بشري أن المدنيين ما زالوا محتجزين قرب الغرفة الفرنسية، والجنود السوريين متوتّرون جداً، فساد القلق لدى القيادات البشراوية والأهالي على مصير المخطوفين. في منتصف الليل، أمر الرائد السوري علي ديب قواته بقصف منطقة الأرز ومدينة بشري بشكل عشوائي، ما أدّى الى مقتل عزيز حنا ملحم طوق ومريم حدشيتي زوجة

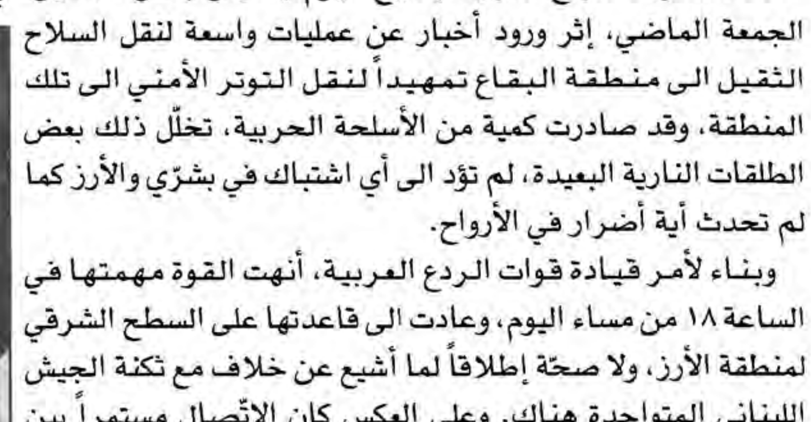


مريم حدشيتي وعزيز طوق استشهدا في القصف السوري

طوني جعجع، وأشعل السوريون حرائق عدة، وأناروا سماء المنطقة بالقنابل المضيئة، فاستعدّ شباب بشري والمنطقة للمواجهة، وتوزّعوا على مواقع قتالية ونصبوا الكمائن لصدّ أي محاولة سورية للدخول الى بشرّي، بعدما اعتبروا ان المواجهة واقعة لا محالة، وردّوا على القصف السوري بواسطة مدافع عيار ١٢٠ ملم و٨٢ ملم نصبت في خراج بلدة بقاعكفرا.

إثر ذلك، أصدرت قيادة قوات الردع العربية بياناً قالت فيه:

«قامت قوات الردع العربية بتاريخ اليوم بتفتيش بعض المنازل في منطقة الأرز اتماماً لعملياتها التي بدأت يوم الجمعة الماضي، إثر ورود أخبار عن عمليات واسعة لنقل السلاح الثقيل الى منطقة البقاع تمهيداً لنقل التوتر الأمني الى تلك المنطقة، وقد صادرت كمية من الأسلحة الحربية، تخلّل ذلك بعض الطلقات النارية البعيدة، لم تؤد الى أي اشتباك في بشرّي والأرز كما لم تحدث أية أضرار في الأرواح.


الأب شبيعة استوعب النقمة

وبناء لأمر قيادة قوات الردع العربية، أنهت القوة مهمتها في الساعة ١٨ من مساء اليوم، وعادت الى قاعدتها على السطح الشرقي لمنطقة الأرز، ولا صحّة إطلاقاً لما أشيع عن خلاف مع ثكنة الجيش اللبناني المتواجدة هناك. وعلى العكس كان الإتّصال مستمراً بين القيادتين المحليّتين حتى إنتهاء العملية».

فجر ٣٠ آب ١٩٧٨، كان أحد رعاة الماعز هارباً بماشيته بعيداً عن مرمى نيران المدفعية السورية عندما شاهد جثث الذين اختطفتهم القوات السورية مشوّهة ومرمية عند مفرق الطريق الترابية المؤدية الى غابة الأرز عبر «المحافير».

نقل الراعي خبر ما شاهده بسرعة الى أهالي بشري الذين استنفروا وقرّروا التحرك، فعمل الكهنة والمسؤولون على تهدئتهم ريثما يتأكّدون ممّا نقله الراعي. قرّر الأب فيليب شبيعة وبعض الكهنة، ومعهم طبيب مع سيارة إسعاف من المستشفى الحكومي التوجّه الى مكان وجود الجثث، وما أن وصلت سيارة الاسعاف إلى قرب ثكنة الجيش اللبناني حتى انهمر عليها الرصاص فنجا ركابها بأعجوبة وعادوا إلى بشري.

هنا قرّر الجميع المواجهة، وبدأت الاستعدادات لمهاجمة جميع المواقع السورية في جبة بشري.

في هذا الجو المأساوي الضاغط، وصل إلى بشري النائبان حبيب كيروز الذي كان نجلا شقيقه بين ضحايا المجزرة، وجبران طوق على متن طوافة عسكرية تابعة للجيش اللبناني، عُقد على الفور اجتماع حاشد في منزل النائب طوق، شارك فيه الشيخ قبلان عيسى الخوري وقيادات العائلات البشراوية.

حاول زعماء العائلات خلال اللقاء، تهدئة الأهالي شارحين خطورة الموقف، بعدما إطلع رئيس الجمهورية على وضع منطقة بشري، وخصوصاً إثر حادثة الخطف، وبعد الأنباء التي أفادت عن وصول الرائد السوري علي ديب (الذي ارتكب مجزرة القاع والفاكهة ورأس بعلبك وغزا قبل أيام عيناتا) الى الأرز، طالبين من الرئيس إتّخاذ الاجراءات اللازمة قبل وقوع أي حادث آخر...

ردّ رئيس الجمهورية على ملاحظات النائبين طوق وكيروز حول تصرّفات الرائد علي ديب، بأنّ هذا الضابط يتصرّف في بلاده سوريا كما يتصرف في لبنان، ولم ينجح رؤساؤه في وضع حدّ لتصرفاته الشاذة، وقال الرئيس سركيس: «لقد طلبت نقل الرائد ديب بعد مجازر البقاع الشمالي ومحاكمته ولم تستجب القيادة السورية لطلبي».

ونقل نائبا المنطقة تمنّيات البطريرك خريش والرئيس سركيس والرئيس شمعون والشيخ بيار الجميل بضبط النفس، وترك الإتّصالات السياسية تحاول معالجة ما يحصل، ثمّ وصل قائد منطقة الشمال في قوات الردع العقيد تامر الجوني يرافقه عدد من الضباط السوريين بينهم المقدم شحاده درة، واجتمعوا بالقيادات البشراوية. فأبدى العقيد الجوني

أسفه الشديد، وأسف القيادة العسكرية السورية لما حصل، بعدما استدعاه الرئيس سليمان فرنجية وطلب منه العمل على تطويق حادث الأرز، وطلب ضبط النفس قليلاً، ومحاولة تهدئة الأهالي ريثما يتمكن من كشف ملابسات ما حصل في الأرز، واتّفق على أن يتوجه الشيخ قبلان عيسى الخوري إلى البقاع الشمالي للإجتماع بالقيادة السورية، وتكفّل العقيد الجوني تأمين مروره على طريق عيناتا - الأرز.



هاني أسعد كيروز — أنطوني أسعد كيروز

كان قائد قوات الردع العربية سامي الخطيب سافر صباحاً الى دمشق وعاد الى القصر الجمهوري ليطلع رئيس الجمهورية على النتائج.

بعد ظهر ٣٠ آب، وفيما الجميع يعيشون حالة تأهب قصوى جهز العقيد تامر الجوني سيارتين عسكريتين من القوات السورية في الشمال رافقتهما سيارة إسعاف، وتوجّهوا الى مكان الجثث التي وجدوها مشوّهة ويصعب تمييز أصحابها، فتمّ نقلها وسط جو من الحزن والغضب الى مستشفى بشري الحكومي، ثمّ دفنت على عجل بسبب دقة الظروف وتفادياً لاي تجمعات قد تشنّج الأوضاع.



باخوس عبود — دوري اميل نكد

تبيّن أن الشباب المغدورين تعرضوا للتعذيب القاسي، اذ اقتلعت أسنانهم وآثار الجروح في أجسادهم كما تعرّضوا للحرق في مختلف أنحاء اجسادهم ثم داست مجنزرة القسم الأعلى من رؤوسهم...

المواطنون الستة هم: هاني أسعد كيروز وهو مهندس (كان تزوج قبل عشرة أيام)، شقيقه أنطوني أسعد كيروز (صعد الى الارز لقضاء عطلة نهاية الاسبوع مع شقيقه وهما نجلا شقيق النائب حبيب كيروز)، مطانيوس جرجس أبو شيبان طوق (كان يعمل ناطوراً لبعض الشاليهات في الارز)، باخوس عبود (من قرية رشعين قضاء زغرتا وسكان بشري منذ زمن، وكان يدير العمل في أحد فنادق اقربائه من آل كيروز)، دوري اميل نكد (من بقاعكفرا - طالب كان يستعد للامتحانات)، وجميل ميشال الاسطا كيروز (كان يتفقّد المزارعين في أرضه).



مطانيوس أبو شيبان طوق — جميل ميشال الاسطا كيروز

في المساء، وبعد دفن الجثث وامتصاصاً للنقمة العارمة، أصدرت قيادة قوات الردع العربية بلاغاً اعترفت فيه صراحة وللمرة الأولى بالتجاوزات التي ترتكب على يد الردع في لبنان. وجاء فيه: «الحاقاً ببلاغها المذاع بتاريخ ٧٨/٨/٢٨ حول تفاصيل المهمة العسكرية التي قامت بتنفيذها وحدة من قوات الردع العربية في منطقة الأرز، تعلن قيادة الردع العربية أنه نتيجة لما رافق تنفيذ تلك المهمة من ممارسات ونتائج لا تتوافق

مع الأوامر المعطاة لمثل هذه المهام، فقد أمرت قيادة القوات بإحالة المسؤولين عن هذه الممارسات الى هيئة التحقيق الخاصة التي أنشئت في شهر شباط من العام الحالي، وذلك للتحقيق في كلّ المواضيع المثارة حالياً حول تلك الممارسات وبالأخص موضوع ضحايا الأرز، وسيحال الى القضاء المختص كلّ من تثبت ادانته».

في مقابل البلاغ السوري، أصدر أهالي بشرّي بياناً بثّته الإذاعات ونشرته الصحف، دانوا فيه الممارسات الرهيبة التي قام بها الجيش السوري والتي تسيء الى العلاقات اللبنانية السورية، وسأل البيان: «من أمر تلك القوات بالتحرّك من منطقة الهرمل الى الشمال رئيس الجمهورية ام العقيد سامي الخطيب؟ وما هو الهدف من ذلك ومن جمع السلاح من القرى المسيحية؟

ان بشرّي لن تترك هذا المخطط يمرّ ولو اقتضى الأمر بأن يكون مصيرها مصير صور يوم واجهت الاسكندر».

وطلب البيان من الشرعية اللبنانية العمل على سحب القوات السورية التي ارتكبت مجازر الأرز وإخراجها من المنطقة، وملاحقة العناصر التي نفّذت المجزرة وإنزال أشدّ العقوبات بالمرتكبين، والعمل على تولي قوات أمن لبنانية مهمّة حفظ الامن في منطقة بشري.

صباح ٣١ آب، بعد اتصالات رئيس الجمهورية الياس سركيس مع المسؤولين السورين ونتيجة تهديدات الجبهة اللبنانية والانذار الذي وجهه قائد القوات اللبنانية الشيخ بشير الجميل بمهاجمة الجيش السوري وإرباكه في كل المناطق اللبنانية، واستنفار شباب بشري في المنطقة وخارجها، حضر الى بشري وفد من الضباط السوريين يترأسهم العقيد تامر الجوني ناقلين اعتذار القيادة السورية العليا واستنكارها الجريمة والتعازي الأخوية بالضحايا البريئة، ووضعوا إمكاناتهم بتصرّف بشري لتطويق الحادثة ووضع حدّ للتعديات.

رغم الأوامر التي أصدرها رئيس الجمهورية بسحب لواء علي ديب من الأرز الى البقاع، فإنّ الرائد السوري لم ينفّذ أوامر الرئيس الجمهورية، فطلب سركيس من قائد قوات الردع العربية العقيد سامي الخطيب التوجّه الى دمشق وطرح القضية أمام القيادة السورية مباشرة في محاولة جديدة لوقف علي ديب عند حده، فيما أعلن النائب جبران طوق أن ما حصل ويحصل في البلدات الشمالية ومنطقة دير الأحمر غير مبرر والوضع لم يعد يطاق، وهناك تخوّف من انفجار كبير لا أحد يعرف نتائجه. وتقرّر أن يقوم المطران رولان أبو جوده بتفقّد منطقة دير الأحمر، وتكفّل المقدم سامي الخطيب بتسهيل دخول سيارات المطران ومرافقيه، وعدم التعرض لهم.

معركة بريسات

بعد ظهر ٣١ آب، توتّر الوضع الأمني من جديد على إثر إطلاق نار على شاحنة لـ«قوة الردع العربية» في بلدة بريسات قرب حدث الجبة. وأعلنت مصادر أمنية في الشمال، أنه في الثانية الا عشر دقائق كانت شاحنة تموين لـ «الردع» تمرّ في بلدة بريسات قرب حدث الجبة في قضاء بشري، فأطلقت عليها قذيفة أضرمت فيها النار. وقد تبادل بعض عناصر الشاحنة الرصاص مع المسلحين الذين كمنوا الى جانب الطريق بين الأشجار.


اليانور فضول قاد معركة بريسات

وعلى الأثر، توجّهت مجموعة من «قوة الردع» الى المكان وطوّقته بحثاً عن المسلحين فوقع اشتباك بالأسلحة الخفيفة، ثمّ وصلت مجموعة ثانية تولّت تفتيش بعض المنازل والتي ظنّ أن المسلحين لجأوا اليها.

ويروي جورج شيبان: «أنه بناء على تعليمات من القيادات الكتائبية في منطقة بشرّي، تقرّر أن يكمن عدد من شباب المنطقة في وادي الطواحين بين بريسات وحدث الجبة لكي يمنعوا القوات السورية من الدخول الى بشري، ويضيف: «كان الجو متوتراً جداً، وبدأ الاشتباك إثر توجّه شاحنة سورية الى بيت الكتائب في بريسات الذي كنّا نتمركز فيه بقيادة اليانور فضول، ومعنا خليل صالح وريمون

البزعوني ولابا البزعوني وجورج دعبول. وفور وصول الشاحنة السورية، أطلق خليل صالح النار عليها وخرجنا من بيت الكتائب بعدما طلب منا اليانور الانتشار لدعم صالح، فدارت معركة بيننا وبين عناصر الشاحنة، فقتل أربعة جنود سوريين ولاذ الباقون بالفرار». ويتابع شيبان: «جاء بعض شباب المنطقة لدعمنا ومنهم طوني فضول من قنيور، مطانيوس عبد المسيح ومعه مجموعة من بقرقاشا وبعض شباب بشري وبقاعكفرا وحصرون. وقمنا بمهاجمة السوريين وأعطبنا دبابة لهم قصفها جورج دعبول بقذيفة ب٧ قرب كنيسة مار يوسف في الديمان. بعدها تدخّل الطيران السوري وقام بانزال قوات خاصة في حدث الجبة فهربنا بإتجاه بشري وتَخَفَّيْنا لفترة حتى طُلب منا ترك المنطقة، فبقينا في الأحراج لمدّة ثلاثة أيام، ثمّ سرنا بإتجاه تنورين ومنها الى بلدة ميفوق قضاء جبيل».

وبعد تعرّض الشاحنة السورية لإطلاق نار، تعرّضت المنطقة الممتدّة من حدث الجبة الى حصرون لقصف مدفعي استهدف بصورة مكثفة قرى بريسات والديمان، وأعقب ذلك إنزال جوي بواسطة تسع مروحيات نقلت ثلاث سرايا الى الجبال المحيطة بالحدث وبريسات، فهبطت السرية الاولى وراء فندق حتي في الحدث، والثانية فوق تلال أرز الحدث عند مفرق طريق تنورين – الجرد، والثالثة وراء بلدة بريسات، واستمرّت المدفعية السورية في قصف بريسات والقرى المحيطة بها، وليلاً انقطعت الكهرباء عن بشري وقرى القضاء.

فور إبلاغ الحادث لنائبي بشري وزعماء العائلات فيها، توجه النائب جبران طوق الى حدث الجبة واجتمع بقائد «الردع» في الشمال العقيد تامر الجوني في محاولة لتطويق الحادث ومنع تفاعله، ثم اجتمع ممثلو العائلات البشراوية وأصدروا بياناً جاء فيه:

«تعرضت شاحنة لقوة الردع العربية العاملة داخل قضاء بشري لحادث مؤسف أدّى الى مقتل بعض العناصر. ان نائبي بشري وزعماءها يستنكرون هذا الحادث الفردي وهم يسعون الى تطويقه منعاً لردود الفعل».

وكانت معلومات أمنية وردت إلى بيروت أفادت أنه قتل في الشاحنة جندي وجرح إثنان آخران، وأنّ طائرات هليكوبتر تابعة لـ«الردع» نقلت في السادسة مساءً تعزيزات الى بريسات وحدث الجبة لمساعدة القوة العاملة في المنطقة على تمشيط الأحراج المحيطة بالبلدتين، فاستدعى رئيس الجمهورية الياس سركيس عدداً من المسؤولين الأمنين وكلّفهم متابعة التطورات في منطقة جبة بشري. جرى الاتصال بالنائب حبيب كيروز الذي بقي في بشري يتابع التطورات المتسارعة مع النائب السابق قبلان عيسى الخوري اللذين طلبا ضرورة العمل السريع على وقف المأساة في قرى جبة بشري، خاصة بعد أن غادر المقاتلون ومعظم الرجال القرى والبلدات، وأصبحوا بمعظمهم تائهين في البراري والجبال، ولم يبقَ في المنازل سوى العجائز والنساء والأطفال، إضافة إلى معالجة قضية المعتقلين لدى القوات السورية الذين أصبحوا بالعشرات، وخوفاً من قيام أهلهم بردات فعل غير محسوبة.

في المساء أصدرت قيادة «قوة الردع العربية» البلاغ الآتي:

«في الساعة ١٣.٤٥ من تاريخ اليوم، لدى مرور شاحنة تموين مروراً روتينياً على الطريق بين حصرون وحدث الجبة في منطقة الشمال، كمن لها عدد من المسلحين وأطلقوا قذيفة مضادة للدروع «آر.بي.جي» فأصيبت الشاحنة وأصيب فيها جنديان بجروح. تدخلت قوات الردع العربية في المنطقة وطاردت المسلحين الذين فروا الى الجبال بعدما أطلقوا عيارات نارية أثناء هربهم، وقد توقفت المطاردة ليلاً، انّما ستتابع أجهزة قوات الردع استقصاءاتها لمعرفة الفاعلين وتوقيفهم أينما وجدوا، ولا صحة لما أذاعته بعض مصادر الأنباء من تبادل قصف وغيره والحال هادئة حتى ساعة إذاعة هذا البلاغ».

بعد معركة بريسات، بدأت القوات الخاصة السورية حملة تمشيط واسعة في قرى وبلدات الجبة، وجرى نسف وتدمير بيوت الكتائب في القرى التي دخلتها، منها بيت الكتائب في بريسات، كما تمّ تفجير منزل جوزيف وايليانور فضول في قرية قنيور ومصادرة سيارة اليانور فضول، إضافة إلى تعرّض الكثيرين إلى الإعتقال والمضايقات.

بقي الاستنفار قائماً بين شباب منطقة بشري، وتمّ إبلاغ العقيد تامر الجوني أن الأمور لن تعود الى طبيعتها إلاّ بعد انسحاب لواء الجيش السوري الذي يقوده علي ديب من المنطقة. وفي أول ايلول ١٩٧٨، عاد العقيد الجوني الى بشري حاملاً أمراً خطياً من القيادة السورية بإنسحاب علي ديب الى البقاع واستبداله بقوات سورية تابعة لقيادة الشمال،

واعداً بملاحقة مرتكبي المجزرة قضائياً مهما علت رتبهم العسكرية، وطلب الجوني سحب كل المسلحين من الاحياء وتخليهم عن السلاح ليتمّ استبدال القوات السورية في منطقة الارز بهدوء.

بعد الظهر، قامت قوة سورية جديدة بالتمركز في الأرز منطقة الشاليهات، وأقامت حاجزاً ثابتاً أمام مبنى النافعة، ثم قامت مجموعة سورية بالتمركز فوق ضهر القضيب قرب الغرفة الفرنسية.

ما وراء المعركة

انطلت الخدعة على أهالي بشري والمنطقة، وقامت القوات السورية بفتح طريق لقواتها بين الشمال والبقاع، وباتت طريق عيناتا الأرز الوحيدة التي تصل الشمال بالبقاع وببيروت الغربية بعد تحرير المنطقة الشرقية من القوات السورية إثر حرب المئة يوم. بعد هذه العملية. بدأت ملاحقة عناصر حزبي الكتائب والاحرار في منطقة بشري، فاضطرّوا الى الفرار الى مناطق جبيل وكسروان وبيروت، والالتحاق في ما بعد بالعناصر الشمالية التي لجأت الى دير القطارة في ميفوق.



بشرّي والأرز عام ٢٠٠٩

العاقورة

بدأت معركة جرود العاقورة بين الجيش اللبناني والجيش السوري بعد ظهر الأربعاء ٢٠ تموز ١٩٧٩ إثر بدء قوات الردع العربية بشقّ طريق تصل منطقة بعلبك بالمنطقة العليا في بلاد جبيل أي أفقا ولاسا وباقي القرى الشيعية.

كان الجيش السوري يريد طريقاً تؤمّن له ولآلياته الانطلاق ساعة يشاء بإتّجاه جرود جبيل وكسروان، ولم يكن هناك طريق من البقاع بإتّجاه المناطق الشرقية سوى طريق عيون السيمان المقفلة التي كانت تسيطر عليها القوات اللبنانية.

يقول العميد الركن بول فارس الذي كان يومها برتبة رائد وقائداً للكتيبة الخامسة في الجيش اللبناني المسؤولة عن قطاع جبيل: «هذا القرار اتّخذ من قبل الدولة اللبنانية بناء على طلب من السوريين ووافق عليه قائد الجيش ووزير الدفاع حينها العماد فكتور خوري وأوردته الجريدة الرسمية، ولم يكن متوقعاً ان يعترض أحد على شق هذا الطريق وكان مفترضاً أن تمرّ العملية بشكل طبيعي».



مع بدء عمل الجرافة السورية، أرسل الرائد فارس برقية الى قائد موقع صربا العميد جورج رعد تفيد بأن الجيش السوري يتقدّم من منطقة البقاع بإتّجاه جرود جبيل، على أن تحوّل البرقية الى قائد منطقة جبل لبنان العميد كلاّس ليرفعها الى العماد قائد الجيش وذلك بحسب الاصول المتبعة في المراسلات العسكرية، لكنّ فارس لم يتلق أي جواب.

في اليوم التالي، وإزاء استمرار الجرافة السورية في العمل، بعث الرائد فارس برقية ثانية وبالطريقة نفسها، وأضاف إليها أن الجرافة وصلت الى حدود القطاع الذي هو تحت إمرته. لكن قيادة الجيش لم ترد على البرقية الثانية أيضاً.

سمير جعجع، أسعد سعيد وبشير الجميل

أرسل الرائد فارس برقية ثالثة عاجلة تفيد بأن الجرافة تخطت حدود البقاع ودخلت الى قضاء جبيل من جهة الجرد وتستمر في العمل، لكن القيادة تجاهلت البرقية الثالثة. حينها اتّصل الرائد فارس بالعقيد جورج رعد في موقع صربا وأطلعه على التوغّل السوري فأجابه : «تصرّف كإنسان ناضج comme un grand garçon.» عندها قَرَّرَ مواجهة السوريين وإيقاف تقدم الجرافة.

حّرك فارس كتيبته الى منطقة الجرد وكانت تضمّ ملالات M113 وأسلحة متوسطة ومدافع هاون عيار ٨٢ ملم ومعزّزة بسرية مصفحات بنهارد وسرية دبابات Amx. ولحشد الدعم، زار فارس الرئيس كميل شمعون وأعلمه بقراره مواجهة السوريين في حال توغّلهم باتجاه جرد جبيل طالباً منه مساندة مدفعية الاحرار في اللقلوق (كان هناك مربض للمدافعية عيار ١٥٥ لنمور الاحرار في المنطقة) في حال حصول المواجهة. أبدى الرئيس شمعون كلّ تجاوب واتّصل بإبنه داني الذي اتّصل بدوره بمفوّض منطقة جبيل في الحزب أمين عيسى وبمسؤول ثكنة اللقلوق شامل روكز، وبالمسؤول عن مربض المدفعية شربل عبود طالباً من الجميع التنسيق مع الرائد بول فارس في



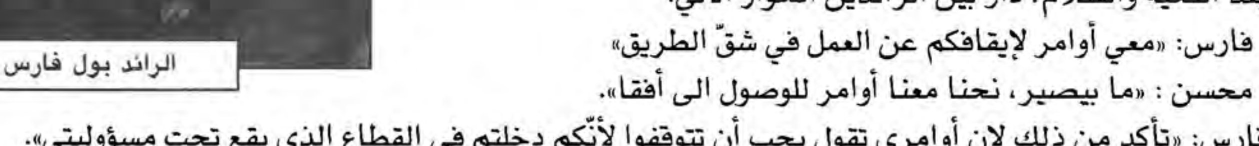
وحدات الدفاع تمركزوا في سحتا

حال حصول مواجهة مع الجيش السوري.

ثم اتصل فارس بسمير جعجع الذي كان أصبح قائداً لمنطقة الشمال الكتائبية المتاخمة لقضاء جبيل ووضعه في صورة الوضع، فحضر جعجع مع نحو ٣٠ عنصراً مزوّدين بمدافع عيار ١٢٠ ملم.

ثم وصلت مجموعة من القوات اللبنانية - وحدات الدفاع ادونيس بإمرة ايلي وازن (عباس) ومعه أسعد سعيد ونزار نجاريان وحنا العتيق وجوزيف ناصيف ومعهم دبابات شيرمن ومدافع ١٠٦ ملم وأسلحة متوسطة تمركزوا في سحتا والمنيطرة (كان يتمّ تحضير ثكنة نموذجية في أدونيس بإمرة عباس وتضم مضاد للطائرات ومضاد للدروع ومدرعات ومشاة، فكان أول لفيف تكتي في القوات اللبنانية).

بعد تحضير الجبهة، استقلّ الرائد فارس جيباً عسكرياً قاصداً الجرافة السورية التي تقوم بشقّ الطريق، فاستقبله الضابط السوري سليمان محسن (وهو علوي برتبة رائد، اشتهر على أنه أحد أبطال الجولان).



الرائد بول فارس

بعد التحية والسلام، دار بين الرائدين الحوار الاتي:

فارس: «معي أوامر لإيقافكم عن العمل في شقّ الطريق»

محسن : «ما بيصير، نحنا معنا أوامر للوصول الى أفقا».

فارس: «تأكد من ذلك لان أوامري تقول يجب أن تتوقفوا لأنّكم دخلتم في القطاع الذي يقع تحت مسؤوليتي».

الرائد السوري: «سأسأل قيادتي وأنت راجع قيادتك».

تنحّى الرائد فارس جانباً وتظاهر بمراجعة قيادة الجيش اللبناني، فيما اتصل الرائد السوري بقيادته وعاد ليقول: «نحن معنا أوامر لإكمال شقّ الطريق» ودعا فارس الى شرب القهوة والانتظار حتى يأتي العقيد قائد القطاع.

وصل العقيد السوري ومعه الرائد ابراهيم شاهين مساعد قائد منطقة البقاع في الجيش اللبناني فسأل العقيد السوري فارس: «شو القضية يا أخي؟» فأجابه: «معي أوامر بعدم السماح بإكمال شقّ الطريق». فردّ العقيد السوري: «نحن ما حدا بيقدر يوقّفنا». فقال فارس: «أنتم أصبحتم في منطقتنا ونحن نُكمل شقّ الطريق من هنا». فأجاب العقيد السوري: «ولو أنت شقيتها رح نرجع نخرّبها ونشقّها من جديد ونوصل لأفقا». فسأله فارس: «أنتم ستشقّون الطريق وتوصلون الجرافة الى أفقا ثم تعودون الى منطقة البقاع». فقال العقيد السوري: «نحن سنشّقها وندخل الى أفقا وبعدان بنشوف شو بنعمل».



عباس ارتدى ثياب الجيش لاستطلاع مراكز السوريين

هنا تدخل الرائد اللبناني ابراهيم شاهين وأخذ فارس جانباً وقال له: «يا بول شو بدك فيهم هودي (...) نحنا ما فينا عليهم، تركن يعملو اللي بدن ياه».

طلب فارس من الرائد محسن إعطاءه موجة جهازه ليتابع التنسيق معه ثم ودّع الضباط السوريين والرائد اللبناني وانطلق بإتّجاه العاقورة، وقبل وصوله اتصل عبر جهاز اللاسلكي بمساعده النقيب مسلّم وأمر ضباط الكتيبة بالتموضع في مراكز قتالية والبدء بتنفيذ خطة المواجهة التي كان قد وضعها.

تفقّد فارس أماكن الجنود والآليات، وارتدى عباس ثياب الجيش اللبناني وذهب مع الضباط لاستطلاع بعض المراكز.

ركّز سمير جعجع مدافع عيار ١٢٠ ملم في مجدل العاقورة، واستنفرت ثكنة نمور الاحرار في اللقلوق مع المربض الذي كان يضم أربعة مدافع عيار ١٥٥ ملم ومدفعين ١٣٠ ملم ومدافع ١٢٠ ملم.

وفيما كتيبة الجيش اللبناني تستكمل استعداداتها، قرّر سمير جعجع فتح النار لأنه شاهد تحركات سورية، فقال له الرائد فارس: «اتركني أنا أرتب الامور، فاذا فتحت أنت النار الآن سيكون الجيش السوري في مواجهة ميليشيا وتكون حجته أقوى، وعندها ستأتيني أوامر من الدولة بالوقوف مع الجيش السوري ضدّكم. اترك المواجهة تحصل بين جيشين فبذلك نحشر السوريين ونحشر الدولة اللبنانية».


دبابات AMX الفرنسية الصنع قصفت الجرافة السورية

اتصل فارس بالرائد السوري محسن على الموجة التي أخذها منه وسأله: «هل أتتك أوامر لإيقاف العمل بشقّ الطريق؟» فأجابه بالنفي فقال له: «أنا وصلتني أوامر من القيادة لايقافكم عن العمل وسأمنع الجرافة من إكمال شقّ الطريق، فضبضب العسكر من حولها لكي لا يسقط لكم الكثير من الضحايا». فقال الضابط السوري: «ما بيصير نحن مكمّلين».

أصدر الرائد فارس أمراً بقصف الجرافة فأصابتها إحدى مصفحات AMX بشكل مباشر ما أدى الى اعطابها، وأصيب سائقها وبترت ساقه.

بدأت الاشتباكات بالقذائف الصاروخية والسلاح المتوسط وكان السوريون على مرتفع أعلى من جنود الجيش اللبناني لذلك تمكنوا من إصابة ملالة M113 بصاروخ مباشر في سطحها، فاستشهد بداخلها الجندي نديم اسطفان وجرح الرقيب جورج كرم والجنديان سمعان سعادة وجرجي فياض، وسقط في صفوف القوات السورية عدد من القتلى والجرحى.

بعد نحو خمس ساعات، طلب السوريون من قيادة الجيش اللبناني وقف اطلاق النار فتمّ ذلك مساء.

مع حلول الظلام قام الرائد فارس بتبديل كل مواقع المصفحات والدبابات اللبنانية خوفاً من عملية غدر أو قصف صباحي مباغت، فوضع مصفحات البنهارد بين البساتين ووراءها ملالات M113 وغيّر مواقع العسكريين.

وعند شروق الشمس بدأت القذائف والصواريخ السورية تصبّ على المواقع التي كانت فيها آليات الجيش اللبناني قبل نقلها، ونجح مربض مدافع نمور الاحرار في تحقيق إصابات مباشرة في قافلة سورية كانت في طريقها من البقاع الى جرود العاقورة، فسقط عدد كبير من الاصابات، وكان يرمي على مدفع ١٥٥ ملم عساف مراد الذي كان يزوده ضابط من آل الديك بالاحداثيات، كما ضمّ المربض اضافة الى الآمر شربل عبود، شباب من بلدة جاج ومعهم زعيتر طنوس ويوسف سركيس وسيمون عبود ومن ترتج جورج شلهوب...

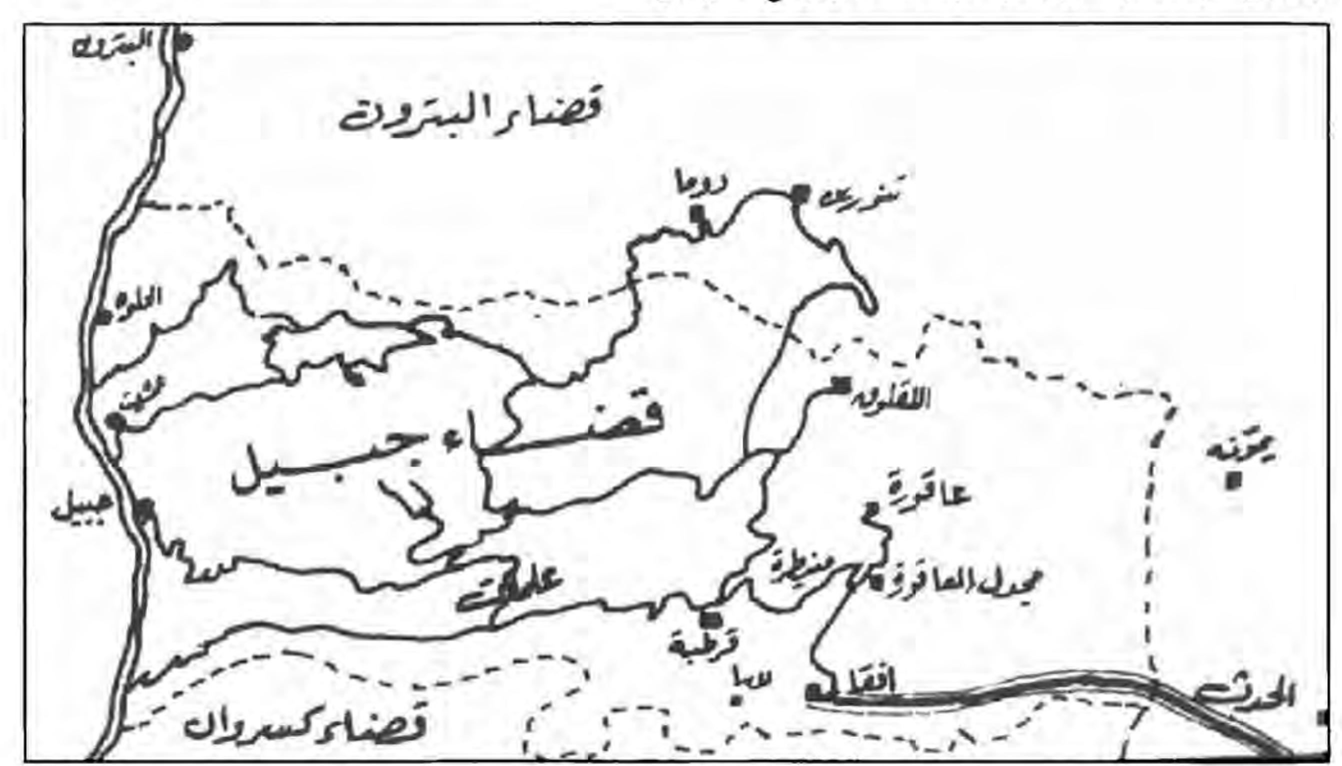
وشاركت دبابات الشيرمن ومدافع ١٠٦ ملم التي كانت مع وحدات الدفاع أدونيس في القصف وكذلك مربض مجدل العاقورة الذي نصبه شباب ثكنة القطارة.

استمرت الاشتباكات حتى حلول الظلام، ونجحت المدافع المختلفة في تحقيق إصابات مباشرة في الآليات السورية

ابتداء من مشارف اليمونة. ثم قامت طائرة ميغ سورية بطلعات استطلاعية فوق المنطقة، على إثرها طلب السوريون وقف اطلاق النار. في هذه الأثناء كانت قوة للجيش اللبناني تعرّضت لعملية التفاف في منطقة عين القطارة وادي ابو شقرا وتقدّمت قوة من قوات الردع السورية على طريق المرج الواقعة عند أول طريق أفقا، فتعرّضت بدورها لرمايات كثيفة من الجيش اللبناني تلاها تراشق مدفعي استمر حتى السابعة مساء ثم خفّ تدريجياً بعد إفشال محاولتي الالتفاف والتقدّم السوريتين.

وقرابة الساعة الثامنة، توقف التراشق المدفعي وحصلت رمايات بالأسلحة الرشاشة حتى الساعة التاسعة، ثم توقفت كلياً بعدما بدأ الاجتماع الذي عقد في شتورا بين ممثلين عن الجيش اللبناني وقوات الردع السورية.

في الليل، وتحسّباً لتكرار سيناريو اليوم السابق، وضع الرائد بول فارس خطة جديدة للمواجهة. فأرسل دبابات AMX الى أول الجرد عبر العاقورة لمفاجأة السوريين بقذائف مباشرة اذا تمّ خرق وقف اطلاق النار. لكن اتفاقاً بين القيادتين اللبنانية والسورية ثبّت وقف النار ومواقع الطرفين.



اليوم الثاني

في اليوم التالي، أعلنت مصادر عسكرية في الجيش اللبناني «ان جرافة لقوات الردع السورية تحركت صباح الاربعاء ٢٠ تموز بحماية قوة عسكرية لمتابعة شقّ طريق تربط منطقة بعلبك ببلاد جبيل، وكانت أعمال الشق بدأت قبل يومين الا انها لم تصل الى المنطقة التي يتمركز فيها الجيش.

ولما تخطّت الجرافة السورية والقوة العسكرية المساندة لها حدود بلاد جبيل واخترقت أول بلدة أفقا لجهة محلة المنيطرة، أجريت اتصالات بين قيادتي الجيش والردع لوقف التقدم، وتمّ الاتفاق على انسحاب الردع من المنطقة، على أن يتولى الجيش إكمال شقّ الطريق لان منطقة جبيل تابعة حسب الخطة الامنية لسلطته، الا أن الجرافة عادت قرابة العاشرة والربع الى العمل ووصلت الى سفح «عريض القطارة»، وأصبحت في مواجهة نقطة الجيش اللبناني. ولدى وصول الجرافة والقوة المساندة لها الى تخوم طريق أفقا – المنيطرة طلب آمر قوة الجيش وقف التقدم والتقيد بالاتفاق الذي تمّ في الصباح، لكن عملية الشق استمرّت ما أدى الى وقوع اشتباك بين الجيش وقوات الردع السورية تبعه قصف مدفعي شمل قرى الغابات والشربينة والمرج ومجدل العاقورة نتج عنه استشهاد الجندي في الجيش اللبناني نديم

اسطفان وجرح الرقيب جورج كرم والجنديين سمعان سعادة وجرجي فياض، كما أعطبت الجرافة السورية وأصيبت مصفحة للجيش اللبناني. وقرابة السادسة والدقيقة الخامسة، توقف الاشتباك وكذلك شقّ الطريق، لكن التوتر تجدد بعد ساعة».

من جهتها أصدرت قوات الردع السورية بلاغاً جاء فيه : «في أثناء قيام مفرزة تابعة لقوات الردع العربية بشقّ طريق عسكرية عائدة الى أمن القوات بين حدث بعلبك والمنيطرة، تعرّضت لاطلاق نار من مسلحين من جهة الشمال، فردّت على النار بالاسلحة المناسبة وأسكتت مصادرها».

الى ذلك، أوردت تقارير أمنية انه في اليوم التالي أي «صباح الخميس ٢١ تموز ١٩٧٩ تجددت الاشتباكات بين وحدات الجيش اللبناني وقوات الردع السورية في جرود العاقورة بعدما انهار وقف اطلاق النار الذي توصّل اليه الجانبان ليل الاربعاء، ودارت اشتباكات عنيفة بين مواقع الجيش ومواقع السوريين استخدمت فيها الأسلحة الثقيلة ومدفعية الدبابات، وشمل القصف العاقورة واللقلوق وقرطبا ومزرعة السياد ويانوح والغابات وشبّ حريق في أحراج المنطقة، وردّ الجيش بقصف مواقع السوريين بالمدفعية والدبابات. ونتج عن القصف مقتل امرأة تدعى دنيز كرم (٦٧ عاماً)، وجرح السيدة قمر الزمان هاشم وبطرس جليل الهاشم وفايز الهاشم واصابة منازل الشيخ اسعد جرمانوس المدعي العام العسكري ومراد يوسف الهاشم وبطرس جليل الهاشم ورشيد فؤاد الهاشم ورشيد شبل الهاشم وعبده عساف ياغي وانطوان كرم وكنيسة السيدة الرعائية.

أما إصابات الجيش اللبناني فكانت حصيلتها استشهاد الرقيب يحيى شرف الدين وجرح الملازم فكتور شقير، الجندي محمد علو، الجندي فياض مشيك، الرقيب خليل الخوري، الجندي محمود يونس، العريف جورج كيروز، الجندي محمد طالب، الجندي طوني ايوب، الجندي علي مرتضى، الجندي بولس كيزاني حال بعض المصابين كانت خطرة ونقلوا الى مستشفى سيدة المعونات في جبيل، فيما لم تعرف الاصابات في صفوف قوات الردع السورية».

زيارة بشير وبيان قيادة القوات

توجه قائد القوات اللبنانية الشيخ بشير الجميل الى منطقة العاقورة برفقة بعض أركان قيادته وتفقّد الوضع فيها والتقى الشيخ أسعد جرمانوس وممثّلين عن الاهالي ثم عاد الى بيروت ورأس اجتماعاً استثنائياً لقيادة القوات اللبنانية لمناقشة الأوضاع في منطقة العاقورة صدر عنه البيان الاتي:

«مساء يوم الخميس ٢١- ٦- ١٩٧٩، عقدت قيادة القوات اللبنانية بهيئتيها مجلس القيادة والأركان العامة اجتماعاً استثنائياً في مكتب قائدها بشير الجميل في مبنى المجلس الحربي الكتائبي وبرئاسة وحضور الاعضاء.

وفي أثناء الاجتماع، الذي خصّص بكامله للأوضاع العسكرية في جرد العاقورة والذي دام ٤ ساعات، وصل وفد من أهالي العاقورة والمنطقة عرض على القيادة تفاصيل الهجمات الشرسة التي تشنّها القوات السورية


بشير تفقد الجبهة

على نقاط تمركز الجيش اللبناني، والقصف السوري الذي تتعرض له القرى الآمنة في المنطقة، وأوضح الوفد موقف الأهالي الذين يعاونون الجيش في تصدّيه للسوريين.

وبعدما غادر الوفد الاجتماع، تابعت القيادة أعمالها واستمعت الى تقارير الأجهزة المختصة حول الأوضاع في المنطقة، واتّخذت في شأنها القرارات والاجراءات اللازمة، وحدّدت القوات اللبنانية موقفها على الوجه الآتي:

- تقوم القوات السورية بعدوان موصوف ضد منطقة آمنة وضد الجيش اللبناني الذي يتولى أمن هذه المنطقة وفقاً للتوزيع الامني.
- ان قيادة القوات اللبنانية تعتبر ان الدفاع عن جرود العاقورة هو من مهمات الجيش اللبناني الذي يحظى بتأييد الأهالي المادي والمعنوي والبشري.
- ان قيادة القوات اللبنانية تعلن مساندتها لموقف الجيش اللبناني ولاهالي المنطقة في دفاعهم البطولي ضد العدوان السوري.
- ان قيادة القوات اللبنانية تؤكد ان ممارسة الدولة سلطتها لا تتجزأ وان وجود الجيش اللبناني في عين الرمانة هو كوجوده في جرود جبيل».

الاتصالات والاتفاق

أثناء المعارك جرت اتصالات بين قيادتي الجيش اللبناني وقوات الردع السورية لوقف اطلاق النار والتوقف عن شقّ الطريق، الا أنّها لم تسفر عن نتائج سريعة، فتوجّه قائد قوات الردع العربية العقيد سامي الخطيب الى دمشق موفداً من رئيس الجمهورية الياس سركيس ليبحث مع المسؤولين العسكريين السوريين في ظروف المواجهات وملابساتها وخلفياتها، وأطلع الخطيب السوريين على معلومات السلطة اللبنانية مبدياً حرصها على وقف التدهور الذي لن يكون في حال تفاقمه لمصلحة لبنان أو سوريا، وطلب منهم وقف شق الطريق موضوع النزاع لأن ذلك يسهل حل الامور.

وفيما هو يُطلع رئيس الجمهورية الياس سركيس على مضمون محادثاته في سوريا وردّها الايجابي على طلبه، تجدّدت الاشتباكات ناسفة كل ما اتفق عليه في دمشق، فتوجه الخطيب من جديد الى سوريا لإكمال البحث والعودة بحل نهائي، وأسفرت محادثاته الثانية عن تفاهم جديد لوقف اطلاق النار. على اثر ذلك عقد اجتماع عسكري لبناني سوري حضره عن الجانب اللبناني قائد منطقة البقاع المقدم الركن ميشال خوري ومساعده الرائد ابراهيم شاهين وضابط المعلومات في المنطقة النقيب حسين الخطيب، وعن الجانب السوري رئيس جهاز الاستخبارات في القوات السورية العقيد محمد غانم والمقدم حكمت ادريس والرائد سليمان محسن، نتج عن هذا الاجتماع تثبيت وقف النار والاتفاق على خطة للتنسيق بين الجيشين اللبناني والسوري في جرود جبيل تقضي بالآتي:

- تمركز سريتين من الجيش اللبناني في منطقة تقع بين أفقا والعاقورة والطريق التي شقت حديثاً وشهدت الاشتباكات.
- اكمال شقّ الطريق على عاتق الجيش اللبناني.
- انسحاب قوات الردع السورية الى مناطق تحفظ أمن عناصرها.
- بدء التنفيذ فجراً بإشراف لجنة من القيادة العسكرية اللبنانية في البقاع ولجنة عسكرية لبنانية من قيادة جبل لبنان، ولجنة من قوات الردع السورية.

ما وراء المعركة

تحت عنوان «أسباب الاشتباكات بحسب مصادر الحكم» كتبت جريدة النهار في ٢٢ تموز ١٩٧٨:

«ان الهدف المعلن وهو وصل القرى الشيعية في جرود جبيل بالبقاع لا يستحقّ كل ما نتج عنه وذلك للأسباب التالية:

الطريق المشقوقة لا تصل البقاع الا بقرية أفقا التي فيها نحو ٤٠٠ شيعي، في حين أن معظم الشيعة في قضاء جبيل يسكنون في الوسط، وهم سيضطرون الى المرور وسط القرى المسيحية، هذا اذا كان الهدف من هذا الطريق تجنب

هذا المرور.

منذ بداية الحرب العام ١٩٧٥، لم يتعرض شيعة بلاد جبيل لأي محاولة تهجير على رغم حصول حوادث فردية.

ان وصل أقلية مذهبية موجودة في منطقة معينة بمنطقة تقطنها أكثرية مذهبية مماثلة تلافياً للأخطار، سابقة خطيرة جداً تصنّف في خانة التقسيم، اذ قد يشجع ذلك أقليات مذهبية في مناطق أخرى على مطالبة مشابهة، الامر الذي يفرز اللبنانيين أكثر فأكثر ويشجّع على التقسيم وعدم الاختلاط، وحل قضية الأخطار يكون عن طريق إزالتها بتدابير حازمة لا بالقوطبة عليها بحلول ذات انعكاسات سلبية على المدى البعيد.

تتخوف السلطة من أن يستعمل فريق معين هذه الطريق للصدام مع فريق آخر بسبب ثارات معروفة، الامر الذي يوقع البلد في مجازر جديدة.

السلطات اللبنانية، ورغبة منها في حل المشكلة وعدم التورط في صدام لا يخدم مصلحة الأشقاء السوريين ولا مصلحة الجيش، أبدت استعدادها لإكمال شقّ الطريق على نفقة وزارة الاشغال العامة، فقوبل طلبها بالرفض من الجانب السوري».



مدير المخابرات جوني عبدو ورئيس الأركان منير طربيه

أثناء معركة العاقورة كان قائد الجيش العماد ڤكتور خوري في فرنسا، فحلّ مكانه اللواء منير طربيه رئيس الاركان الذي غطّى الرائد بول فارس وكذلك فعل مدير المخابرات جوني عبدو الذي أرسل الى فارس مدير الأمن العسكري النقيب حروق لإبلاغه أنه في حال طالب السوريون بمحاكمته، فسيتم تسفيره الى خارج البلاد، لكن فارس أصرّ على البقاء في لبنان مهما كانت الظروف.

بعد انتهاء الاشتباكات، قامت الصحافة المحلية والأجنبية بجولة في جرود العاقورة بتنظيم من شاب اسمه رودولف ينتمي الى حزب الوطنيين الأحرار، وأجرت مندوبة النهار مي كحالة، بعدما قامت بجولة في المنطقة، مقابلة مع الرائد بول فارس وسمحت قيادة الجيش ومدير المخابرات جوني عبدو لوسائل الاعلام بالإطّلاع على ما حدث ليظهر للسوريين ان الرائد بول فارس تصرّف بمبادرة فردية وليس بقرار من القيادة تفادياً لوقوع أي ملامة على السلطات اللبنانية.

لم يتخطَ الجيش السوري المنطقة التي حصلت فيها الاشتباكات العام ١٩٧٩، وبقي فيها حتى انسحب من لبنان نهائياً في العام ٢٠٠٥، ما يثبت إنه بإمكان ضابط بمستوى قائد كتيبة أن يغيّر في مسار الامور على الأرض رغم أن السوريين كان معهم غطاء شرعي من الدولة اللبنانية لشقّ الطريق والوصول إلى افقا وربما السيطرة على العاقورة وقرطبا....

قرى جبيل الجردية عاشت يوماً ملتهباً

تجددت الاشتباكات بين الجيش و"الردع" فسقط قتيلان و١٨ جريحاً بينهم ضابط لبناني

تجددت الاشتباكات امس في جرود العاقورة بين الجيش اللبناني و"قوة الردع" بعدما انهار وقف اطلاق النار الذي توصل اليه الجانبان ليل الاربعاء الماضي. وقد بدئت الاشتباكات امس بالقصف، اذ تراشق الطرفان بالاسلحة الثقيلة ومدفعية الدبابات. وشمل القصف عددا من القرى المجاورة للعاقورة، الامر الذي ادى الى اصابة بعض المدنيين وتهدم عدد من المنازل.

ونتج عن القصف الذي بدأ منذ الصباح واستمر متقطعا حتى المساء، مقتل رقيب في الجيش اللبناني وامرأة، وجرح ١٨ شخصا بينهم ضابط وستة جنود لبنانيين. ولم تعرف الاصابات في صفوف "الردع".

وكان الوضع انتكس قبل الظهر في المنطقة القريبة من بلاد جبيل. وقالت مصادر عسكرية لبنانية انه في التاسعة والربع صباحا تقدمت جرافة لـ"الردع" تصحبها قوة عسكرية على الطريق بين حدث بعلبك وافقا وباشرت شقها بعدما كانت توقفت ليل الاربعاء. وبعد نصف ساعة حصلت مواجهة بين الجيش والقوة التي تحمي الجرافة استعملت فيها القذائف المدفعية والرشاشات الثقيلة ومدفعية الدبابات. وقصفت "قوة الردع" المنطقة التي يتمركز فيها الجيش فسقطت قذائف في العاقورة واللقلوق وقرطبا ومزرعة السياد وباموح والقبابات. ثم توسعت دائرة القصف وتعرضت مواقع "الردع" لقذائف من المدفعية والدبابات. ونشب حريق في احراج المنطقة.

في هذه الاثناء كانت تجري اتصالات بين قيادتي الجيش و"الردع" لوقف اطلاق النار والتوقف عن شق الطريق. الا ان هذه الاتصالات لم تسفر عن نتائج سريعة. وقالت مصادر عسكرية ان القيادتين تفاهمتا على وضع حد للتدهور، الا ان [illegible]

القرى الآمنة في المنطقة. واوضح الوفد موقف الاهالي الذين يعاونون الجيش في تصديه للسوريين.

وبعدما غادر الوفد الاجتماع تابعت القيادة اعمالها واستمعت الى تقارير الاجهزة المختلفة حول الاوضاع في المنطقة واتخذت في شأنها القرارات والاجراءات اللازمة.

وحددت قيادة القوات اللبنانية موقفها على الوجه الآتي:

١ - تقوم القوات السورية بعدوان موصوف ضد منطقة آمنة وضد الجيش اللبناني الذي يتولى امن هذه المنطقة وفقا للتوزيع الامني.

٢ - ان قيادة القوات اللبنانية تعتبر ان الدفاع عن جرود العاقورة هو من صلاحيات الجيش اللبناني الذي يحظى بتأييد الاهالي [illegible] والعاقل والمنزل.

٣ - ان قيادة القوات اللبنانية تعلن مساندتها لموقف الجيش اللبناني ولاهالي المنطقة في دفاعهم البطولي ضد العدوان السوري.

٤ - ان قيادة القوات اللبنانية تؤكد ان ممارسة الدولة سلطتها لا تتجزأ وان وجود الجيش اللبناني في عين الرمانة هو كوجوده في جرود جبيل".

الخطيب زار دمشق مرتين بعد تجدد الاشتباكات

اجتماع عسكري مشترك أوقف النار واتفاق على لجان للتنسيق والتنفيذ

الجيش يتولى شق طريق بعلبك - جرد جبيل

الاشتباكات بين وحدات من الجيش اللبناني و"قوة الردع" في جرود بلاد جبيل تجددت امس ولم تتوقف نهائيا - كما قيل - الا في المساء. وقد طغت اخبار هذه الاشتباكات على كل ما عداها، وجعلت كبار المسؤولين في الحكم من مدنيين وعسكريين وفي "قوة الردع" يصبون كل اهتمامهم على معالجتها ويبذلون كل مساعيهم لتطويق ذيولها والحؤول دون حصول مضاعفات تكون لها انعكاسات في حال استمرارها على الوضع اللبناني برمته (راجع ص٢و٦).

وتوجه صباح امس الى دمشق قائد "الردع" العقيد سامي الخطيب الذي اوفده رئيس الجمهورية، فاجتمع هناك بعدد من المسؤولين العسكريين وبحث معهم في ظروف الاشتباكات وملابساتها واطلعهم على معلومات السلطة اللبنانية في هذا المجال، وابدى حرصها على وقف التدهور الذي لن يكون في حال تفاقمه في مصلحة احد، خصوصا لبنان وسوريا.

وذكرت مصادر مطلعة ان الخطيب طلب وقف شق الطرق موضوع النزاع، لان ذلك في رأي السلطة اللبنانية يسهل حل الامور، وانه عاد من دمشق بجواب ايجابي.

وفور عودته اطلع رئيس الجمهورية على نتائج محادثاته في دمشق. لكن تجدد القتال بعد الظهر اظهر ان تطبيق ما تم التوصل اليه في دمشق لم يتم على الارض.

ولتدارك التدهور توجه العقيد الخطيب ثانية بعد الظهر الى دمشق لاكمال البحث في الموضوع وللوصول الى حل نهائي، كما قالت مصادر قريبة من قيادة "الردع".

اجتماع عسكري مشترك

ويبدو ان محادثات بعد الظهر اسفرت عن تفاهم آخر لوقف النار. ولترجمة هذا التفاهم عمليا عقد في المساء اجتماع عسكري لبناني - سوري حضره عن الجانب اللبناني قائد منطقة البقاع المقدم الركن ميشال خوري ومساعده الرائد ابرهيم ناهير (?) وضابط المعلومات في المنطقة النقيب حسين الخطيب، وعن الجانب السوري رئيس جهاز الاستخبارات في القوات السورية العاملة في نطاق "الردع" العقيد محمد غانم والمقدم حكمت ادريس والرائد سليمان محسن.

واجريت في بداية الاجتماع اتصالات اسفرت عن وقف النار، ثم تناولت المحادثات وسائل تثبيت وقف النار. واتفق المجتمعون، على حد قول مصادر عسكرية، على وضع خطة للتنسيق بين الجيش و"الردع" في جرود جبيل تقضي بالآتي:

١- تمركز سريتين من الجيش اللبناني في منطقة تقع بين افقا والعاقورة (مناطق الاشتباكات والطرق التي شقت حديثا).

اكثرية مذهبية مماثلة تلافيا للاخطار المعروفة سابقة خطيرة تصب في خانة التقسيم. اذ قد يشجع ذلك اقليات مذهبية في مناطق اخرى على مطالب مشابهة، الامر الذي يضرر اللبنانيين اكثر فاكثر ويشجع على التقسيم وعدم الاختلاط، وحل قضية الاخطار يكون عن طريق ازالتها بتدابير حازمة لا بالقوطبة عليها بحلول ذات انعكاسات سلبية على المدى البعيد.

٤- تتخوف السلطة من ان يستعمل فريق معين هذه الطريق للصدام مع فريق آخر بسبب ثارات معروفة، الامر الذي يوقع البلد في مجازر جديدة.

واشارت المصادر القريبة من الحكم الى ان السلطة رغبة منها في حل المشكلة وعدم التورط في صدام لا يخدم مصلحة الاشقاء ولا مصلحة الجيش، ابدت استعدادها لاكمال شق الطريق على نفقة وزارة الاشغال العامة فقوبل طلبها بالرفض.

الازمة الوزارية

هذا عن الامن، ماذا عن الازمة الوزارية؟

المصادر الحكومية اكدت ان اجتماع الرئيسين الياس سركيس وسليم الحص ووزير الخارجية السيد

العماد خوري انتقل الى باريس بعد محادثات "مفيدة" في الامم المتحدة

نيويورك - "النهار":

غادر امس العماد فيكتور خوري وزير الدفاع اللبناني نيويورك الى [illegible] للعماد خوري حضرها السفراء العرب في الامم المتحدة وجرى خلالها تبادل للآراء. ورد الوزير اللبناني

معركة قنات

كان الحلم متمازجاً بالحقيقة في بلدة قنات في جبة بشري، والشباب يحلمون بالحرية القصوى والمستقبل الجميل، ثم فجأة اشتعل كل شيء. فبعدما كانت قنات مثالاً للطمأنينة والفرح والاستقرار، تحوّلت جبهة مشتعلة وبيوتاً قرميدية مدمّرة بالكامل تنهشها أصوات المدافع والراجمات وصرخات المقاتلين، وأرغم سكانها على هجر مراتع الطفولة ومنازل الأجداد فلم يبقَ سوى الحنين ودخان يعزف النشيد الجنائزي، ودموع تُذرف بصمت وخوف ورعب ولوحة درامية لثلاثة عقود مضت تروي قصة الذين نزفوا واستشهدوا بعدما عاشوا ملاحم الموت والبطولة.

احتار أهل قنات بين المحافظة على الحجر والهروب أو المواجهة غير المتكافئة مع السوريين، احتاروا بين ترك بلدتهم وبيوتهم للقوات السورية والاكتفاء بمشاهدتها بقلب مكسور من قصر حردين ومرتفع نيحا أو المواجهة الموجعة المدمرة ووفاء قسطهم للعلى.

تغلب الخيار الثاني ووقعت المعركة التي دمرت قنات وأرهقت القوات اللبنانية وأوجعت الجيش السوري الذي تكبّد عدداً كبيراً من الضحايا.

التمهيد للمعركة

جغرافياً تتصل قنات جنوباً مع مزرعة بني صعب ونيحا وحردين وشمالاً مع بيت منذر وبلاّ، وغرباً مع برحليون ومتريت وشرقاً مع أرز الحدث وحدث الجبة. كانت قنات وسط كماشة سورية من الغرب والشمال والشرق، والمنفذ الوحيد كان مزرعة بني صعب- نيحا - حردين .

كان هدف القوات السورية السيطرة الكاملة على محافظة الشمال من خلال السيطرة على بلدة قنات وبلدتي دير بلاّ وحلتا قضاء البترون، فيكتمل الطوق على حردين وتلّة نيحا الاستراتيجية، اذ تصبح معزولة ومطوّقة تمهيداً لسقوطها الذي سيؤدي، ان حصل، الى سقوط بلدة دوما ومن ثم تنورين فيصبح الشمال بالكامل تحت السيطرة السورية.

قنات ونيحا وجبل حردين عام ٢٠٠٩



في تشرين الاول ١٩٨٠، أقام حزب الكتائب مركزاً معززاً في بلدة مزرعة بني صعب قضاء بشري، وهذه البلدة تربط منطقة بشري بقضاء البترون وتقع في واد بين قنات وحردين.

بدأ شباب قنات يحرسون بلدتهم ليلاً من دون لفت الأنظار. وفي أواخر تشرين الثاني ١٩٨٠، كان ميشال أنطون ومعه طوني الخازن في إحدى نقاط الحراسة على كوع الكروم في أول قنات جهة حدث الجبة، فخطر في بال طوني ان يصعد ليلاً الى منزله القريب من مركز قوات الردع السورية بهدف الاستحمام. حاول ميشال أنطون ثنيه لكنه أصرّ وقال له «لن أغيب أكثر من ربع ساعة» وكان طوني يحمل سلاحه الفردي ويرتدي بذة عسكرية.

بدأ القلق يساور ميشال انطون بعدما طال غياب الخازن أكثر من الوقت المحدد، ثم سمع بعد نحو ساعة صوت والدة طوني تنادي شقيقها المختار وتصرخ لأن السوريين اعتقلوا ابنها.

انسحب ميشال من مركز الحراسة ونزل الى الساحة وأبلغ الشباب بما حدث، فطلب بدوي ضومط (أبو طوني) تغيير كلّ مواقع الحراسة خوفاً من أن يضغط السوريون على طوني الخازن فيضطر الى ارشادهم الى نقاط الحرس.

احتُجز طوني في مركز السوريين على الطريق العام، وصباح اليوم التالي طلب شباب قنات من مختار البلدة يعقوب الخوري فرنسيس التفاوض مع السوريين لاطلاقه، فصعد المختار الى المركز وعاد ومعه سلاح طوني الخازن وأبلغ الشباب أنه أصبح في منزله.

بعد نحو ساعتين، وصل الى مركز مزرعة بني صعب أستاذ المدرسة عسّاف خالد نقولا وأبلغ الشباب ان طوني الخازن مصلوب على الحائط في مركز السوريين في قنات ويتعرض للضرب والتعذيب، فقرّر الشباب الصعود لانقاذ طوني وخصوصاً بعدما تردّدت معلومات انه سينقل الى السجون السورية. انطلقت الساعة الثالثة بعد الظهر مجموعة من مزرعة بني صعب ضمّت ابو طوني وميشال أنطون وجوزيف أنطون وسركيس طنوس وجان البدوي وبطرس سابا ومخايل سابا وأنطون سليم وفارس الطحّان وشليطا الطحان ويوسف الطحان وأنطون كسّاب وادمون كسّاب وقزحيا كسّاب وسميح خوري ونبيل بدبا من الكورة ... بداية، سيطر الشباب على بعض المتاريس المحيطة بمركز السوريين والتي يضع السوريون حراساً فيها فقط في الليل، ووصلوا الى منزل طوني الخازن البعيد ٥٠ متراً عن المركز السوري، حيث كان النقيب السوري وهو من آل جريج وأحد مساعديه يتفاوضان مع المختار وبعض وجهاء القرية. اقتحم الشباب المنزل وصوّبوا سلاحهم الى الضابط السوري ونزعوا سلاح مساعده وهدّدوه بالقتل او بإختطافه اذا لم يتمّ اطلاق طوني الخازن، حاول الضابط السوري كسب الوقت وحفظ ماء الوجه طالباً من الشباب الانصراف على أن يطلق طوني في ما بعد، لكنّه رضخ وأعطى أمراً لعناصره بإطلاق الخازن بعد أن تلقّى صفعة من جوزيف أنطون (الزيز)، فاستلم الشباب الخازن وعادوا به بسرعة الى مزرعة أبي صعب.

طوني الخازن



المجموعة التي حررت الخازن

لم يهضم السوريون هذه الاهانة، وتدخل وجهاء قنات ومنهم رئيس البلدية سركيس نهرا والخوري فؤاد بربور والاستاذ حنا نقولا لتبريد الأجواء وحصل اتفاق مع السوريين قضى بألا يصعد شباب قنات الى بلدتهم بمظاهر مسلحة والا ينزل الجنود السوريون أو أي مسلحين آخرين الى قنات بسلاحهم.

فجر ٥ شباط ١٩٨٠، تفاجأ جان البدوي أحد شباب الكتائب في قنات بعناصر غريبة من السوريين وأعوانهم على طريق البلدة، وطلب أحدهم منه رفع يديه والتوقف، فقفز من حائط عال وركض مسرعاً الى منزله، حمل

سلاحه ولاقى السوريين ومن معهم الى ساحة البلدة، وأطلق باتجاههم بعض الرشقات وألقى قنابل اليدوية. انضم اليه شقيقه ميشال (مايك) وشاب آخر يدعى سمعان سمعان كان يوم زفافه، وبدأوا يتنقّلون من مكان الى آخر لايهام الداخلين الى البلدة ان عدد المقاتلين كبير، وشارك بعض أهالي القرية في الاشتباك ومنهم يوسف الخازن (ابو خازن) وفهد جعجع، وقام آخرون بتأمين الذخائر، واستمرّت المواجهة نحو ثلاث ساعات متواصلة، الى أن قام ميشال البدوي بقرع جرس الكنيسة، فظنّ السوريون ان الكتائب سيطروا على البلدة، فانسحبوا الى الطريق العام فيما أوقف بعض الكتائبيين الذين كانوا في طريقهم من مزرعة بني صعب تقدمهم بإتجاه قنات ظناً منهم ان السوريين سيطروا على القرية.



عائلة البدوي وبدا من اليسار جان وميشال

بعد انسحاب السوريين، استنفر شباب البلدة ثم صعد سمير جعجع الى قنات في جيب أبيض ومعه سيارتين، وطلب من بعض شباب القرية البقاء في منازلهم وأخذ الحيطة والانتباه من دون مظاهر مسلحة.

الشرارة

طلب السوريون برسالة أبلغوها الى مختار البلدة يعقوب فرنسيس والكاهن فؤاد بربور من شباب قنات ترك البلدة لانهم «لا يريدون عناصر كتائبية الى جانبهم». فكان جوابهم: «لا يمكن لاحد إجبارنا على ترك بلدتنا». وبعد ذهاب وإياب المختار والكاهن أكثر من مرة، أبلغ شباب قنات المفاوضين بأن عليهم التحدث مع قيادة المنطقة والدكتور سمير جعجع في القطّارة، ثم حصل اتفاق جديد مع السوريين بواسطة لجنة ضمّت وجهاء قنات، ومختار بشري من آل طوق، ورئيس مخفر حدث الجبة في الدرك عبدالله ادريس قضى بأن لا يسمح السوريون لأي مسلّح بالنزول الى قنات مقابل عدم تواجد أي كتائبي من خارج قنات داخل القرية.

بعد ظهر الثلاثاء ١٢ شباط ١٩٨٠، وفيما مختار بشري ورئيس مركز الدرك في طريقهم من القطارة الى حدث الجبة لابلاغ القيادة السورية موافقة سمير جعجع على الاتفاق، التقيا بآلية بي تي ار سورية محمّلة بالعناصر، ولدى سؤالها عن وجهتها، أجاب الضابط «الى قنات»، وعند وصولها الى كوع الكروم في أول نزلة قنات، فتح الشباب النار عليها ورموها بقذيفة ب٧ فسقط قتلى وجرحى بين عناصرها.

كانت مرابض المدفعية والدبابات السورية جاهزة تنتظر ساعة الصفر وهي تعرّض الدورية للكمين. فإنصبّت القذائف على البلدة وبدأت معركة قنات التي كانت تعجّ بأهلها. كان نحو ثلاثين عائلة من أبناء البلدة في الكروم (منطقة قصوبا وهي تبعد عن وسط قنات نحو كيلومتر بإتجاه حدث الجبة) يشذبون العريش، منعهم القصف والانتشار السوري من العودة الى منازلهم، لذلك هربوا باتجاه حدث الجبة وبريسات.

وشرح النقيب حسن في الجيش السوري للصحافيين ما جرى قبل الاشتباكات وبعدها وذلك أثناء زيارة المطران الياس نجمة الى قنات بعد أيام من انتهاء المعركة وقال الضابط السوري: «المنطقة كانت في هدوء كبير حتى وصلتنا معلومات عن تمركز مسلّحين غرباء في أنحاء مختلفة من قنات ومزرعة بني صعب، وقيل لنا بأنّ هؤلاء المسلحين أقاموا بعض المتاريس في البلدة كتهيئة لافتعال معارك، وكنّا نشاهد الامدادات وهي تصل الى المسلحين ومنها

شاحنات عسكرية، أبلغنا إستياءنا من هذه المظاهر المسلحة لمختار قنات، وقلنا له بأن هذه البلدة تقع ضمن حماية قوات الردع العربية، والمواطنين أخذوا يشكون لنا من تواجد المسلحين الغرباء بينهم».

وأضاف النقيب حسن: «بعد ذلك كلفنا مختار قنات ومختار بشري بإجراء المفاوضات مع المسلّحين والطلب اليهم الانسحاب من البلدة خلال مهلة يومين، بعدها جاء الأول ليقول لنا بأن المسلحين انسحبوا من البلدة وان كل شيء أصبح طبيعياً، ولكي نتأكد من ذلك أرسلنا دورية مع شاحنة الى داخل قنات، لكن عند وصولها الى قرب المدرسة فُتحت النيران عليها من كافة الاتجاهات حيث قتل أربعة من افرادها على الفور وجرح الباقي وتعطلت الشاحنة».

وتابع الضابط السوري: «على الرغم من هذا الحادث استمرت المفاوضات لتأمين سحب جثث عناصر الردع، الا أنّ الجواب جاء برفض المسلحين، عندها وجهنا انذاراً عبر المختار طلبنا فيه من الأطفال والنساء والشيوخ ترك البلدة، وتركنا لهم حرية اختيار الجهة التي يودّون الذهاب اليها. بعد انتهاء الانذار، فتحنا النيران مباشرة على مراكز تواجد المسلحين المتمركزين بجانب الكنيسة وداخل المدرسة، ولم يكن بعدها أمامنا سوى خيار واحد هو تمشيط قنات من المسلحين».

تقدّم السوريون بعد ظهر الثلاثاء لسحب القتلى من الآلية المدمرة أول مدخل قنات، لكن شباب وأهالي القرية أقاموا بقيادة رئيس البلدية سركيس نهرا وأبو طوني خطّ انتشار وصدّوا محاولة تقدمهم.

قام قسم من رجال وشباب قنات ليل الثلاثاء بنقل الذخائر من مزرعة بني صعب حملاً وعلى ظهور الدواب لأن الطريق كانت قطعت نهاراً بالنيران السورية.

الأربعاء ١٣ شباط ١٩٨٠، تطوّر التراشق الى قصف مدفعي بدأ قرابة الثالثة والنصف فجراً، واستمر حتى الخامسة صباحاً، ثمّ قامت القوات السورية بهجوم من جهة حدث الجبة مهّدت له بقصف عنيف من الدبابات، ودارت اشتباكات عنيفة استخدمت فيها قذائف المدفعية، وذكرت معلومات ان التراشق أدى الى سقوط ٣ قتلى وعدد من الجرحى بينهم ثلاثة جنود من الردع، وأصيب جريس سليم الخوري من كفرحزير في المدرسة إصابة قاتلة إذ اخترقت رصاصة رأسه، فحمله الشباب على باب خشبي الى مزرعة بني صعب وتركوه تحت الثلج ظناً منهم انه استشهد. لكنه نقل بعد ساعات الى مستشفى سيدة المعونات في جبيل واستعاد الحياة. توقّع الاطباء الذين عالجوا جريس ان يصاب بعاهة او بشلل وإعاقة دائمة كفقدان النظر او النطق او السمع، لكنّه نجا بأعجوبة وأكمل حياته طبيعياً بعد عمليات جراحية عدة وتزوج وأنجب أربعة صبيان على الرغم من أنّ وضعه الصحي استثنائي. ويتذكّر جريس الخوري: «كان عمري ١٨ سنة عندما صعدنا الى قنات في اليوم الأول، كان القصف عنيفاً جداً وبمختلف أنواع الأسلحة. أصبت برصاصة متفجّر في رأسي بعد ساعات من وصولنا، وكنت في موقع المدرسة الذي كان يتعرّض بشكل متواصل لقصف الدبابات والأسلحة المتوسطة. كنّا ١٢ عنصراً أذكر منهم: فوزي الراسي، بيار ويوسف خوري وجرجس شلهوب وشليطا من قنات...». ويتحدث الخوري ببطء شديد بسبب إصابته: «لا أذكر كيف أصبت، ولكن أخبروني أنّ نخاعي خرج من رأسي وظنّوا أنّي استشهدت وأبلغوا القيادة بذلك، وحملوني بعدما ربطوني على باب خشبي الى المزرعة، ثمّ اكتشفوا أنّني أتنفّس... فنقلني جرجس شلهوب بسيارة ستايشن الى مستشفى سيدة المعونات في جبيل، وبقيت ثلاثة

٢٠٠٩ | ١٩٨٠

جريس سليم الخوري الذي عاد من الموت

جريس مع أحد أبنائه

أشهر في الـ«كوما»، ثمّ ستة أشهر أخضع لعمليات جراحية. وأنا الآن أعاني من شلل في يدي وقدمي اليمنى وأرى بعين واحدة».

بدأت الامور في قنات تتطور نحو الاسوأ وبدأ السكان الذين لا يمكنهم حمل السلاح بالنزوح عن القرية. (كان البرد قارساً وكان أسبوع مرفع، وفي هذا الاسبوع يذبح الاهالي النعاج والماعز للاحتفال بقطع الزفر، فانقطعت الكهرباء عن المنازل بفعل القصف وتلفت اللحوم).

عنف القصف المدفعي وراحت القذائف تتساقط بغزارة في البلدة وعلى سفوح القرى المجاورة، ووصلت القذائف الى قرية عين عكرين في قضاء الكورة، وأعلن عن إقفال المدارس الرسمية والخاصة في دوما وجرود البترون وبعض مناطق الكورة، وخصوصاً أميون وجوارها، وذلك حتى إشعار آخر. استمر التراشق عنيفا حتى الثانية بعد الظهر ثم توقف حتى الخامسة.

وتحدّثت معلومات شبه رسمية عن وقوع ثلاثة قتلى و١٤ جريحاً حسب معلومات حزبية.

وأوردت مصادر كتائبية أنه «عند الثامنة من صباح الاربعاء ١٣- ٢- ١٩٨٠، تجدّد القتال بين أهالي بلدة قنات والمهاجمين ، وقد تمكّن الأهالي من تدمير حاملتي جنود تدميراً كاملاً، واستطاعوا الاستيلاء على شاحنة مليئة بالذخائر والأجهزة اللاسلكية.

استشهد أحد أبناء البلدة وجرح أربعة. الوضع العسكري ممتاز.

الساعة الثانية عشرة ظهر الاربعاء قصفت قنات قصفاً مركّزاً استمر حتى الرابعة بعد الظهر وعاود السوريون محاولة دخول القرية فصُدّوا وتكبّدوا خسائر فادحة في الأرواح».



فؤاد أبو ناضر وأسعد سعيد

دخول وحدات الدفاع

تلقّت عمليات المجلس الحربي الكتائبي ليل الثلاثاء الاربعاء ١٢- ١٣ شباط برقيات عدّة تفيد بأن معارك عنيفة تدور في بلدة قنات قضاء بشري وان الجبهة تحتاج الى مساندة. أرسل الشيخ بشير الجميل أسعد سعيد وفؤاد ابو ناضر الى حردين لاستطلاع الامر، والتقيا سمير جعجع ومسعود الحويك ونادر سكر... بعدما انتقلت غرفة قيادة عمليات جبهة الشمال الى نيحا، وتقرر دعم قنات بوحدات مركزية.

طلب المجلس الحربي من قائد وحدات الدفاع - ادونيس حنا العتيق التوجه مع عناصره الى قنات بكامل الاسلحة والعتاد.

ووسط عاصفة ثلجية، انطلقت ست ملالات من كسروان باتجاه جرود البترون، وفي كفرحلدا توقف الرتل بسبب دبابة شيرمن

هدر فيها حائط الطريق، فاضطرت الملالات الى سلوك طريق ترابية في سهل بساتين العصي فغرقت ثلاث منها في الوحول ما اضطر الشباب الى قطرها ببعضها لاكمال المسير.

وصلت القافلة الى نيحا بعد نحو أربع ساعات من السير وانقسمت الى مجموعتين، المجموعة الصغيرة مكثت مع الملالات بينما إنطلقت المجموعة الكبيرة مع حلول الظلام الى قنات تحت الثلوج والامطار، وضمت ٢٥ عنصراً بقيادة حنا العتيق ونائبه ريشار نجاريان ومعهم عدنان (ابو مارون) وشارل حبيقة وحنا ابراهيم وجوزيف زينة ولطوف يزبك وبوب عواد وجان خوري (البوي) ومتري وعبد الساتر وسليمان الدرزي وبيار فرح وكابي عيد وعصام خوري ونديم كرم وتوفيق الحلو ونصري راشد وجورج قصاص ...

ويروي الحنون: «وصلنا الى البلدة ليلاً سيراً على الاقدام في طقس عاصف نحمل كامل عتادنا، ولم يكن لدينا اي معلومات عن وضعية قنات ولا عن أماكن انتشار السوريين، فكان كلّ شخص يتدبر الامور بحسب قدرته. كان السوريون يحاولون دخول قنات وعلى جميع المحاور. اجتمعت ليلاً بابو طوني المسؤول عن شباب قنات، فشرح لي وضع البلدة واخبرني ان موقع المدرسة هو الأخطر والصمود فيه صعب جداً إذ أن كلّ الهجمات تمر عبره، وهو يتعرض بشكل متواصل لقصف الدبابات من مطلّ برحليون ومن جهة حدث الجبة.

استطلعنا الوضع ليلاً قدر الامكان، ووضعنا خطة دفاع مستديرة حول البلدة وانشأنا وحدات مقاومة في كلّ الاتجاهات، ووجدت أنه بالامكان حماية المدرسة من مبنى المنشرة وحماية المنشرة من المدرسة.

تمركز ريشار نجاريان مع مجموعة في المدرسة، وتولّيت مع مجموعة أخرى مركز المنشرة وأصبحنا نبدّل. واتفقنا ان يُعلمنا ريشار بأي هجوم على المنشرة بواسطة رصاص خطاط يطلق من مسدس، وأعلمه أنا بأي هجوم باتجاه المدرسة بالطريقة نفسها، فيتسنّى لكلٍّ منا الانتشار لصد الهجوم. كانت المنشرة تتعرض للرمايات المباشرة من الامام، وكان في طابقها السفلي مستودع اعتمدناه لوضع اللوجستية ولحماية الشباب فيرتاح قليلاً مَن يكون بحاجة للراحة أو للأكل ...وبذلك أصبح هذا الطابق موقع قيادة صغير لمحور الجبهة».

في غضون ذلك، كان وصل الى قنات من مغاوير الشمال سليمان واميل الحويك وسهيل وغسان منسى ومن نيحا يوسف ديب وجرجي أبو رزق ويوسف المطران وحارس المطران وكمال جرجس كمال، ووصلت مجموعة من كوسبا مع فريد جريج إضافة الى قزحيا كساب وادمون كساب (الشاوول) وانطون كساب (الجاموس)، ومن مزرعة بني صعب مخايل ابي جبرايل وايلي جبرايل ويوسف الطحان كما حضر فوزي الراسي ويوسف خوري وبيار خوري من عين عكرين.

ويروي أحد المقاتلين أسعد عريضة: «في اليوم الثاني للمعركة طلب مني الدكتور جعجع الصعود الى قنات، فانطلقنا من نيحا سيراً على الاقدام وسط تساقط الأمطار والثلوج، وصلنا الى قنات مرهقين مبتلين وكانت البيوت والمحلات فارغة تماماً الاّ من أصوات القذائف والرصاص وهدير المجنزرات السورية على مشارفها. نزعت بذلتي العسكرية لتنشيفها على مدفأة تعمل على الحطب وارتديت بذلة رياضية لازمتني طيلة ثلاثة أيام. صعدت الى المنشرة



وحدات الدفاع – أدونيس


دانيال القبوط أعطب الدبابة الأولى

لمساعدة حنا العتيق، فالتقيت بدانيال القبوط الذي سبقني الى البلدة فقال لي: «ولو يا أسعد بتتركنا وحدنا نموت هون». فأجبته «يخرب بيتك يا أنا يا إنت بدّو يموت». وكان دانيال تمكّن في اليوم الاول من إعطاب دبابة سورية على طريق ترابية باتجاه المدرسة واطلق عليها قذيفة ب ٧ من سطح المبنى فأصابها مباشرة في برجها فاحترقت وسدّت الطريق على باقي الدبابات».

يضيف أسعد: « تمركزت في جهة المنشرة المطلّة على مزرعة بني صعب وهي مع المدرسة أخطر المراكز والاقرب على السوريين، حيث كان لـ«حنا العتيق» والوحدات الفضل الاول في صمود قنات ستة ايام».

بدأت الهجمات السورية على قنات بوتيرة تصاعدية، فإتّخذ المقاتلون قراراً بإخلاء المدنيين وكلّ من لا يمكنه المساعدة، وتحوّلت قنات ومحيطها الى ساحة مواجهات ضارية ودامية.

قسّمت قنات الى نقاط وزّعت عليها المجموعات، وفي كل نقطة بعض شباب البلدة. وكان مركزا المنشرة والمدرسة هما الأخطر حيث وحدات الدفاع -أدونيس، فيما تولّى سليمان الحويك ومن معه الدفاع عن نقطة البستان، واستلم هاني رحمة مركز مار يعقوب من جهة برحليون، وأسعد عريضة الجهة المطلّة على نبع مار شليطا. وكان هناك مجموعة من شباب قنات مع أبو طوني في غرفة العمليات في منزل جورج زيدان تتحرّك لدعم المراكز التي تتعرض لهجمات، وتمركزت وحدات المغاوير فور وصولها في الساحة ومحيطها.


حنا العتيق تمركز في الموقع الأصعب

صباح يوم الخميس ١٤ شباط، تفاقم الوضع وازداد عنفاً، وتركّزت الاشتباكات العنيفة في محيط مبنى المدرسة الرسمية وبعض المنازل، وشنّت القوات الخاصة السورية مدعومة بالدبابات هجوماً كبيراً، وقامت بمحاولات اقتحام استعملت فيها أسلحة رشاشة ومدفعية ثقيلة، فأعطبت مجنزرة سورية قصفها بوب عواد بمدفع كارل غوستاف (صنع سويدي عيار ٩٠ ملم يرمي قذائف ضد الأفراد وقذائف سمبك ضد الآليات)، وابتكر الشباب طريقة جديدة لمواجهة الدبابات اذ كانت تطلق على الدبابة السورية خمس قذائف آر بي جي في وقت واحد.

كانت أصداء القذائف تسمع حتى طرابلس، وسقطت قذائف كثيرة في القرى المجاورة لقنات ومنها نيحا ومزرعة بني صعب وحردين في قضاء البترون...

وروى الحنون ما حصل في موقعي المدرسة والمنشرة : «فجر الخميس كنت مع متري وسليمان درزي نستطلع من أين ترمي الدبابات، فشاهدت لمع اطلاق قذيفة دبابة من مرتفعات برحليون، ولا شعورياً غمرت متري ودرزي ورميتهما أرضاً، فانفجرت قذيفة الدبابة في عتبة الباب فوقنا، وتطايرت الحجارة والحصى. تفحّصنا بعضنا والحمدللّه لم يصب أحد منّا، فأدركت عندها خطورة الموقع الذي نحن فيه. بعد دقائق معدودة انهمرت قذائف الدبابات بغزارة وأعلمني ريشار برصاص الخطاط، أن هناك هجوماً باتجاهنا، فتوزعنا ثلاث مجموعات. التحمت مجموعتان بالقوات الخاصة السورية، وقامت المجموعة الثالثة بإطلاق قذائف الآر بي جي وقذائف مدفع كارل غوستاف على الدبابات السورية في مواجهة المدرسة، وبعد نحو ثلاث ساعات، تراجع السوريون تاركين نحو عشرة قتلى في أرض المعركة لم يتمكّنوا من سحبهم.

الساعة الثالثة بعد الظهر حصل هجوم آخر على المدرسة والمنشرة مماثل تماماً لهجوم الصباح تحت غطاء من قذائف الدبابات صديناه بالطريقة نفسها، وأطلقت نحو ١٥ قذيفة كارل غوستاف بشكل متواصل، وكذلك فعل بوب عواد، بعدما أوقفنا تقدّم السوريين مع دباباتهم، سألني الشباب اذا كنت أصبت لان أذني كانت تنزف دماً... وما زلت حتى اليوم لا أسمع فيها بشكل جيد. وكذلك كانت حال بوب».

ويروي أسعد عريضة: «بعد ظهر الخميس، وعقب صد الهجوم الصباحي العنيف، كنت مع حنا العتيق ننتقل من المنشرة الى محيط المدرسة وسط الضباب الكثيف، فتفاجأنا بجندي سوري على بعد أمتار منّا، وبسرعة البرق عاجله حنا برشق فأرداه وطلب مني التّراجع وتنبيه الشباب في المنشرة ان هناك توغلاً سورياً من جهة المدرسة، فيما بدأ هو مواجهة العناصر المتقدمة ونشبت معركة ضارية لكننا تمكّنا من صدّ الهجوم كما حصل صباحاً».

وروى مصدر كتائبي أحداث يوم الخميس قائلاً: «الخميس ١٤- ٢- ١٩٨٠: بدأ السوريون قصف قنات من الساعة السادسة صباحاً... وجرت محاولة لاقتحام البلدة ووقعت اشتباكات بالاسلحة الخفيفة والمتوسطة ورد المهاجمون.

الساعة الحادية عشرة، قصفت الدبابات منازل قنات من تلة برحليون، وتساقطت القذائف على البلدة والقرى المجاورة (نيحا، مزرعة بني صعب، حردين) من مرابض مدفعية السوريين الموجودة في عابا وكفرحزير وقنيور وغيرها».

العتيق ونجاريان بين ملحمة ومتري

ليل الخميس فرغت قنات تماماً الاّ من المقاتلين، وصعد الحنون وأبو طوني سيراً الى مركز القيادة في نيحا وشرح الحنون للحكيم ولنادر سكر وضع الجبهة وأنّهم صدّوا هجومين كبيرين، وطلب العتيق من الدكتور جعجع العمل على الحد من فعالية الدبابات السورية في أعالي برحليون لأنّهم يضايقونهم كثيراً ويجب معالجتهم بمدافع مباشرة واذا تعذر ذلك قصفهم بمدافع الميدان. فوعده الدكتور جعجع خيراً آملاً ان تتمكّن دبابات شيرمن من المشاركة في المعركة.

عاد الحنون وابو طوني الى قنات يحملان ما استطاعا من ذخائر وبدأ التحضير لصدّ هجمات اليوم التالي.

يصف أبو طوني بلدته كما كان يشاهدها كلّ ليلة وهو في الطريق من والى نيحا: «كانت قنات تبدو من شدّة القصف ورغم الثلوج والصقيع كتلة لهب تلتهمها النيران ويغطيها الدخان ولم ينجو منها أي بيت من الإصابة، فيما أصوات القذائف تحجب أي صوت آخر،كان هذا المنظر يتكرّر في عيوننا كل ليلة... كنّا نصل الى قنات ونبدأ التحضير للهجوم الجديد الذي يمهّد له بقصف عنيف وينطلق صباحاً وعلى كل المحاور».



مدرسة قنات دمرتها الدبابات

ويتابع أبو طوني: «ان أخطر وأصعب المواقع في البلدة كانت المدرسة والمنشرة حيث كانت المعارك في غاية العنف والشراسة وبشكل مستمر لذلك كان صمود هذين الموقعين أساس صمود قنات ستة ايام، وكان الحاجب الاسمنتي الذي أقيم على الطريق العام فوق قنات لحماية السيارات من الانزلاق، يساعد الجنود السوريين كثيراً ويشكّل لهم متراساً يستخدمونه للقصف والقنص على مواقعنا...كما أن منظر القتلى السوريين في محيط المدرسة كان لا يوصف».

تدخّل المغاوير


الدبابات السورية على مرتفعات برحليون

صباح الخميس، نزل فؤاد ابو ناضر وأسعد سعيد الى بيروت وأطلعا الشيخ بشير الجميل على ما يجري في الشمال، فقرّر ارسال وحدات اضافية الى قنات.

رنّ الهاتف في ثكنة المغاوير، فأجاب جورج تركي (الكاردينال) وصرخ: «أين هو الشاف جو لينزل بسرعة له اتّصال مهم وضروري».

سمع الشباب جو اده يتحدث مع بشير ويسأله: «أين هي قنات»... «اوكي اوكي باش نحن بحاجة لنحو ساعة لابلاغ الشباب والانطلاق».

أقفل جو سماعة الهاتف وبدأ يصرخ «بسرعة يا شباب يجب ان ننطلق بسرعة الى قرية في الشمال اسمها قنات». لم يكن احد من الشباب يعلم اين تقع قنات.

تولى سليم تنكرة بدراجته النارية ابلاغ عناصر المغاوير خارج الثكنة وبعد نحو ساعة انطلق نحو اربعين عنصرا معهم فؤاد ابو ناضر واسعد سعيد وجو اده وابراهيم الضاهر.

ويروي أسعد سعيد: «كانت طريق نهر الموت تشهد زحمة سير خانقة واستغرق اجتياز بضعة كيلومترات أكثر من ساعة، واضطررنا الى قطع الطريق وسارت القافلة عكس السير الامر الذي أثار تذمّر المواطنين الذين لم يعلموا ان نخبة من الشباب تتجه لمواجهة الموت والنار وسط الثلوج في قنات، فيما الناس في بيروت يعيشون حياة طبيعية، تسوّق وعجقة وكأنهم في بلد آخر.

استمر سير الآليات نحو ثلاث ساعات ونصف، وبعد عناء وصلت القافلة الى نيحا التي انتقل اليها مركز قيادة جبهة الشمال وسط طقس مثلج عاصف وقارس».

شرح الدكتور جعجع لشباب المغاوير الوضع في قنات وما جرى وان «السوريين طلبوا اخراج شبابها منها عندها رفضنا فحصلت المعركة».

ويروي ابراهيم حداد مشاهداته: «بعدما وصلنا الى نيحا، أعطونا شاباً ليدلنا على الطريق، وحملنا ما نستطيع من عتاد وسلاح، وانطلقنا الساعة الثامنة مساء وسط ظلام دامس فظهرت علينا قنات كتلة لهب وكأنّ هناك مهرجان كبير للالعاب النارية وأصوات القذائف تمتزج بصوت الريح ولون الثلج.

وصلنا الى أول منازل القرية، وتقدّمنا الى بيت قديم هو مركز قيادة الجبهة، فوجدنا شاباً مصاباً ينام على ظهره ووضعوا على بطنه ثلج لايقاف النزيف حتى يتم نقله على ظهر بغل، فقلت للشباب: «هذا نموذج لما قد نتعرض له بعد الاصابة فالجريح قتيل، لذلك علينا ان نأخذ كل حذرنا في عملية الدفاع عن البلدة من دون بهورة وتهور».

اضاف ابراهيم: «انتقلنا بسرعة الى مواقعنا في ساحة قنات ولم يكن هناك متاريس نحتمي فيها. خلعنا أحد أبواب المحلات، فصودف أنه محل لبيع مواد البناء وفيه حديد وأكياس ترابة أقمناها متراساً امام الباب، تكفّلت الامطار والثلوج بجعله متراس باطون مصبوب. وضعنا عليه رشاش تغاريف وهو كان أول رشاش من هذا النوع في القوات اللبنانية وغنمناه من القوات السورية في معركة بارتي الاشرفية، وتولّى الرمي عليه سليمان الحاج موسى الذي لم يكن يسمح لاحد غيره باستعماله.

فتحنا شباك محل آخر لجهة الشرق لاقامة متراس فيه فكان دكاناً (هو دكان ماري أرملة ايليا ايليا في وسط الساحة). كنّا جائعين ومنهكين فوجدنا شوكولا وبسكويت ومعلبات، وكنّا نسجل ما نأخذ على دفتر، على أن ندفع لصاحب الدكان الثمن عندما تتوقف المعارك. كتبنا مثلاً علبة طون غسان، علبة سردين المر، شوكولا ابراهيم حداد

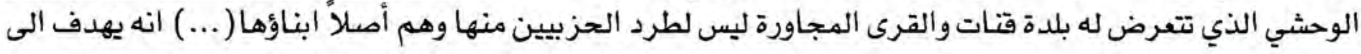
... ولكن مع الاسف لم نستطع تسديد ثمن ما أخذناه فالسوريون استولوا على كل شيء».

ويتابع حداد: «كان شباب قنات يرشدوننا الى المواقع ويلبّون طلباتنا، وعلمنا ان رفاقنا - وحدات الدفاع ادونيس - في المنشرة والمدرسة، وكنا نسمع تحركات السوريين في محيط قنات ليلاً وسط دوي القذائف وقضينا الليل بإقامة المتاريس تمهيداً لهجوم الصباح».

المغاوير أمام نصب شهداء قنات بعد ٢٥ سنة

ليل الخميس أصدر «تجمع شباب بشري» بياناً دعا فيه الدولة «الى اتخاذ مبادرة بانزال الجيش في المنطقة وسحب السوريين منها».

وجاء في البيان: «الشعب المسيحي في الشمال يتعرّض لأبشع أنواع التنكيل والابادة. القرى المسيحية في قضاء بشري تقصف. بلدة قنات قرية مسيحية من قرى قضاء بشري تتعرض للتدمير بالدبابات السورية وبالمدافع الثقيلة. انها تدمر على من فيها علماً ان أكثر سكّانها هم من الشيوخ والنساء والاطفال(...) القصف السوري



الوحشي الذي تتعرض له بلدة قنات والقرى المجاورة ليس لطرد الحزبيين منها وهم أصلاً ابناؤها(...) انه يهدف الى إبادة الشعب المسيحي في قضاء بشري...»».



مجموعة من المغاوير عام ١٩٨٠

فجر يوم الجمعة ١٥ شباط ١٩٨٠ بلغت الاشتباكات ذروتها، وقد اتسع نطاق التراشق المدفعي والصاروخي بحيث شمل قرى عدة في قضاءي بشري والبترون، وكذلك قضاء الكورة.

ومن القرى التي شملها القصف أميون وكفور العربة ونيحا ومزرعة كساب وكفرعقا وبيت شلالا ومزرعة أبي صعب وكفرحلدا وبساتين العصي وحردين ...

وأفادت المعلومات الورادة من طرابلس أن أكثر القرى تضرّراً كانت قنات التي دُمرت معظم منازلها والكنيسة الاثرية فيها والمدرسة الرسمية، وان الاشتباكات استمرت فجراً في محور قنات بعد ليل شهد قصفاً لمراكز عدّة بين الطرفين المتقاتلين، وقد سقطت قذائف مدفعية وصاروخية في مختلف الاماكن الممتدة بين جرود منطقة البترون وأعالي الكورة ومحور قنات ومزرعة بني صعب وبرحليون.

استشهاد ريشار

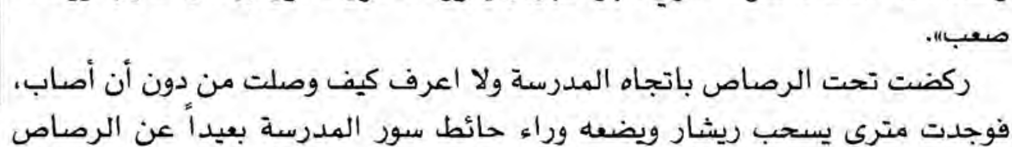
فجر الجمعة شن السوريون هجوماً هو الأعنف من جهة حدث الجبة على المدرسة والمنشرة، ومن جهة البستان طريق الارز، ومن جهة برحليون، ومهّدوا للهجوم بقصف مدمّر، فسقطت مئات القذائف على قنات ومحيطها في ساعات معدودة، وأصيبت غرفة العمليات في البلدة ونقلت من منزل جورج ايليا الى منزل انطونيوس ناصيف غمرون.

دارت معارك عنيفة في المدرسة والمنشرة مع وحدات ادونيس فاستشهد ريشار نجاريان وأصيب ٦ شباب بينهم اثنان اصابتهما حرجة وخصوصاً عبد الساتر... الذي أصيب في رأسه بشظايا قذيفة دبابة ت ٦٢. فشل السوريون في تسجيل أي خرق فيما أبيدت فصيلة سورية ناحية البستان، بعدما استغلت الضباب الكثيف والأمطار الغزيرة للتقدم، وعند وصولها على بعد امتار من المدافعين انقشع الضباب فجأة فتمكن المقاتلون منها وسقط عناصرها بين قتيل وجريح.

ويروي متري كيف استشهد ريشار: «كان السوريون يركّزون دبابة على كوع قنات تكشف المدرسة ودبابة اخرى فوق طريق الارز في حفرة ويظهر منها مدفعها تمكنا من إعطابها بقذائف الـ ب٧ لكن السوريين أصلحوها وأعادوا استعمالها. كنّا نسهر في المدرسة ثمانية شباب أنا وريشار وعبد الساتر وجورج قصاص وبيار فرح وسليمان درزي وتوفيق الحلو...

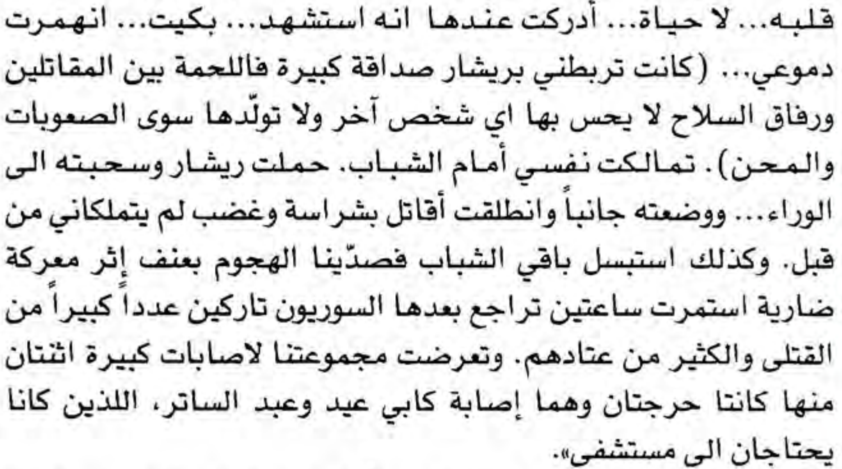
الساعة ١٢ ليلاً، قال لنا ريشار: «هل تعلمون ان اليوم هو عيد ميلادي؟» فأجبته: «لا تهتم سنقيم لك عيداً»، وحملت علبة جبنة بيكون وقلت له: «نحن ٨ وفي هذه العلبة ٨ قطع جبنة فكلّ واحد منا يأكل قطعة ونعتبرها قالب حلوى فنشاركك العيد»... ثم سهرنا حتى الثانية فجراً وذهب قسم من الشباب ليرتاحوا قليلاً. وحوالى الساعة الرابعة فجراً، قال لي ريشار: «متري اذهب وارتاح قليلاً» قبل طلوع الفجر وبدء الهجوم وأنا سأبقى أراقب التحرّكات مع عبد الساتر».

تقدّم ريشار الى الحائط الاول وأخذ يراقب مع عبد الساتر التحركات السورية من شباكين صغيرين متقاربين، فيما كنّا نحن نرتاح وراء حائط آخر يبعد نحو ثلاثة أمتار. وعند الخامسة فجراً، عصف انفجار قذيفة دبابة ت٦٢ سورية تبعد عن المدرسة نحو ٧٠ متراً وأحدث فجوة قطرها نحو مترين في حائط الحجر الى جانب ريشار فسقط ارضاً وأصيب عبد الساتر، الذي كان يَبعد قليلاً بشظايا الحجارة في وجهه ولم يعد يستطيع الرؤية، وبدأ هجوم سوري عنيف على مواقعنا».



ويضيف متري: «طلبت من شارل حبيقة وباقي الشباب تغطيتي بالنار، وتقدمت نحو ريشار وحركته فنزف دماً من أذنيه وفمه... ثم أبلغت الحنون الذي وصل بسرعة بعدما سحبت ريشار الى خارج سور المدرسة...». وروى حنا عتيق: «كنا نتقدّم الى الامام مجموعات صغيرة لملاقاة السوريين قبل وصولهم الى مواقعنا، وبدأ الهجوم فجراً على جميع مواقع قنات، وفيما الالتحام قائم مع الوحدات الخاصة، ووسط الرصاص والقذائف، سمعت صوت متري عبر الجهاز يقول: «حنون حنون ريشار أصيب ووضعه صعب».

عبد الساتر وبشير
بعد المعركة



ركضت تحت الرصاص باتجاه المدرسة ولا اعرف كيف وصلت من دون أن أصاب، فوجدت متري يسحب ريشار ويضعه وراء حائط سور المدرسة بعيداً عن الرصاص المباشر. قفزت اليه ورحت أتحسس أين هو مصاب، هززته، وصرخت ريشار ريشار... وضعت يدي على نبضه... على قلبه... لا حياة... أدركت عندها انه استشهد... بكيت... انهمرت دموعي... (كانت تربطني بريشار صداقة كبيرة فاللحمة بين المقاتلين ورفاق السلاح لا يحس بها اي شخص آخر ولا تولّدها سوى الصعوبات والمحن). تمالكت نفسي أمام الشباب. حملت ريشار وسحبته الى الوراء... ووضعته جانباً وانطلقت أقاتل بشراسة وغضب لم يتملكاني من قبل. وكذلك استبسل باقي الشباب فصدّينا الهجوم بعنف إثر معركة ضارية استمرت ساعتين تراجع بعدها السوريون تاركين عدداً كبيراً من القتلى والكثير من عتادهم. وتعرضت مجموعتنا لاصابات كبيرة اثنتان منها كانتا حرجتان وهما إصابة كابي عيد وعبد الساتر، اللذين كانا يحتاجان الى مستشفى».

ويضيف الحنون: «لم يكن معنا عددٌ كافٍ من المقاتلين لمهاجمة القوات السورية على الطريق العام فوق قنات، فبشقّ النفس كنّا نؤمّن المواقع التي تتعرض للهجمات وكانت القذائف تتساقط على قنات بكثافة غريبة. كنا لأول مرّة نشهد هذا القصف على منطقة صغيرة، فأثناء



الشهيد ريشار نجاريان

الهجوم، لم نكن نستطيع تمييز القذيفة من الأخرى، إذ كنّا نسمع هديراً عنيفاً ومتواصلاً. تراوحت نسبة القذائف التي كانت تسقط على قنات خلال الهجوم السوري بين ٦٠ و٨٠ قذيفة في الدقيقة، اذ كانت كل مرابض الجيش السوري في الشمال والدبابات والراجمات تستهدف هذه البقعة الصغيرة من قنات وصولاً الى تلة حردين ونيحا».

وتابع الحنون: «بعد صدّ الهجوم الذي أدى الى استشهاد ريشار، نزلت الى ساحة قنات منهكاً؛ ثيابي ملونة بالوحول وبدماء ريشار ورماد القذائف، فوجدت فؤاد أبو ناضر ومعه فؤاد الضاهر وأبو طوني وأخبرتهم بما جرى وباستشهاد ريشار... وبكيت من جديد... طلبت من فؤاد تأمين بعض الشباب لتبديل المصابين من شبابنا، فكان الجواب انه لا يوجد أحد يمكنه الصعود الى المدرسة والمنشرة في الوقت الحاضر... فعدت الى موقعي... وبعد الظهر شن السوريون هجوماً جديداً مماثلاً للهجوم الصباحي. صدّيناه بنفس الطريقة، وأصيب معنا رفيق واحد فارتفع عدد المصابين في صفوف وحدتنا الى ثمانية، وضعناهم في الطابق السفلي للمنشرة في مكان بعيد نسبياً عن قذائف الدبابات. ثم بدأت مع من بقي من الشباب التحضير للهجوم الصباحي قبل الانطلاق سيراً الى نيحا مع أبو طوني تحت الثلوج ووسط العاصفة للاجتماع بقيادة الجبهة ولحمل ما نحتاجه من ذخائر».

ويقول ابو طوني: «كنّا في طريق عودتنا كلّ ليلة من نيحا نحمل، إضافة الى جعبنا وسلاحنا الفردي، أثقالاً ننوء تحتها، فكان الحنون يحمل ١٢ قذيفة كارل غوستاف على ظهره وعدداً من قذائف الـ ب٧ بيديه ويملأ جعبته بالقنابل اليدوية، بينما أحمل أنا صندوقَي ذخيرة كلاشينكوف وام ١٦ في يدي واملأ جعبتي مماشط، كما أحمل جعبة مليئة بالقنابل اليدوية، ونسير نحو ساعتين ونصف فنصل الى قنات فجراً ونبدأ الاستعداد لهجوم الصباح».


الحنون وبوب وحنا ابراهيم ومتري

ويضيف أبو طوني: «كان علينا ابتداءً من الساعة الخامسة صباحاً، ومع انبلاج الفجر، أن نكون متحفّزين ومستعدين واصبعنا على الزناد، لأنّنا كنّا نتعرض لعمليات تسلّل بشكل دائم، إضافة الى الهجومات الكبيرة المنظّمة، وكان السوريون يستغلّون الضباب ويحاولون الالتفاف على المراكز في المدرسة والمنشرة، فكنّا نكشفهم ونأتيهم من الخلف، ونتمكن من فكّ الطوق عن الحنون الذي كان يلاقينا، وجراء محاولاتهم التسلل تكبد السوريون خسائر كبيرة».

ويقول الحنون: «عملية تأمين الذخائر كانت صعبة جداً، وجرت بعض المحاولات لايصال الامدادات الضرورية، ولكن استشهاد ثلاثة رفاق على طريق نيحا جعل العملية مستحيلة نهاراً، وقد شاهدت وأبو طوني جثث الشباب أثناء صعودنا الى نيحا، وطلبت إبعادها عن الطريق لكي لا تؤثّر على معنويات مجموعة من الرفاق كانت متوجهة الى قنات».

ويروي بيار خوري: «استشهد طوني جرموش من بقرقاشا وطوني ايليا من حدشيت والياس داغر من شكا بينما كانوا ينقلون الذخائر على ظهور البغال من نيحا الى قنات يوم ١٥-٢-١٩٨٠ مستغلّين الضباب الذي انقشع فجأة، فانكشفوا على الدبابات السورية في مرتفعات برحليون وأصيبوا بقذيفة مباشرة وبقيت جثثهم في الطريق حتى حلول الليل حيث تمّ سحبها تحت جنح الظلام».

بعد ظهر يوم الجمعة أصدرت قوات الردع اول تعليق على ما يجري في قنات في البلاغ الاتي: «في تاريخ امس الاول، وبينما كانت إحدى دوريات الردع العربية تقوم بمهماتها في منطقة قضاء بشري قرب بلدة قنات، تعرّضت لمكمن مسلح

من الميليشيات الموجودة في تلك المنطقة ما أدى الى اعطاب آلية للدورية واستشهاد جندي واصابة ثلاثة آخرين بجروح بالغة. وقد دعمت الدورية بتعزيزات عسكرية كبيرة وطوّقت البلدة وباشرت تمشيطها لتوقيف المسلحين مفتعلي الحادث. ولم تزل العمليات مستمرة في تلك البلدة حتى إصدار هذا البلاغ».

في المقابل، وزّعت مصادر الكتائب المعلومات الاتية: «ابتداءً من الساعة الخامسة من صباح الجمعة بدأت القوات السورية قصفاً مركّزاً في اتجاه بلدة قنات، فدمّرت الكنيسة الأثرية والمدرسة الرسمية ومعظم منازل البلدة تدميراً كاملاً.

طوني (الصغير) والشهيد طوني جرموش

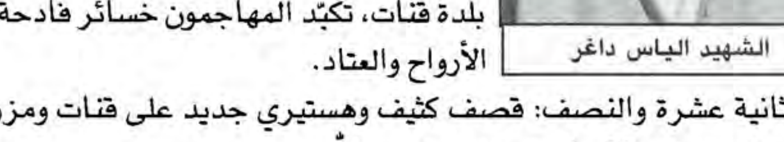
وهنا شريط أحداث يوم الجمعة :

الساعة الخامسة صباحاً: قصف مدفعي ثقيل على قرى قنات ومزرعة بني صعب

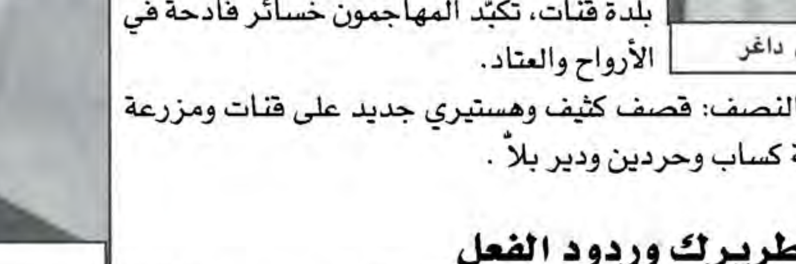
الساعة السابعة صباحاً: قصف نيحا ومحاولة تسلل الى بلدة قنات عبر الاودية والتلال المحيطة بها. صد المهاجمون وعطلت لهم دبابة سوفياتية من طراز «ت ٦٢».

الساعة الثامنة والنصف، توقّف القصف ربع ساعة ليعود في شكل هستيري ويشمل قنات ومزرعة بني صعب وحردين ونيحا. قدّرت القذائف التي سقطت على قنات وحدها ابتداءً من الثامنة والنصف حتى العاشرة بـ٦٠٠ قذيفة من المدفعية الثقيلة والدبابات بينما قصفت القرى المجاورة بنحو مئتي قذيفة.

الشهيد الياس داغر



الساعة الثانية عشرة ظهراً: محاولة اقتحام بلدة قنات، تكبّد المهاجمون خسائر فادحة في الأرواح والعتاد.



الثانية عشرة والنصف: قصف كثيف وهستيري جديد على قنات ومزرعة بني صعب ومزرعة كساب وحردين ودير بلاّ .



الشهيد طوني ايليا

تحرك البطريرك وردود الفعل

نقلت الوكالة الوطنية للأنباء برقية وجهها النازحون عن منطقة الاشتباكات في قنات ومزرعة بني صعب الى رئيس الجمهورية والبطريرك خريش، جاء فيها: «نناشدكم وضع حدّ لموجة الهستيريا التي أصابت القوات السورية، انها تقصف بلدتنا بالدبابات والمدفعية الثقيلة، منازل البلدة وكنيستها الأثرية هدمت على من فيها.

المسيحيون يتعرضون لأبشع أنواع التنكيل والابادة. قرية قنات والقرى المجاورة تدمّر على من فيها. موجة النزوح تزداد يوماً بعد يوم. نناشدكم العمل على وقف التدمير وسحب السوريين وإنزال الجيش اللبناني مكانهم».

وكتب موفد جريدة النهار الى منطقة البترون ان قرى المنطقة كلها تأثّرت بالمعارك الدامية في الشمال والتي بدأت تطالها منذ ظهر الاربعاء. «ابتداءً من ميفوق يشعر الذاهب الى المنطقة ان وضعاً غير عادي يسيطر عليها. في دير ميفوق علمنا ان المهجرين تابعوا كلهم طريقهم الى جبيل.

وفي بشعلة في جرود البترون التقينا عائلة واحدة باتت هناك نازحة من بيت شلالا. فقال أحد أفرادها خليل حنا خليل: «كنا ظهر الاربعاء في منزلنا عندما سمعنا انفجارات قريبة. نظرنا الى الخارج، فرأينا القذائف تتساقط في

كفرحلدا ويرتفع الغبار والنار، ثم بدأنا نسمع انفجارات تقترب من قريتنا حتى وقعت قذيفة على سطح المنزل فهرعنا نختبىء وانتظرنا فترة هدوء لنخرج كلنا مع أطفالنا تاركين مواشينا في الخارج وهي مورد رزقنا الوحيد.

وأضاف: اليوم عدت الى القرية استفسر عن أخوتي وبقية العائلة، لكنني وجدت بيت شلالا فارغة. جلبت بقرتي وعدت الى بشعلة. القصف كان يأتينا على ما أظن من عين عكرين وبرحليون....



آثار القذائف على الكنيسة



وداخلها

الاهالي الذين لم يغادروا دوما وبشعلة والقرى الأخرى.... استغربوا عدم وصول أي مسؤول أو صليب احمر يسألهم عن حاجاتهم. فعدا ان طريقهم تكاد تكون غير سالكة، فإنّ المهجرين بالآلاف يغادرون منازلهم وأرضهم من دون أن يساعدهم أحد أو يأويهم. كذلك يعتبرون ان الذين يتلقّون القصف في الكورة ليسوا بالضرورة كلهم مقاتلين وان الابرياء يسقطون من الطرفين. فالى متى يستمر الحال ولا مؤشر للانفراج؟»

وصباح يوم الجمعة زار بكركي وفد من مهجري بلدة قنات وأبلغ البطريرك خريش حقيقة ما يجري في المنطقة والدمار الذي حل بالبلدة وبكنيستها الاثرية. وقد أوفد البطريرك نائبه العام المطران نصرالله صفير لمقابلة الرئيس الياس سركيس، وتمّ اللقاء في الحادية عشرة والنصف قبل الظهر. ولدى مغادرته القصر قال المطران صفير: «كانت لي مهمة في شأن احداث الشمال. وقد بلّغنا فخامته ما توافر لدى غبطته من معلومات عن الشمال وعن تهجير الاهالي وخصوصاً من بلدتي قنات وحردين والقرى المجاورة. ونأمل في ان تصطلح الامور ليتمكن الناس من العودة الى منازلهم لان الحال سيئة جداً».

وقال رداً على سؤال: «قد أتوجه اليوم الى زغرتا. وعلى كل حال سيدنا البطريرك على استعداد للمساعدة في الافراج عن جميع المخطوفين».

وطالب البطريرك الرئيس سركيس بالتدخل لوقف القصف على قنات والاهتمام بالاهالي الذين نزحوا منها.

كما أصدر «تجمع شباب بشري» بياناً استنكروا فيه «الهجمات الشريرة على بلدة قنات لان الهدف منها هو العمل على إبادة العائلات وتدمير المنازل».

واستنكر «حرّاس الأرز» في بشري الاعتداءات السورية على القرى الآمنة في المنطقة مؤكّدين في بيان «ان الاعتداءات تثبت مرة أخرى ان القوات السورية هي قوات احتلال وهي ما تزال تسعى لضرب اللبنانيين الشرفاء وتركيعهم وكبت صوت الحقّ وخنق المقاومة اللبنانية تمهيداً لفرض اتّفاقات أمنية تراعي مصلحة سوريا وحدها».

ودعا البيان «أبناء الشمال الذين يعيشون تحت السيطرة السورية الى وعي خطورة الموقف والمرحلة الصعبة التي يجتازها لبنان ورصّ الصفوف وشبك الايدي للوقوف في وجه المتربّصين بمنطقتنا شرّاً والمخطّطات السورية ... التي ترمي الى توسيع الخلاف».

الالتفاف على قنات وتطويقها

السبت ١٦ شباط، ومع دخول المعارك الضارية يومها الخامس، اتّخذ الجيش السوري قراراً حاسماً بدخول قنات مهما كلف الامر، وازداد القصف المدفعي والصاروخي عنفاً واتّساعاً، وشمل قرى كثيرة في أقضية بشري والكورة والبترون.

قرّر السوريون الالتفاف على قنات ودخولها من الجهة الغربية عن طريق مزرعة بني صعب، فتوغّلت صباحاً وسط طقس مثلج مجموعات كبيرة من القوات الخاصة من جهة برحليون عبر وادي الشنيف السحيق، ومن جهة مار اسطفان وتمكّنوا من الوصول الى مشارف قنات من الناحية الغربية بعد السيطرة على مزرعة بني صعب، فأصبحت البلدة محاصرة من جميع الجهات وبداخلها نحو ٧٠ مقاتلاً، سدّت طرق الامداد والانسحاب أمامهم وأصبحوا أمام خيار من اثنين إمّا الموت او الاستسلام.

احتلّت مجموعة سورية الحارة التحتا في مزرعة بني صعب، وقامت مجموعة ثانية بقطع الطريق بين قنات والمزرعة، وتمكّنت ثالثة من دخول بعض منازل البلدة ناحية مار سركيس وباخوس، فيما كانت تتعرّض المواقع التقليدية الاخرى، وخصوصاً المدرسة والمنشرة لهجوم ضار شبيه بهجوم يوم الجمعة. تمكّنت وحدات الدفاع من ردّه فيما كانت مجموعات سورية تحاول التسلل من جهة الطريق العام، باتّجاه وسط البلدة فصدّتها وحدات المغاوير وشباب قنات والشمال.

ويقول الحنون: «قبل الهجوم الذي شنّته القوات الخاصة على المدرسة والمنشرة، اعتمدنا خطة لمفاجأة المهاجمين وللحدّ من اصاباتنا، فاتّخذنا موقعاً متقدماً في منطقة أمام المنشرة ومعي عماد كرم وبوب عواد وحنا ابراهيم ولطوف يزبك، فيما تولّى متري وشارل حبيقة مهمة ريشار نجاريان في المواقع الأخرى. كشفنا سرية سورية تتقدم باتّجاه المدرسة ولم يكن عناصرها يشاهدوننا او يتوقعون ان نكون في نقطة متقدّمة أمام متاريسنا، كما ان قذائف الدبابات لم تكن تطالنا. ولمّا أصبح الجنود في مرمى نيراننا، صبّينا الرصاص عليهم بشكل كثيف، حتى ان بنادقنا كادت تحترق اذ اطلق كل واحد منا نحو ١٥٠ رصاصة في غضون دقائق معدودة، فسقط عدد كبير من القتلى في صفوفهم، وتراجع من بقي منهم الى الوراء الامر الذي خفّف الضغط عن رفاقنا في المواقع الأخرى. استمرّ القتال حتى الساعة العاشرة صباحاً، لكنّ قوانا استنزفت وأصبح عدد الاصابات في صفوف وحدتنا ١٣ من أصل ٢٥ عنصراً اضافة الى استشهاد ريشار».

ويضيف العتيق: «بعد انتهاء الهجوم، كان فؤاد ابو ناضر أمّن مجموعة مركزية تابعة للشعبة الثالثة في اقليم كسروان لتبديلنا. فشرحت الوضع لرزوق شليطا وأبلغته انّ هذه المواقع في غاية الخطورة، ثمّ حملنا الشباب المصابين وربطنا جثة ريشار المتجمّدة بالثلوج على ظهر حمار وهبطنا باتجاه وادي مار شليطا».

في هذه الأثناء، انطلقت مجموعة من وسط قنات لصدّ الوحدات الخاصة التي توغّلت من جهة مزرعة بني صعب وقام بدوي ضومط (أبو طوني) ودانيال القبوط ومنصور جعجع وبول عنداري وقزحيا العلم وجان البدوي ويوسف الطحان وسليمان الحويك وهاني رحمة وسهيل منسى وداوود الحويك وجوزيف الدوني وجورج الطحان وشقيقه.... بمواجهة الجنود السوريين الذين توغّلوا ناحية مار يوسف، حيث استشهد دانيال القبوط الذي أبلى البلاء الحسن قبل ان يطلق عليه النار أحد الجرحى السوريين الذين ما زالوا على أرض المعركة، فيما قتل ضابط سوري برتبة كبيرة وهو آمر الوحدات التي قامت بعملية الالتفاف ما ساهم في تضعضع السوريين ودحرهم بسرعة.

وتولّى فؤاد أبو ناضر ومن معه مواجهة الجنود الذين قطعوا الطريق بين المزرعة وقنات.

ويروي أبو ناضر: «يوم السبت ١٦ شباط، حصل الهجوم الأعنف وعلى مختلف المحاور خصوصاً من جهة حدث الجبة، وتمكّنت وحدات أدونيس من صدّ الهجوم على المدرسة والمنشرة، وصدّينا مع وحدات المغاوير الهجوم بإتجاه ساحة قنات. تزامناً سيطرت مجموعات من القوات الخاصة على مزرعة بني صعب، بعدما التفّت من جهة برحليون، وتقدّمت بإتجاه أطراف قنات، وأقفلت طريق الامداد ولم يعد هناك مجال للانسحاب».

وأضاف أبو ناضر: «نظّمنا المجموعات وقمنا بهجوم مضاد ابتداءً من أطراف قنات جهة الغرب، ولفتتني شجاعة

الشهيد دانيال القبوط

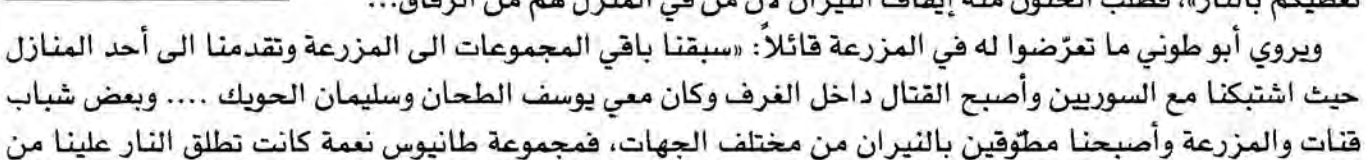
دانيال القبوط الذي تقدّم الجميع وهاجم الجنود السوريين بشجاعة قبل أن يستشهد، وكنت أحاول تهدئته ومن معه حتى تتقدم ملالة لوحدات الدفاع من بيت كساب بإتّجاه مزرعة بني صعب لتسهّل مهمتنا».

وكانت تقدّمت مجموعة من بيت كساب تضم ٨ شباب منهم طوني أبي يونس والياس كساب بقيادة طانيوس نعمة (الرائد) الذي كان مع ثكنة بعلبك الهرمل مسؤولاً عن منطقة شناطة ودير بلاّ.

ويقول طانيوس نعمة: «تقدّمنا باتجاه المزرعة ومعنا جيب يحمل رشاش ١٢،٧ وانتشرنا الى جانبي الطريق، وبدأنا من الساعة التاسعة صباح الاشتباك مع السوريين الذين سيطروا على المزرعة منذ الصباح». ويضيف: «تمكّن جنود الوحدات الخاصة من إصابة الجيب الذي بحوزتنا بعدما اطلقوا عليه ثلاث قذائف ب٧. فتابعنا القتال بسلاحنا الفردي واستطعنا تحرير ثلث المزرعة قبل أن يبدأ الهجوم من جهة قنات لملاقاتنا. وكان السوريون استولوا على مركز الكتائب قرب الكنيسة، واستمرّ الاشتباك بين مجموعتنا والجنود السوريين حتى الثالثة بعد الظهر عندما نجح الشباب من الجهة الأخرى بملاقاتنا، فتمكّنا من دحرهم من المزرعة بعدما تكبّدوا خسائر كبيرة».

طانيوس نعمة

من جهة أخرى، ولدى وصول وحدة أدونيس المنسحبة من قنات الى وادي مار شليطا، سمع حنا العتيق فؤاد أبو ناضر عبر الجهاز يناديه «حنون نريدك أن تلاقينا الى مزرعة بني صعب لأنّ قوة سورية كبيرة توغّلت وقطعت الطريق والتفّت على قنات ونحن محاصرون». جمع العتيق ١٠ شباب كان ما يزال بإمكانهم الوقوف على أقدامهم، وتقدّموا بإتجاه المزرعة وبدأوا رمايات على أول منزل في القرية. لكن شارل حبيقة شاهد من منظار بندقيته وهي M16 أبو طوني ومعه شباب من قنات في المنزل الذي يطلقون النار عليه، وكذلك كانت تفعل مجموعة أبو ناضر، كما كان هذا المنزل يتعرّض للنيران السورية من الجهة الغربية، ولنيران مجموعة طانيوس نعمة من الجهة الجنوبية، وفؤاد ينادي حنا عبر الجهاز ويقول «حنون تقدموا باتجاه المنزل نحن نغطيكم بالنار»، فطلب الحنون منه إيقاف النيران لأنّ من في المنزل هم من الرفاق...



ويروي أبو طوني ما تعرّضوا له في المزرعة قائلاً: «سبقنا باقي المجموعات الى المزرعة وتقدمنا الى أحد المنازل حيث اشتبكنا مع السوريين وأصبح القتال داخل الغرف وكان معي يوسف الطحان وسليمان الحويك .... وبعض شباب قنات والمزرعة وأصبحنا مطوّقين بالنيران من مختلف الجهات، فمجموعة طانيوس نعمة كانت تطلق النار علينا من الناحية الجنوبية جهة بيت كساب، وكادت تقتلنا رصاصات رشاش الماغ مع الياس كساب الذي لم يكن يتوقف عن الرمي، كما أن مجموعة فؤاد أبو ناضر كانت تطلق النار باتجاهنا، إضافة الى السوريين من الجهة الغربية، والذي انقذنا هو شارل حبيقة وحنا العتيق اللذين كانا الأقرب الينا، وشاهدنا حبيقة بمنظار بندقيته فطلب من فؤاد إيقاف الرصاص، ولم اكن أستطيع التحدّث مع باقي المجموعات لان بطارية جهازي كانت بحاجة الى إعادة شحن بعد استنفاد طاقتها في يوم هو الأطول».



أبو طوني في قنات عام ١٩٨٠

ويضيف أبو طوني: «استمرّت مجموعة طانيوس نعمة بالرمي لأنّه لم يكن معهم جهاز ليطلبوا منهم التوقف، وكدنا نقضي بنيران رفاقنا لو لم يصل حنا العتيق الذي تعرّض مع شباب ادونيس لاطلاق النار من مجموعة نعمة قبل ان يتعرف عليه ويتوقف».

في غضون ذلك، قام بعض أهالي مزرعة بني صعب ومنهم بطرس سابا وجورج جبرايل وجورج الطحان والبير العيناتي ومعهم داوود سابا من عكار بإطلاق النار على



أبو ناضر وجان البدوي وأبو طوني في قنات بعد ٢٥ سنة

السوريين قرب الكنيسة. وكانت تقدمت بعد تردّد ملالة عليها رشاش ١٢،٧ وفيها أسعد سعيد وطوني ملحمة من بيت كساب الى المزرعة وكانت دبابة سورية تستهدفها من تلال برحليون.

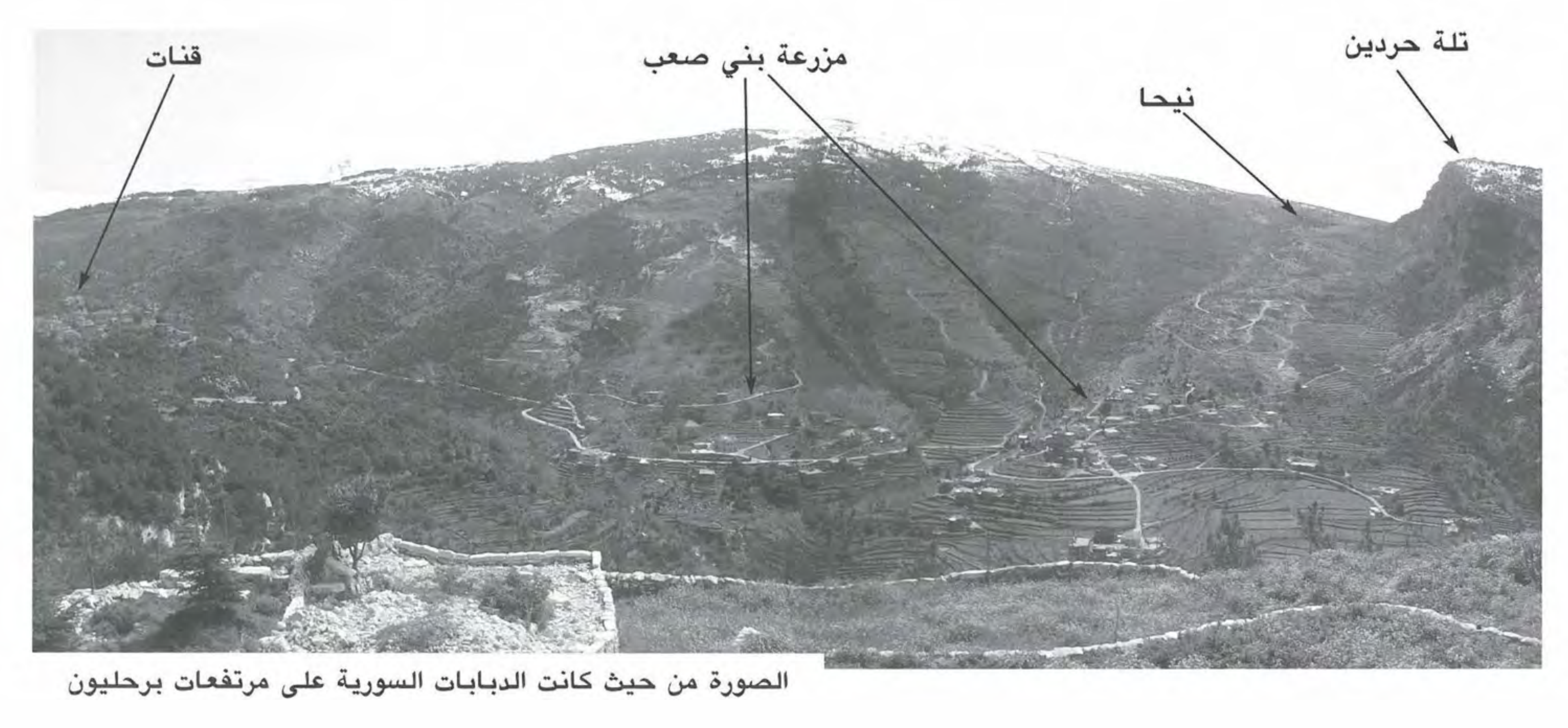
ويروي أبو ناضر: «تحدثت مع أسعد سعيد عبر جهاز اللاسلكي في الملالة ملحاً عليه للتقدم وإطلاق النار باتجاه الوحدات السورية لنوهمها ان هناك هجوم من بيت كساب فتهون بذلك مهمتنا، فيما كانت طريق نيحا مقطوعة بالنار. كان أسعد متردداً بسبب قذائف الدبابات التي تطلق من ضهور برحليون، حتى اكتشفنا ان القذائف لا يمكنها اصابة الملالة لان مدافعها لم تكن تستطيع الانحناء أكثر، فكانت القذائف تنفجر فوقها. أبلغت أسعد أن انحناء مدفع الدبابة بلغ حدَه الأقصى، وستنفجر القذائف فوق الملالة بنحو ٣٠ متراً وفي حال حاولت الدبابة تغيير وضعيتها ستسهل إصابتها بمدفع كارل غوستاف». وعندما تقدمت الملالة وفتح أسعد النار انقلبت المعركة وسهّلت مهمة باقي المجموعات.

ويتذكر أسعد سعيد «ان عطلاً طرأ على جهاز الاتصال بيني وبين طوني ملحمة الذي يقود الملالة فاتّفقنا على أن أركله ركلة للتقدم وركلتين للتوقّف فوصل ملحمة الى مزرعة أبي صعب متورّم الرأس فيما كنت أمشّط المنطقة برشاش ١٢،٧».

في هذه الأثناء، قامت مجموعة من مركز قيادة الجبهة في نيحا بقيادة سمير جعجع ومعه مسعود الحويك وأربعة عناصر بملاقاة الشباب الى مزرعة بني صعب.

تمّ تحرير منازل المزرعة وحشر السوريون في الوادي تاركين وراءهم عدداً كبيراً من القتلى، بعدما قاموا بتكبيل بعض سكان المزرعة وأشعلوا قذائف بقربهم. وأحصى شلّيطا حنا البدوي وهو راع (هرب بقطيع الماعز الى مغارة الشنيف في خراج برحليون) ٢٧ جريحاً من القوات السورية الخاصة مرّوا قرب المغارة في طريق فرارهم وقال له أحدهم «والله العظيم حجارة هذه القرية تطلق النار علينا».

عادت ملالة أسعد سعيد وطوني ملحمة يقودها حنا العتيق من مزرعة بني صعب الى بيت كساب ثم الى كفور العربة تحمل جثتي ريشار نجاريان ودانيال القبوط ونحو ٢٥ عنصرا معظمهم جرحى. ثم انطلقت مجموعة وحدات الدفاع ادونيس الساعة ١٢ ليلاً الى بيروت لدفن ريشار نجاريان يوم الاحد، وتوزّع المصابون على المستشفيات وبقيت ملالتان مع نصري راشد لتأمين الطريق التي كانت ترابية بين كفور العربة ونيحا.



الصورة من حيث كانت الدبابات السورية على مرتفعات برحليون



مسعود الحويك

نزوح شامل وحرب يهدد بالاستقالة

تفاقمت حركة النزوح من القرى التي تعرّضت للقصف، وانتشر النازحون في أماكن كثيرة من جبيل وكسروان والمتن في انتظار عودة الهدوء الى منطقتهم.

وأفادت معلومات وردت الى الاجهزة الامنية في طرابلس ان القصف المدفعي والصاروخي اتّسع نطاقه فجر السبت بعد ليل ملتهب شهدته محاور مفترق بيت منذر – تلة نيحا، ودوما -بشعلة - العلالي- دريا وقلعة أميون في الكورة، وسقطت مئات القذائف في دائرة قطرها ١٠ كيلومترات تمتد من تلّة نيحا قرب حدث الجبة حتى بلدة أميون، ومن أعالي منطقة البترون حتى برحليون وطريق طرابلس- بشري.

وشهدت القرى المنتشرة في هذه الدائرة نزوحاً الى مختلف المناطق والذين بقوا في قراهم غادروا منازلهم الى الأقبية أو الطبقات الارضية. وتعطّلت الحركة في منطقة بشري الجنوبية - الغربية وأعالي الكورة ومنطقتي البترون الوسطى والعليا - وأقفرت الساحات وتوقفت المدارس وتعطّل السير على معظم الطرق.

وذكرت معلومات أمنية أخرى نقلتها الصحف ووكالات الانباء «ان الوضع حتى بعد الظهر كان ما يزال متفجراً والقصف المتبادل استمرّ كثيفاً بين مراكز الردع قرب بلدة بيت منذر، ومراكز المهجّرين من أنصار الكتائب في تلّة نيحا والتلال القريبة من دوما وبشعلة...». وأضافت المعلومات «انّ عنف القصف الردعي تركّز على تلة نيحا في محاولة لاقتلاع مدفعية المسلحين المركّزة في المقلب الشرقي للتلّة واسكات مرابض الرشاشات الموزّعة على جانبي التلة لجهة قنات المكشوفة».

ونقلت صحيفة النهار عن بعض الاهالي الذين وصلوا الى طرابلس «ان قوة جديدة من الردع عزّزت مركز مفترق بيت منذر والتلال المحيطة، وان الدبابات والصواريخ دأبت منذ يومين على قصف تلة نيحا بعنف حتى أن الاهالي كانوا يشاهدون الصخور تتطاير في أنحاء التلة.

وروى هؤلاء أنّ هناك عدداً من القتلى والجرحى تحت ركام البيوت المقصوفة في قنات. وذكر آخرون ان عدد الإصابات بين المسلحين يتجاوز ٢٥ إصابة بينهم عدد من القتلى، لكن أي معلومات رسمية لم تؤكد هذه الاخبار».

ووزّع مصدر كتائبي يوم السبت ١٦ شباط المعلومات الآتية: «عاد السوريون عند الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر السبت الى قصف المنطقة ولا سيّما قنات ومزرعة بني صعب، بعدما دفعوا الى الساحة بكتيبة جديدة هي الرابعة، اتّخذت مواقع للانطلاق في كفتون والتعبورة. ولا تزال بلدة قنات تصدّ الهجمات التي يقوم بها الجيش السوري منذ أربعة ايام. وكانت وقعت عند الساعة السادسة من صباح اليوم معركة عنيفة مهّد لها السوريون بقصف مدفعي مركّز على البلدة وجوارها من كل أنواع الأسلحة الثقيلة والدبابات.





كنيسة نيحا أثناء تعرضها للقصف السوري

في الثامنة صباحاً جرت محاولة أخرى لاقتحام بلدة قنات، بكتيبة معزّزة وصلت الليلة الماضية الى أرض المعركة وردّ المهاجمون بعدما تكبّدوا خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وتشاهد بعض الجثث بالعين المجردة، وهي منتشرة في ساحات واسعة عند المسالك المواجهة لقنات. وقد أدّى هطول الامطار الغزيرة الى التخفيف من حدة القصف قرابة العاشرة».

وأضافت المعلومات التي وزّعتها الكتائب: «فيما كانت تدور معارك في قنات، كانت المدفعية السورية البعيدة المدى تقصف قرى نيحا ومزرعة بني صعب ومزرعة كساب وحردين وكفور العربة ودير بلاّ وكفرحلدا وبيت شلالا وراشا، والرام ودوما. وسقط عدد من القتلى الأبرياء وعدد آخر من الجرحى، وجميعهم من المدنيين. وبين الاولى والثانية بعد الظهر عادت المعركة عنيفة واشتدت حدّتها أكثر من السابق واستؤنف القصف المدفعي والصاروخي بعد الظهر».

وفي المساء ذكر مصدر كتائبي «ان القصف وصل الى بلدة ترتج في قضاء جبيل وأن غايته ضرب خطوط التموين للقوات اللبنانية». وأضاف «ان عدد النازحين بلغ ١٠ آلاف وأن ٣٥٠٠ مواطن غادروا قنات ومحيطها، وأن القرى التي فرغت من أهلها هي: مزرعة بني صعب، بيت منذر، نيحا، مزرعة عساف، كفور العربة، بيت شلالا، دير بلاّ، حردين. وقد توزّع أهلها في القرى الساحلية من جبيل والأديرة في كسروان. وأشار الى «أن ٨٠ في المئة من المعالم الاثرية الرومانية في حردين دمرت». وذكر المصدر «ان المجلس الحربي الكتائبي قرر تشكيل لجان لمساعدة النازحين وتأمين الأكل والمأوى والاستشفاء للمحتاجين منهم».

ووجّه النازحون يوم السبت نداء الى الرأي العام في لبنان وسوريا ... قالوا فيه: «ان القوات السورية تدفع لليوم الخامس بجيشها الى أرض المعركة محاولة اقتحام بلدة قنات على رغم ما يكلفها ذلك من خسائر في الأرواح والعتاد».

وأضافوا «ان المدنيين الابرياء في قرى قنات ومزرعة بني صعب ومزرعة كساب وحردين ونيحا وكفور العربة وبيت شلالا ودوما وبشعلة يتعرضون للقصف الوحشي لليوم الخامس على التوالي، وهم يعانون أوضاعاً حياتية صعبة. ان مهجّري الشمال قرّروا مساندة أهل قنات للدفاع عن بلدتهم حتى الاستماتة وهم سيظلّون صامدين مهما كبر العدوان الغادر واشتدّ القصف الوحشي».

وناشد النازحون المؤسسات الانسانية ولا سيّما الصليب الاحمر الدولي تفقّد القرى المتضرّرة وتأمين المساعدات اللازمة للنازحين أسوة بمهجّري الجنوب، كذلك ناشدوا المسؤولين التحرك سريعاً لوقف القصف وإنزال الجيش اللبناني مكان السوريين».

وأجرى البطريرك أنطونيوس بطرس خريش اتصالات مع رئيس الجمهورية وقائد قوات الردع طالباً العمل على وقف القصف وتدارك المزيد من المآسي.


عائلة مهجرة من قنات

والتقى البطريرك خريش بعد الظهر السفير البابوي المونسينيور كارلو فورنو ونقل اليه صورة عما يجري في الشمال وطلب منه إبلاغ الكرسي الرسولي ما يتعرض له السكان من قتل وتشريد.

وأوفد البطريرك نائبيه المطرانين نصرالله صفير ورولان ابو جوده، فزارا المهجرين من قنات والذين توزّعوا في عينطورة وجبيل وعمشيت وشيخان.

وعلى الصعيد السياسي الرسمي، أثار تجدّد الاشتباكات في الشمال استياء وزير الاشغال العامة والتربية بطرس حرب، فاتّصل بالرئيس سركيس والرئيس الحص طالباً اتّخاذ الاجراءات اللازمة لوضع حدّ للاشتباكات، وتدمير المنازل وتهجير السكان وقال: «انّ الحال لم تعد تحتمل خصوصاً ان الأبرياء من النساء والاطفال والشيوخ يقاسون مرارة الخوف والأسى والتشريد».

كذلك أجرى الوزير حرب اتّصالات مع قيادتي الجيش والردع داعياً الى العمل لوقف النزف. وذكرت أوساط الوزير أنّه عازم على الاستقالة في حال استمرار تدهور الوضع في الشمال.

من جهته، تابع الرئيس كميل شمعون الوضع مع الشيخ بيار الجميل وقالت مصادر في حزب الاحرار «ان نتائج

المعارك في الشمال وتحوّلها من صراع محلي الى صراعات اقليمية وعقائدية تصعّدها القوات السورية وتصبّ فيها قذائفها وحقدها، قد تدفع الحزب الى اتّخاذ موقف أكثر وضوحاً بحيث لا يمكن بعدها أن يبقى الرئيس شمعون المحاور او الشاهد على عمليات القتل والتهديم والتهجير والاحتلال».

النائب جبران طوق الذي كان موجوداً في لندن أجرى اتّصالاً برئيس الجمهورية، وطالبه بإنقاذ منطقة الشمال من أبشع المعارك ... وقال: «لا يجوز أن تبقى الحكومة ساكتة ومتفرّجة على ما يحصل في منطقة بشري، حيث القتلى والمشردون بالمئات ، وما يحصل في منطقتي لم يحصل في مكان آخر من لبنان، اذ دمّرت المنازل وهجّر سكّانها واحتلّت مشارف الشمال وأمعن فيها تخريباً».

وأصدر حزب حراس الأرز في بشري بياناً دعا فيه الحكم الى الالتزام بالقسم الدستوري والحفاظ على التراب اللبناني والطلب من السوريين الانسحاب فوراً من دون قيد أو شرط (...)

امّا رابطة الروم الارثوذكس، فعقدت اجتماعاً في كنيسة سيدة الانتقال في الاشرفية وأصدرت بياناً دعت فيه الى العمل بأقصى سرعة لانقاذ الابرياء من أبناء الشمال، واعتبرت انّ ما يحصل هناك مجزرة وطلبت من جميع اللبنانيين مساعدة الذين هجروا ودمرت منازلهم وشرّدوا من مناطقهم. ودعت الرابطة الى وقف «هستيريا الحرب الحقيقية التي تقع في منطقة الشمال».

الانسحاب او الانتحار

بدأت الروائح تنبعث من جثث الجنود السوريين في أرض المعركة وخصوصاً في محيط المدرسة والمنشرة، وأصبح الصمود في قنات مستحيلاً، في ظلّ هجمات متواصلة وقصف عنيف وطقس مثلج. وبعد عملية الالتفاف على مزرعة بني صعب، انعدمت امكانية دعم الخطوط الامامية أو تبديل المقاتلين الذين أمضى بعضهم خمسة أيام من القتال المتواصل. (كانت علبة جبنة بيكون طعام أحدهم لخمسة ايام). وليل السبت صعد فؤاد أبو ناضر الى نيحا، وتحدّث مع سمير جعجع وأبلغه ضرورة الانسحاب من قنات لأنّ البقاء بات مستحيلاً. وأبرقت الشعبة الثانية في المجلس الحربي الى قيادة الجبهة في نيحا «ان قيادة الجيش السوري أنذرت بوجوب الانسحاب من قنات قبل الثامنة صباحاً، والا اضطرت الى استعمال كل الوسائل المتاحة... وأفادت البرقية عن هبوط طائرات مروحية وأخرى حربية سورية في مطار حامات - البترون لتنفيذ هجوم شامل على قنات...»[1].

عاد أبو ناضر الى قنات لتنظيم انسحاب المقاتلين الذين بدأوا يتراجعون الى نقطة تجمع قرب مقابر البلدة بالتزامن مع بدء هجوم سوري على مختلف المحاور. طلب أبو ناضر من أسعد عريضة إبلاغ مجموعة كسروان بالانسحاب من المدرسة، لكنّ السوريين كانوا سبقوه. ويروي أسعد «في اليوم السادس طلب منّي فؤاد ابلاغ الشباب في المنشرة والمدرسة حيث حلّت مجموعة كسروان مكان وحدات ادونيس بالانسحاب. وفيما أنا متجه الى هناك ومعي منصور جعجع، تفاجأنا بمجموعة سورية توغلت قرب المنشرة واحتلّت طابقها العلوي، فاشتبكنا معها وأصبت برصاصات عدة في كتفي الايسر وخاصرتي ويدي فحملني منصور وهو يطلق النار وأبعدني عن المكان قبل أن يحملوني الى مزرعة بني صعب ثم الى نيحا ومنها الى المستشفى».


أسعد عريضة العام ٢٠٠٩

بعد إصابة أسعد، توجّه فؤاد الى المنشرة لسحب المجموعة، حيث استغلّ السوريون تساقط الثلوج والبرد القارس والضباب للتوغّل أكثر ولتطويق مجموعة كسروان.

١- هذه شهادتي- بول عنداري ص ٩٦.

ويقول أبو ناضر: «كانت ستحصل مجزرة لو لم نتنبّه في اللحظة الاخيرة، فاشتبكنا مع جنود القوات الخاصة بضراوة لتأمين انسحاب رفاقنا ونجحنا رغم اصابة عدد من الشباب قبل ان يستولي السوريون على المواقع».

وكتب رزوق شليطا أحد مسؤولي مجموعة كسروان متذكراً تلك اللحظات: «بدأوا يطلّون علينا شرقاً وغرباً وشمالاً بأعداد لا تحصى ولا تعدّ... فتعانقت نيران البنادق في عشق مجنون... في الدقائق الاولى تمّ التصدي بشكل رائع. شراسة هجوم يقابلها نبالة صمود. كانت لحظات جمرية يغلفّها ضباب رمادي لمصير مجهول. أزيز رصاص ودوي قنابل وصراخ وفوضى عارمة ونقلات سريعة. أمواج بشرية متلاحقة لم تترك لنا مجالاً لاستعادة أنفاسنا. لم يتركوا لنا منفذاً حيث كنّا، فأصبنا الواحد تلو الآخر وأصبح موقفنا مهدّداً بالسقوط خلال لحظات. خطّ الدفاع لم يعد نافعاً، فلا بدّ من التراجع، لقد سيطروا على الطوابق العلوية وأصبح رفاقنا أسرى الطابق السفلي.

رغم اصابتي، تحاملت على آلامي وتجابرت على خوفي، ومن موقعي المتقدّم رحت مع رفيق لي (هو اليوم في المكسيك) نناحر المهاجمين، فكانت أجسادهم تتساقط، ولم يتمكنوا من النيل منّا الاّ من خلال الطابق العلوي حيث تسللوا، بعد أن تراجعت المجموعة التي على يسارنا تحت ضغط نيران الدبابات. وحيث أن ذخيرتنا بدأت تنفذ، بات علينا تأمين خط الانسحاب وتقليل الاصابات ما أمكن.

مجموعتنا انشطرت الى قسمين: الاول محاصر في الطابق الارضي حيث لا مخرج الا تحت نيران السوريين، والثاني انتشر على الاطراف لتأمين الغطاء لخروج المجموعة الاولى. وهكذا صار. وبين مقارعة نيران الصديق والعدو، حملت رفيقي الجريح (وهو الآن في اميركا)، فامتزجت دماؤنا وراحت جراحي تواسي جراحه البليغة ورسمنا علامة الصليب على جباهنا وانطلقت به تحت وابل الرصاص، ما عدت أعرف منها الصديقة من العدوة، وكأنّ سكرة الاستشهاد تملكّتني، فتمرّدت فيّ قوة الخالق ورحت أقفز فوق الحفافي مصارعاً زخات الرّصاص من حولي، ونثرات البارود المتطاير من دوي القنابل اليدوية حتى سقطت أباطح الوحول والثلوج وفوقي رفيقي الجريح.


رزوق شليطا

خلت للوهلة الاولى أني أصبت للمرة الثانية، وكأن الزمن توقف للحظات، ولم يتوقف مشهد (نزيه) و(ساكو) يطلقان النار بكثافة بإتّجاه الطابق العلوي لتأمين خروج المجموعة المحاصرة. عاودت النهوض ورفعت (ابو الزوز) ثانية وسارعت باتجاه نقطة التجمع حيث وضعوا جرحانا في سيارة رانج وصل الينا بأعجوبة الخالق وعاد بهم الى منطقة نيحا...»

بعد سقوط المنشرة والمدرسة في أيدي السوريين، بقي في ساحة قنات شباب المغاوير الذين صدوا هجوماً عنيفاً واستشهد منهم ميشال حداد. ويروي فؤاد أبو ناضر: «توجهت لسحبهم ومعي جان البدوي من قنات، فشاهدت في الساحة نحو عشر جثث فظنّيت للوهلة الاولى أنّها للمغاوير وأبلغت ذلك بواسطة الجهاز، ثمّ تقدمت أكثر نحو الجثث وتنفست الصعداء عندما تأكدت ان بذلاتهم المرقطة هي للوحدات الخاصة السورية. في هذا الوقت طلبت من يوسف البعقليني أن يطلق ما أمكن من قذائف الار بي جي باتّجاه السوريين لتأخيرهم، وطلبت من جان الانسحاب، وغطّيته باطلاق النار باتّجاه السوريين ثم فعل هو الشي نفسه لأنسحب أنا، واستمرّينا هكذا حتى وصلنا الى نقطة التجمع قرب مقابر البلدة لجهة مزرعة بني صعب، وتأكدت ان جميع المقاتلين أصبحوا خارج قنات باستثناء ميشال حداد الذي استشهد».

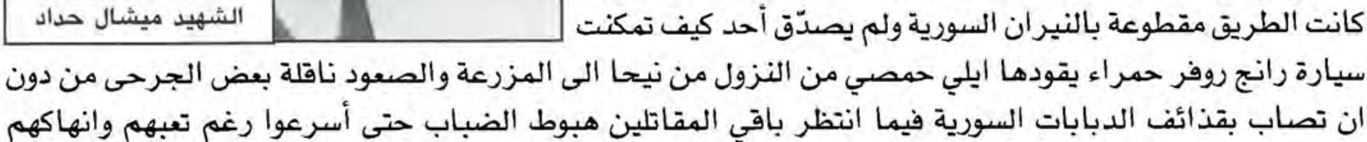
ويقول ابراهيم حداد: «كانت الكلفة ستكون أكبر لولا بسالة بول شدياق الذي كان أول من كشف وسط الضباب الكثيف تسلل مجموعة سورية الى الساحة أصبحت على بعد أمتار من مركز المغاوير، فأمطرهم شدياق بالرصاص من مسافة قريبة، فقتل خمسة منهم قرب باب المركز وصرخ برفاقه: «السوريون يطوّقوننا علينا الخروج بسرعة».

حصل اشتباك عنيف وتمكّن الجميع من الخروج والتراجع باستثناء ميشال حداد الذي ظلّ يطلق النار من الجهة المقابلة حتى أصيب برصاص السوريين وسقط شهيداً».

يضيف حدّاد: «في هذا الوقت، كان فؤاد أبو ناضر يتوجّه الى الساحة لسحب الشباب، فشاهد عدداً من الجثث، فظنّ أنّها لشباب المغاوير. وقال ليوسف بعقليني ان المغاوير في الساحة قتلوا جميعهم. فأصيب الشباب بالوجوم. وعندما وصل الجميع الى نقطة التجمع تحت مقابر قنات، فوجئوا بوجود الجميع بإستثناء ميشال حداد الذي بقيت جثته في ساحة قنات وتسلّمناها من الصليب الاحمر فيما بعد».

الشهيد ميشال حداد

اثر انسحاب نحو ٧٠ مقاتلاً من قنات الى مزرعة بني صعب، بدأ السوريون التوغل في البلدة. وعند وصول المقاتلين الى المزرعة، كانت الطريق مقطوعة بالنيران السورية ولم يصدّق أحد كيف تمكنت



سيارة رانج روفر حمراء يقودها ايلي حمصي من النزول من نيحا الى المزرعة والصعود ناقلة بعض الجرحى من دون ان تصاب بقذائف الدبابات السورية فيما انتظر باقي المقاتلين هبوط الضباب حتى أسرعوا رغم تعبهم وانهاكهم بالصعود الى نيحا قبل انقشاع الرؤية وتعرّضهم للقصف السوري.

بشير يتفقد الجبهة

الساعة السابعة مساء يوم الاحد ١٧ شباط ١٩٨٠، توقّفت الاشتباكات وصمتت المدافع بعد أيام من القصف العنيف. وتفقّد قائد القوات اللبنانية الشيخ بشير الجميل منطقة الاشتباكات، والتقى المقاتلين واطّلع على سير المعارك والنقاط التي تمّ التمركز فيها. كما تفقّد العائلات التي هجرت قراها مع فرق الانقاذ التي أرسلها المجلس الحربي الكتائبي لتأمين المساعدات والإسعافات الاولية للجرحى.

بوب حداد وحبيب نمور

وفي بيروت، عقد المجلس الصحي الاجتماعي والمصلحة النسائية في حزب الكتائب والمسؤولون الحزبيون عن الخدمات الصحية في الشمال وجبل لبنان اجتماعاً عرضوا فيه ظروف المهجرين الشماليين، وتقرّر تأليف لجنة لتقصّي أحوالهم والعناية بهم. ووجّه المجتمعون نداءً الى المواطنين الشماليين للاتّصال بالمستوصفات الكتائبية في المناطق التي ينزحون اليها.

وصدر في الحادية عشرة ليل الاحد عن قيادة قوة الردع البلاغ الاتي: «عطفاً على بلاغها في تاريخ ١٥-٢-١٩٨٠ حول حادث بلدة قنات في قضاء بشري، تعلن قيادة قوة الردع العربية أنها أنهت في الساعة السادسة عشرة من تاريخ اليوم ١٧-٢-١٩٨٠ عملية التمشيط التي بدأتها في قرية قنات لاستعادة حاملة الجند التي أعطبت وجثث العسكريين الذين استشهدوا فيها، اذ أن مسلحي الميليشيات في البلدة والتلال المجاورة كانوا قد حالوا دون استعادتها في حينه.

ان قوات الردع العربية أنجزت تنظيف القرية من المسلحين وأوقفت عدداً منهم مع أسلحتهم رهن التحقيق. كذلك

مشّطت مزرعة بني صعب التي لجأ اليها قسم من المسلحين في أثناء العملية، وقد اضطرّت في أثنائها الى اسكات مصادر النيران ملتزمة الى أقصى الحدود بعدم إصابة الأهلين الأبرياء.

انّ هذه العملية التي لم يكن هدفها سوى استعادة الجثث والسيارة، قد توقّفت كما توقّف نهائياً اطلاق النار، وطلب من كل الاجهزة الادارية المعنية العمل بكلّ جهدها لإعادة الحياة الى مجراها الطبيعي في المنطقة.

ان قيادة قوات الردع العربية تدعو جميع المواطنين في المنطقة والذين اضطرّتهم ظروف العملية الى ترك منازلهم العودة اليها اعتباراً من صباح غد خصوصاً أهالي قرية قنات ومزرعة بني صعب».

في المقابل، قالت مصادر كتائبية ليلاً: «ان وقف اطلاق نار غير معلن بدأ في قرى الشمال الجبلية منذ الساعة السادسة والنصف من مساء الاحد بعدما تمكّن الاهالي من صدّ الهجمات التي استهدفت قراهم وكبّدوا المهاجمين السوريين خسائر كبيرة في الأرواح والعتاد».

سمير وبشير بعد معركة قنات

بعد صدور بيان عن قوة الردع يعلن عن سقوطها، أوضح مصدر من اهالي قنات «ان الهدف من المعارك الطاحنة التي دارت حولها كان كسب الوقت لتحصين التلال المشرفة على البلدة وبعد انتهاء التحصينات جرى انسحاب تكتيكي من البلدة في اتّجاه التلال التي أصبحت في قبضة الاهالي».

وأضاف المصدر «ان بلدة قنات هي هدف لنيران الاهالي وبالتالي لا قيمة استراتيجية لها بالنسبة الى القوات السورية».

سيطر السوريون على قنات ومزرعة بني صعب وبدأوا سحب جثث جنودهم من الطرقات والحقول ورسمت خطوط دفاع جديدة في مواجهة القوات السورية عبر محاور نيحا وحردين مروراً ببيت كساب وصولاً الى دير بلاّ قضاء البترون.



استراحة المقاتلين في نيحا

نيحا خلال معركة قنات

المساندة والتنصت

كانت المساندة في معركة قنات مؤلفة من قسمين:

- المساندة المباشرة: وتولاّها ايليانور فضول وطوني وردان وجورج شيبان وفؤاد ضومط وسعيد (الارنب) ويوسف حرب وأبو جمال من الجيش اللبناني وهو رامي صواريخ ميلان بالإضافة الى الياس سركيس وأبو وجيه من نيحا....



اليانور فضول وبطرس خوند

كان ايليانور فضّول يرمي على رشاش ٨٠٠، وسجّل فعالية لافتة، كما تمكّن يوسف حرب من إصابة دبابة سورية بمدفع ٨٥ مباشر في أعالي برحليون، وهذه الدبابة كانت تركز قذائفها على مدرسة قنات وتزعج الشباب هناك كثيراً. وقال له الدكتور جعجع عندما علم بإصابة الدبابة «أرحتنا منها». كما أصيبت دبابة اخرى على مفرق بيت منذر الجهة الشمالية الشرقية لقنات.

ويروي يوسف حرب «خلال المعركة نزلت مع الدكتور سمير جعجع ونادر سكر ومسعود الحويك وجورج انطون وأبو جمال من نيحا الى الارز الذي يطلّ على قنات قرب مقالع الرمل تحت حدث الجبة في محاولة لضرب الدبابات السورية فوق بيت منذر، ورمى أبو جمال صاروخ ميلان على إحدى الدبابات التي كانت تستهدف مدرسة قنات لكن الصاروخ انفجر امامها بنحو ٢٠٠ متر ولم يكن مداه كافياً لاصابتها فعدنا خائبين».

الشهيد فؤاد ضومط

استشهد من المساندة فؤاد ضومط بعدما أصيب في قصر حردين بقذيفة دبابة سورية أطلقت من مرتفعات برحليون ويروي جورج شيبان: «القذيفة التي قتلت فؤاد أصابتني وقذفني عصفها بعيداً وأصيب أيضاً ايليانور فضول وطوني وردان من حدشيت وسعيد الأرنب من حردين».

وكان نصب قبل المعركة مدفع ٨٠٠ في أرز حدث الجبة استهدف الدبابات السورية على مفرق قنات وتبدّل عليه عدد من الشباب منهم زعيتر عبيد وجميل طوق...



مريض لحفد وبدا في الصورة جاك عبّود، ايلي اسبر، دافيد د.، نجيب كلش والياس الحويك

- المساندة غير المباشرة كانت مؤلفة من عدد من مرابض مدافع الميدان ويقول الياس الحويك: «كان هناك مربض أساسي في لحفد وغرفة عمليات في حدتون. وأثناء معركة قنات، أنشىء مربض دوما الذي ضمّ ثلاثة مدافع ١٢٢ ملم كانت موضوعة في نادي البلدة وتمّ ربضها على عجل.

ويضيف: «خلال خمسة أيام قَصف مربض دوما نحو ٢٥٠ قذيفة فقط وكنا نطلقها عند الضرورة وعندما يبدأ التحرك السوري، فيما قصف مربض ١٥٥ ملم في لحفد بقيادة بيار عبيد نحو ٢٠٠ قذيفة، وكذلك مربض كفور العربة الذي وضع فيه ثلاثة مدافع ١٢٠».

ويروي يوسف حرب: «هذا المربض المستحدث تم ربضه بسرعة في جنينة تفاح، وبسبب الطقس المثلج والوحول، أصبحت فوهة المدافع قريبة من الارض وصار بالامكان تذخيرها من دون عناء لانه كان كلما يطلق المدفع قذيفة ينزل قليلاً في الارض حتى كاد يختفي. وقال طوني رحمة (الصغير) للدكتور جعجع بلهجته البشراوية «يا حكيم صار فيّي حطّ القذيفة» وطوني كان أصغر شباب الشمال سناً في ثكنة القطارة».

ويتذكّر الياس الحويك «انّ المدافع كانت تقصف محيط قنات من جهة حدث الجبة ومنطقة ديرونا ومرتفعات برحليون لمحاولة إقامة خط نار في محيط قنات. كما قصف مربض لحفد الذي كان يضم مدفعين عيار ١٥٥ ملم بعض المرابض في الكورة (كفرحزير وعابا)».

ويضيف الحويك: «كان بادو عيسى الخوري مسؤولاً عن مدفعية جبهة الشمال وكان يعمل في المرابض مجموعة من شباب الكورة منهم الياس عبيد ونجيب كلش وجاك عبود وميشال نخلة وايلي اسبر ووليد عيسى والياس الزغبي... وكان هناك مجموعة من دوما تخضع للتدريب منها جورج عيسى والزير وندرة معلوف... ومجموعة من حدشيت وطوني عيد وميلاد.... وبشارة جعجع ويوسف الخوري الذي أصبح فيما بعد مسؤولاً عن المدفعية في الشمال».

ويتابع الحويك: «كان التواصل صعباً بين المرابض والجبهة، وكان الطقس مثلجاً وعاصفاً، ولم يكن لدينا آلية لنقل الطعام او القذائف الى المرابض. وفي معركة قنات، كانت المرة الاولى التي استعملت فيها مدافع الميدان في جبهة الشمال وخصوصاً مدافع ١٥٥ ملم. ومنذ ذلك الحين عرفنا أهمية المدفعية في المعركة».

ويتابع الحويك: «لم نكن مستعدين لهذه المواجهة وكان هناك خوف كبير، فلم نكن نعرف حقيقة ما يحصل وماذا نفعل، وعند انتهاء المعركة أعطيت معنويات ضخمة للشباب وصوّر ما قمنا به على أنه إنجاز كبير، فأحسسنا اننا انتصرنا على الاتحاد السوفياتي».

اما بالنسبة لسلاح المدرعات، فكان غائباً تماماً عن المعركة وحاولت ثلاث دبابات سوبر شيرمن دعم الجبهة والوصول الى نيحا، فانهار حائط الطريق وانقلبت احداها على مفرق كفرحلدا وتعطلت الثانية قبل وصولها الى الجبهة، ووصلت دبابة واحدة الى نيحا استعملت بشكل محدود ثم تعطلت، وقام شباب المدرعات بأعمال اخرى واستشهد ثلاثة منهم وهم ينقلون الذخائر من نيحا الى قنات.

كان في غرفة العمليات في نيحا الى جانب سمير جعجع، نادر سكر ومسعود الحويك وجوسلين خويري وجو ادّه، وكان جورج حمورة مسؤولاً عن الاشارة ومعه تويا سكر وجورج انطون...

تمكّن جهاز التنصت من تسجيل فاعلية لافتة لاول مرة ولعب دوراً مهماً في تفادي الخسائر، إذ أن الرصد السمعي كشف الكثير من إحداثيات المدفعية السورية وتمكن «فان» يضم أجهزة التنصت (روكي) ويديره ندي ج. من رصد معظم اتّصالات وتحركات الجيش السوري، وكانت غرفة العمليات تضع الشباب في قنات بتفاصيل التحركات السورية.



النصب التذكاري لشهداء قنات

جولة المطرانين صفير ونجمة بعد المعركة

بعد خمسة أيام من سيطرة القوات السورية على قنات، انطلقت صباح السبت ٢٣ شباط من طرابلس باتجاه البلدة تسع سيارات مدنية وبعض الشاحنات العسكرية، وضمت القافلة المطران الياس نجمة راعي ابرشية طرابلس للروم الكاثوليك والنقيب حسن عن قوات الردع العربية وضابطي الارتباط فايز عازار ونبيل حسون وبعثة الصليب الاحمر الدولي ومعها السيد هنري فورتيه مندوب اللجنة الدولية في لبنان وعدداً من الصحافيين والمراسلين.



المطران نجمة يتفقد المدرسة المدمرة برفقة ضباط سوريين

عند مدخل قنات، ترجّل جميع من في الموكب وتوجّهوا سيراً على الأقدام الى داخل البلدة، وقصدوا المدرسة التي شهدت أشرس المعارك ودمّرتها القذائف، ثمّ الى الكنيسة الاثرية. وروى مندوبو الصحف ان أحد الضباط السوريين تناول بعض الخرطوش الفارغ وأطلعهم على الكتابة الموجودة عليه وهو من صناعة اميركية [illegible] سرية، وقال الضابط السوري النقيب [illegible]: «انّ ما تعرّضت له الكنيسة من قصف [illegible] جوات جاء من جهة الشرق [illegible] كانت تتمركز الميليشيات المسلحة [illegible] وتلة حردين المواجهة لقواتنا [illegible] لكي لا تصاب الكنيسة بأية اضرار [illegible] منازل المجاورة لها، لان هدفنا كان [illegible] قصف الذي نتلقاه».



ويتفقد الكنيسة

وأضاف النقيب حسن: «مهمتنا الآن هي العمل على تأمين عودة جميع أبناء البلدة الذين غادروا منازلهم التي عملنا على الحفاظ على محتوياتها. وكلّ أبناء قنات والقرى المجاورة بإمكانهم العودة الآن. ولدينا معلومات ان هناك بعض الاشخاص من البلدة شاركوا في المعارك، قتل البعض منهم وأسر البعض الاخر».

صباح الاثنين ٢٥ شباط ١٩٨٠، زار المطران نصرالله صفير قنات موفداً من غبطة البطريرك خريش يرافقه المونسنيور إميل شاهين والاب سمير مظلوم رئيس كاريتاس، والأخت انطوانيت خوري مسؤولة الخدمات الاجتماعية في كاريتاس، والملازم اول فياض كوسا ضابط الارتباط.

وتسلّم المطران صفير من السيد عبد الرحمن عبد الرحمن مسؤول منظمة حزب البعث في طرابلس والذي سبقه الى البلدة محتويات الكنيسة والسجلات العائدة للرعية ولابناء البلدة وسجلات العماد وألبسة الكهنة.



مسؤول الصليب الأحمر الدولي في المزرعة



المطران صفير في الكنيسة مع عبد الرحمن وضباط سوريين

عبد الرحمن يسلم محفوظات الكنيسة للمطران صفير

وسألت جريدة «الإنشاء» المطران صفير قبل مغادرته قنات ما هو شعورك بعد هذه الجولة؟ فأجاب: «لا أملك إلاّ الاسف لما شاهدنا من خراب ودمار وتشريد، وإننا نأمل أن يعود الاهالي في أقرب وقت الى منازلهم وقراهم وأن يسود الامان ويعمّ السلام ... وهذه امنيتنا»... .

بشير: معركة قنات توازي حرب المئة يوم

بعد أيام من معركة قنات، وفي لقاء حاشد دعت اليه الهيئة الشعبية الكتائبية في قاعة المحاضرات التابعة لمدرسة راهبات القلبين الاقدسين في الأشرفية قال بشير الجميل: «نحن اليوم خارجون من معركة جديدة، توازي بأهميتها وبأبعادها حرب المئة يوم التي تعرّضت خلالها الأشرفية وغيرها من المناطق الى شتّى أنواع الترهيب والتدمير. ففي ضيعة قنات الصغيرة التي دخلت التاريخ من بابه الواسع، خاضت القوات اللبنانية معركة من أشرس معاركها. على مدى ستة ايام متواصلة، قاوم أربعون من مقاتلينا الأبطال ما يزيد عن الثلاثة آلاف جندي سوري، هم من أقوى فرق الجيش السوري، وأعني بهم الوحدات الخاصة، الذين تعرفنا عليهم في الكيك هاوس وبرج رزق (حرب المئة يوم) واستطاع رفاقنا وهم القلّة الفاعلة تفشيل المخططات وكلّ الحسابات السورية ... لقد انتصرنا في معركة كلّنا نعرف ان الجيش السوري كان يحاول من جديد تركيع القوات اللبنانية والجبهة اللبنانية تمهيداً لفرض شروط معينة بكلّ الوسائل، فالعملية لم تكن أساساً التمسك بقنات أو البقاء فيها، لأنّ هذه القرية ساقطة من الناحية العسكرية... وأصبحت المعركة بمثابة حفلة كباش بيننا وبين السوريين الذين تعرفون جميعاً وضع قواتهم في الشمال الآن».



بشير الجميل يشرح ملابسات معركة "قنات"
لبنان لن يكون جزءاً من سوريا
نتفاوض مع من يعرف ما يريد
والذي لايعرف فليذهب الى وفاق بعبدا

ما وراء المعركة



فوزي الراسي ومجموعة من مقاتلي الشمال

شارك في معركة قنات وان بدرجات متفاوتة:

- من قنات : بدوي ضومط (ابو طوني)، شليطا حنا البدوي، بدوي حنا البدوي، مطانيوس حنا البدوي، جان شليطا البدوي، منصور جعجع، مايك شليطا البدوي، شليطا بو هيا، يوسف شليطا بو هيا، يعقوب طنوس خطار، ميشال انطون، جوزيف انطون، شينا فضول، يوسف اسماعيل الخازن، خازن يوسف الخازن، طوني يوسف الخازن، شليطا مسيح شبح، سركيس يوسف طنوس، جوزيف شينا ضومط، شليطا شينا ضومط، جان يوسف موسى، بسام يوسف موسى، شارل طنوس اسطفان، يوسف سركيس نقولا، شليطا سركيس نقولا، شليطا حبيب جمعة، يوسف سعد، ، طوني يعقوب ملحم، ميشال صليبا اسطفان، جورج شليطا البدوي، شليطا سركيس نهرا (اصيب في اليوم الاول)، اديب منصور جمعة، جورج زيدان ايليا، مطانيوس جرجس زعيتر، رزق يوسف رزق، جورج شينا فرنسيس، شليطا الياس سعد، مخايل يوسف البدوي.

و قاتل مع شباب قنات «عوض» سوداني الجنسية كان يعمل لدى فهد جعجع وفاجأ الجميع بقدرته القتالية وكان يقول لأهالي قنات «أنا معني بما يحصل معكم وأنا واحد منكم».



سمير جعجع بعد المعركة

- وشارك أيضاً: مخايل سابا ابي جبرايل، يوسف الطحان، فارس الطحان، جورج الطحان البير العيناتي، ايلي جبرايل، بطرس سابا، قزحيا كساب، ادمون كساب (الشاوول)، انطون كساب (الجاموس)، سليمان واميل الحويك، سهيل وغسان منسى، يوسف ديب، جرجي ابو رزق، يوسف المطران، حارس المطران، كمال جرجس كمال ، فريد جريج، اسعد عريضة، هاني رحمة، دانيال القبوط، جوزيف الضوي رحمه، سهيل منسى، غسان منسى، بول عنداري، طوني مرقس، جورج شدياق، يوسف خوري، فوزي الراسي، اندريه عبيد، سيمون الاغا، جوزيف العتيق، بيار خوري وجوزيف الروملي...

- أما من الوحدات المركزية: وحدة المغاوير التي شاركت على دفعتين وكانت بقيادة ابراهيم ضاهر وابراهيم حداد ومارون غنام وضمت الياس الخوري، طوني جبور، جورج دكاش، بطرس جريش، جان حايك (ابو نجوى)، فرج عبجي، ايلي بهنام، سليم تنكرة، جورج قزي، ميشال مكرزل، جان جبور، ميشال الشامي، ريمون المر، حبيب نمور، كميل نمور، يوسف بعقليني، غسان يوسف، طوني بحوت، بشارة عضيمي، بول شدياق، اميل الحويك، سليمان الحاج موسى، جوزيف ابو الياس، طوني سعد،



لائحة مطلوبين على الحواجز السورية

خليل ابو خليل .... واستشهد منها ميشال حداد .

– وحدات الدفاع – ادونيس كانت في المواقع الاصعب بقيادة حنا العتيق واستشهد نائبه ريشار نجاريان وكان معهم عدنان (ابو مارون)، شارل حبيقة، حنا ابراهيم، جوزيف زينة، لطوف يزبك، بوب عواد، جان خوري (البوي)، متري الحاج، نصري راشد، عصام خوري، نديم كرم، عبد الساتر، سليمان الدرزي، بيار فرح، كابي عيد، جورج قصاص وتوفيق الحلو... اصيب منها ١٣ عنصراً.

– بلغت خسائر الجيش السوري في ٦ أيام أكثر من ٢٥٠ قتيلاً و٣٠٠ جريحاً نقلوا الى مستشفى البترون وطرابلس، وكان السوريون ينقلون قتلاهم وجرحاهم بالشاحنات العسكرية.

– كلّ هجوم سوري على البلدة كان يقدر بنحو كتيبة من القوات الخاصة السورية التي زُوِّد عناصرها بثياب خاصة بالثلج ومماشط إضافية بلاستيكية ومواد غذائية وجدت في ثياب الجثث.

– كان القصف السوري يتوقف أثناء مرور الآليات السورية من برحليون الى حدث الجبة ليلاً لتفادي القصف المباشر من نيحا، إذ لم يكن بالامكان رميها بسهولة من قنات لأنّها كانت مرتفعة.

– معظم الشباب الذين لم يصابوا في المعركة خرجوا من قنات مرضى وبعضهم دخل الى المستشفيات بسبب تعرّضهم للبرد والثلوج والامطار وعدم نومهم لفترات طويلة.

– استغرب الشباب عند نزولهم الى بيروت بعد المعركة الحياة الطبيعية التي يعيشها الناس، عجقة سير وحركة لا تهدأ في الأسواق ومطاعم تعجّ بالرواد فيما هم قادمون من جحيم الموت والصقيع وهذا ما أثّر الى حدّ ما على معنوياتهم.





القوات الخاصة السورية التي هاجمت قنات

"النهار" الخميس ١٤/٢/١٩٨٠

جبهة الشمال اشتعلت مجدداً
٣ قتلى و١٤ جريحاً والاشتباكات مستمرة في قنات

احتدم الوضع الامني مجددا في منطقة الشمال امس، ودارت اشتباكات عنيفة بالمدفعية بين "قوة الردع" وعناصر من مهجري الشمال من انصار حزب الكتائب. وحتى ساعة متقدمة من الليل كانت الاشتباكات مستمرة والقذائف تتساقط على محاور القتال، خصوصا في قرية قنات الفاصلة بين قضاءي بشري والبترون.

وذكرت معلومات ان التراشق ادى الى سقوط ٣ قتلى وعدد من الجرحى بينهم ثلاثة جنود من "الردع".

وقالت مصادر في طرابلس ان اتفاقا كان تم قبل يومين بعد اشتباكات الاسبوع الماضي، يقضي بعدم دخول مسلحين قنات والامتناع من قصفها.

وقد وافق الاطراف المعنيون على هذا الاتفاق وعرفت البلدة ايام السبت والاحد والاثنين هدوءا تاما، الا ان مسلحين اطلقوا مساء الثلثاء قذيفة "ار.بي.جي" على ملالة لـ"الردع" عند المفترق المؤدي الى قنات على طريق طرابلس - بشري، فاصيب ثلاثة جنود بجروح.

وتلا ذلك تراشق عنيف باسلحة رشاشة بين "قوة الردع" المتمركزة على المفترق والمسلحين المتمركزين في مدرسة قنات الرسمية والدير اراد عددهم. وسرعان ما تطور التراشق بالرشاشات الى قصف مدفعي بدأ قرابة الثالثة والنصف فجر الاربعاء واستمر على الخامسة صباحا.

وفي العاشرة قبل الظهر عنف القصف المدفعي وراحت القذائف تتساقط بغزارة في البلدة وعلى سطوح القرى المجاورة، ووصلت قذائف الى كرمسدا وعين عكرين في قضاء الكورة. واستمر التراشق عنيفا حتى الثانية بعد الظهر ثم توقف حتى الخامسة.

وافادت معلومات وردت على الجهزة الامن ليلا ان الاشتباكات استؤنفت على المحاور نفسها.

وتحدثت معلومات شبه رسمية عن وقوع ثلاثة قتلى و١٤ جريحا، وان احد القتلى سقط في مدرسة قنات والاثنين الاخرين في البلدة.

وفيما كانت الاشتباكات دائرة في قنات، حصل تراشق بين "الردع" المتمركز في مفرق دوما في المنطقة الوسطى من قضاء البترون والمسلحين في بلدتي العلالي وشطين. وقد استعملت في التراشق قذائف مدفعية.

واعلن ظهرا عن اقفال المدارس الرسمية والخاصة في دوما وجرود البترون وبعض مناطق الكورة، خصوصا اميون وجوارها، وذلك الى اشعار آخر.

وظهر امس ادلى مصدر مسؤول في "المجلس الحربي الكتائبي" بالمعلومات الآتية:

"تدور الآن في منطقة الشمال معارك ضارية بين الاهالي وعسكر الاحتلال السوري، يعاونه مسلحو سليمان فرنجيه والقوميون السوريون والشيوعيون.

وفي ما يأتي مسلسل الاحداث خلال الـ ٢٤ الساعة الاخيرة:

صباح يوم الثلثاء في ٨٠/٢/١٢ طلب من سليمان فرنجيه اخبار القوات السورية اهالي بلدة قنات الاسقفي قضاء بشري باخلاء قريتهم قبل الساعة الاولى من بعد الظهر، لكي يتسنى لمسلحي فرنجيه دخول القرية والتمركز فيها. ولما رفض الاهالي الرضوخ للتهديدات شن السوريون عند الساعة الرابعة بعد الظهر هجوما عنيفا مهدوا له بقصف غزير من مدافع الهاون عيار ١٢٢ ملم و١٢٠ و١٥٢ ملم.

استمرت الاشتباكات حتى الساعة ١٢ ليلا، وشمل القصف السوري قرى شطين وضهر القطلب.

خلال ليل ١٢/١٣ شباط الجاري هدأ القصف نسبيا، وقد استخدم السوريون قذائف الميدان المضيئة.

وعند الثامنة من صباح الاربعاء ٨٠/٢/١٣ تجدد القتال بين اهالي بلدة قنات والمهاجمين، وقد تمكن الاهالي من تدمير حاملتي جنود من طراز "بي.تي.آر" تدميرا كاملا، واستطاعوا الاستيلاء على شاحنة مليئة بالذخائر والاجهزة اللاسلكية.

استشهد احد ابناء البلدة وجرح اربعة منهم. الوضع العسكري ممتاز".

"النهار" - "الاتحاد اللبناني" الجمعة ١٥/٢/١٩٨٠

قنات تتعرض لقصف مدفعي والقذائف تتساقط في جرود البترون

الوضع الامني في منطقة الشمال تفاقم امس اذ استمرت الاشتباكات التي بدأت قبل ايام بين عناصر من "الردع" وعناصر من المهجرين الشماليين من انصار حزب الكتائب، وازدادت عنفا.

وافادت المعلومات الوارده من الشمال ان الاشتباكات تركزت في بلدة قنات (قضاء بشري) خصوصا في محيط مبنى المدرسة الرسمية وبعض المنازل حيث يتحصن اهالي البلدة والمسلحون الكتائبيون، كذلك وقعت محاولات اقتحام استعملت فيها اسلحة رشاشة ومدفعية ثقيلة.

وكانت اصداء القذائف تسمع حتى طرابلس، وسقطت قذائف كثيرة في القرى المجاورة لقنات ومنها سبعل ومزرعة ابو صعب وحردين في قضاء البترون.

وكان التنقل على طريق بشري - الكورة حذرا بسبب القنص الذي استهدفها.

معلومات كتائبية

وروى مصدر كتائبي احداث يومي الاربعاء والخميس، قال:

"- الساعة الثانية عشرة ظهر الاربعاء: قصفت قنات قصفا مركزا استمر حتى الرابعة بعد الظهر وعاود السوريون محاولة دخول القرية فصدوا وتكبدوا خسائر فادحة في الارواح.

ومن الرابعة بعد الظهر حتى منتصف ليل الاربعاء - الخميس توزعت القذائف الثقيلة على كل القرى المحيطة ببلدة قنات حتى حدث الهدوء.

- الخميس ١٤/ ٢/ ٨٠: بدأ السوريون قصف قنات من الساعة السادسة صباحا. والساعة العاشرة جرت محاولة لاقتحام البلدة ووقعت اشتباكات بالاسلحة الخفيفة والمتوسطة ورد المهاجمون.

- الساعة الحادية عشرة قصفت الدبابات السورية منازل قرية قنات منزلا منزلا من تلة برحليون وتساقطت القذائف على قرية قنات والقرى المجاورة (سبعل، مزرعة ابو صعب، حردين) من مرابض مدفعية السوريين الموجودة في عاصا وكفرحزير وشبطين وغيرها".

واصدر "تجمع شباب بشري" بيانا دعا فيه الدولة الى اتخاذ مبادرة بانزال الجيش في المنطقة و"سحب السوريين منها".

وجاء في البيان: "الشعب المسيحي في الشمال يتعرض لابشع انواع التنكيل والابادة. القرى المسيحية في قضاء بشري تقصف. بلدة قنات قرية مسيحية من قرى قضاء بشري تتعرض للتدمير بالدبابات السورية والمدافع الثقيلة. انها تدمر على من فيها علما ان اكثر سكانها هم من الشيوخ والنساء والاطفال (...) القصف السوري الوحشي الذي تتعرض له بلدة قنات والقرى المجاورة ليس لطرد الغريب منها، وهم اصلا ابناؤها (...) انه يهدف الى ابادة الشعب المسيحي في قضاء بشري. من هنا رأينا ان نعلن، نحن تجمع شباب قضاء بشري، علنا اننا لا نسعى الى اي حرب او تحطيم، اننا لن نتساهل مع القوات التي تدعي حفظ الامن في المنطقة وهي تنسف الامن والامنين لاغراض لا تخفى على احد. القوات السورية تعمد الى ابادة الشعب في الشمال خدمة لمصالح سليمان فرنجيه (...) وهذا لن يتم.

نطالب الحكومة بسحب السوريين من منطقة بشري وتسليم الامن فيها الى الجيش اللبناني".

"النهار" السبت ١٦/٢/١٩٨٠ الصفحة ٦

التراشق المدفعي شمل قرى في بشري والكورة والبترون
"الردع": نمشط قنات... والعمليات مستمرة
الكتائب: كنيسة البلدة الاثرية ومنازلها دمرت
نزوح كثيف وخريش يطالب سركيس بالتدخل لوقف القصف

بلدة ... كما بدت بعد ظهر امس خلال القصف.



(جورج سمرجيان)

الاشتباكات في منطقة الشمال المستمرة منذ ايام بين "قوة الردع" وعناصر من المهجرين الشماليين من انصار حزب الكتائب، بلغت ذروتها امس. وقد اتسع نطاق التراشق المدفعي والصاروخي الذي تركز قبلا على بلدة قنات الواقعة بين قضاءي بشري والبترون، بحيث شمل قرى عدة في القضاءين، وكذلك في قضاء الكورة.

ومن القرى التي شملها القصف امس، اميون وكفتون العربة وسبعل ومزرعة كساب وكفرحلدا وبيت شلالا ومزرعة ابي صعب وكفرحلدا وبساتين العصي وحردين.

واكثر القرى تضررا كانت قنات التي تضررت معظم منازلها والكنيسة الاثرية فيها والمدرسة الرسمية. وقد خلت البلدة من سكانها ولم يبق فيها الا المسلحون.

وكانت المعلومات الواردة من طرابلس، افادت ان الاشتباكات انحصرت فجراً في محور قنات بعد ليل شهد قصفا واسعا لمراكز عدة بين الطرفين المتقاتلين. وقد سقطت قذائف مدفعية وصاروخية في مختلف الاماكن الممتدة بين جرود منطقة البترون واعالي الكورة ومحور قنات ومزرعة ابي صعب وبرحليون.

وذكرت مصادر امنية في الشمال ان معركة عنيفة وقعت قبل الظهر وسقط فيها عدد من القتلى والجرحى، وتوجهت سيارات اسعاف البترون ان قرى المنطقة كلها تأثرت بالمعارك الناشبة في الشمال والتي بدأت تطورها منذ ظهر الاربعاء الفائت. وروى الاهالي ان قرى حدثون وبحملة ودوما وبيت شلالا وكفرحلدا وحردين تعرضت للقصف مما ادى الى نزوح معظم الاهالي الى مناطق قضاء جبيل الساحلية. وفرغت كليا من اهلها بلدتا بيت شلالا وكفرحلدا، وقالوا ان بلدة دير بلا تعرضت بادىء الامر لهجوم مماثل من بزيزا ومزرعة بني صعب وملتقا، لكنها صدت الهجوم ثم انتقل القتال الى بلدة قنات وهي على مفترق الطرق التي تصل قضاء البترون بقضاء بشري، ولا تزال تتعرض للقصف الكثيف بعدما غادرها المدنيون واستمر الحرسيون في الدفاع عنها. اما عسكريا فان قنات تحت مرمى السوريين المتمركزين في بيت منذر الذين يقاتلهم الكتائبيون في رأس جبل سبعل، وهي تتعرض للقصف من بيت منذر ومراكز المدفعية في قضاء الكورة.

ابتداء من ميفوق يشعر الذاهب الى المنطقة ان هدوءا غير عادي يسيطر عليها. في دير ميفوق علمنا ان المهجرين تابعوا كلهم طريقهم الى جبيل.

وفي محلة في جرود البترون التقينا عائلة واحدة باتت هناك نازحة من بيت شلالا. قال احد افرادها خليل حنا خليل: "كنا ظهر الاربعاء في منزلنا عندما سمعنا ...

بني صعب.

- الساعة السابعة صباحا: قصف سبعل ومحاولة تسلل الى بلدة قنات عبر الاودية والتلال المحيطة بها. صد المهاجمون وعطلت لهم دبابة سوفياتية من طراز "ت ٦٢".

- الساعة الثامنة والنصف: توقف القصف ربع ساعة ليعود في شكل هستيري ويشمل قنات ومزرعة بني صعب وحردين وسبعل. قدرت القذائف التي سقطت على قنات وحدها ابتداء من الثامنة والنصف حتى العاشرة بـ ٢٠٠ قذيفة من المدفعية الثقيلة والدبابات بينما قصفت القرى المجاورة بمعدل عشر قذائف.

- الساعة الثانية عشرة ظهرا: محاولة اقتحام بلدة قنات، تكبد المهاجمون خسائر فادحة في الارواح والعتاد.

- الثانية عشرة والنصف: قصف كثيف وهستيري جديد على قنات ومزرعة بني صعب ومزرعة كساب وحردين وديربلا".

ونقلت "الوكالة اللبنانية للانباء" برقية وجهها النازحون من منطقة الاشتباكات في قنات وبني صعب الى رئيس الجمهورية والبطريرك خريش، جاء فيها:

"نناشدكم وضع حد لموجة الهستيريا التي اصابت القوات السورية، انها تقصف بلدتنا بالدبابات والمدفعية الثقيلة. منازل البلدة وكنيستها الاثرية هدمت على من فيها.

المسيحيون يتعرضون لابشع انواع التنكيل والابادة. قرية قنات والقرى المجاورة تدمر على من فيها. موجة النزوح تزداد يوما بعد يوم. نناشدكم العمل على وقف التدمير وسحب السوريين وانزال الجيش اللبناني مكانهم".

كذلك وجه هؤلاء رسالة الى الرئيس السوري حافظ الاسد طالبين "الكف عن دعم سليمان فرنجيه".

تحرك البطريرك خريش

وامس زار بكركي وفد من مهجري بلدة قنات وابلغ البطريرك خريش حقيقة ما يجري في المنطقة والدمار الذي حل بالبلدة وبكنيستها الاثرية.

وقد اوفد البطريرك نائبه العام المطران نصرالله صفير لمقابلة الرئيس الياس سركيس، وتمت المقابلة في الحادية عشرة والنصف قبل الظهر.

ولدى مغادرته القصر قال المطران صفير: "كانت لي مهمة في شأن احداث الشمال. وقد نقلنا لفخامته ما توافر لدى غبطته من معلومات عن الشمال وعن تهجير الاهالي خصوصا من بلدتي قنات وحردين والقرى المجاورة. ونأمل في ان تصطلح الامور ليتمكن الناس من العودة الى منازلهم لان الحال سيئة جدا".

وقال ردا على سؤال: "قد اوجه اليوم الى رعيتنا. وعلى كل حال سيدنا البطريرك على استعداد للمساعدة ...

الوجه الآخر لـ"حرب الأيام الستة" في قرى البترون وبشري والكورة:

مهجرون كباراً وصغاراً بين نار القصف وصقيع الثلج

خسروا جنى العمر وشربوا مطراً وافتقدوا من يهتم بهم

"ثوار الشمال": ٥٠ مدنياً قتلوا في قنات وفي المنطقة ٤ آلاف مقاتل



منزل دمره القصف في كفور العربي.

نسيم نخله فارس وعائلته.





ميخائيل يوسف مع اطفاله وزوجته.

الى اليمين خليل راشد.





الاب مرسيلوس حرب.

ماري عبدالله.

عفيف كنعان.

مهجرون في كنيسة دير مطة.

(جورج سمرجيان)

كتب جورج خليل:

احراس "أحد المرفع" صمتت امس في القرى الواقعة على حدود قضاءي البترون وبشري، بعضها احرسته القذائف وما سلم منها لم يعد من يقرعه، الجميع في وجوم وخوف، كل يحمل فراشه ويهرب، اطفال وشيوخ ونساء طلبوا الامان من حرارة القصف ليقعوا فريسة صقيع الثلج، كثيرون انتظروا احبارا من قنات، خط التماس، ليطمئنوا الى ذويهم، رحل هو وزوجته الحامل واطفاله السبعة قبل انبلاج الفجر بالنهار في الاحراج، وكهل انقذته العناية من منزل فيه جنى العمر!

اربعة ارغفة مونة عائلة لاربعة ايام، ثلاثة مواطنين كتب عليهم الفناء وهم ينقلون الزاد الى اقربائه على ظهر الحمار.

وعمرها ماس كتب على من حمل الهموم وعاش امنا.

طرق المنطقة التي تترحم على اسفلتها بالذات المنطقة زادتها القذائف عقرا واعاقت هرب المهجرين، ومساء الخميس توسع نطاق القصف ليشمل كفور العربي وكفرحلدا وبيت شلالا ودوما ومشمشي وحدثون بعدما كان مقتصرا على محيط قنات، اي سيحا ودير بلا ومزرعة بني صعب.

اجواء "الجبهة" لم تكن مشجعة مساء السبت لدخول قنات او دارت طوال النهار معارك شهدت قصفا وكرا وفرا بين المتقاتلين، وبقي التوتر قائما او ان القصف خف مع حلول الظلام.

وصباح الاحد اشتد القصف مجددا ورددت المنطقة اصداء القذائف.

كيف كانت الحياة في القرى المجاورة لقنات؟

سيحا وكفور العربي

سيحا التي تبعد ٧ كيلومترات عن قنات لم يسمح للصحافيين دخولها لتعرضها لرمايات مباشرة.

وفي قرية كفور العربي، وتبعد عن سيحا ٣ كيلومترات ادى القصف الى مقتل حافظ عادل كنعان (١٢ عاما) بينما كان داخل منزل نقولا حرون، واصيبت المنازل المجاورة بعدد من القذائف الحقت بها اضرارا.

موظف سابق في الدولة طلب عدم ذكر اسمه حدثنا عن الوضع الذي تعيشه هذه القرية "قضينا الجمعة في وقت عصيب، نزل علينا نحو مئة قذيفة من عيارات مختلفة، كان في القرية ٥٢٠ مواطنا هجروا الى حمل وحوبيه وحيث لهم اقرباء وبقي منهم عدد ضئيل، نعاني انعدام المواد الغذائية: لا كهرباء، وهي انقطعت منذ الهجوم على دير بلا ولا تزال، ولا طرق آمنة لاحضار الخضر، لا غاز ولا كاز ولا مازوت ولا ماء، لاتزال منذ ثمانية ايام منقطعين عن العالم، لا استطيع ان افهم لماذا اهملنا المسؤولون؟ ما هي خطيئتنا في هذه القضية؟ ابن ادهب بوالدتي (٩٠ عاما) ابن اهرب؟ والذي اضطر الى ترك عمله والعودة الينا لنلا تحت القصف من أجل زوجته واولاده الثلاثة، نحن لسنا ضد السوريين، نحن وهم اشقاء، ولكن، هل عاملونا معاملة الشقيق؟ الهرب محظر وحرام الا يستطيع الانسان النوم في منزله مرتاحا وآمنا بين هذه الصخور!".

ماري عبدالله (٦٠ عاما) من كفور العربي قالت والدمعة في عينيها "متضايقين كثير وقاعدين بالزوايا، ولادنا تشتتوا وعنا جوع ونصير واهانات، وما حدا بيعرف شي عن حدا وما عنا شي غير الشتارية بالضيعة، بدنا من المسؤولين يرجعونا عابيوتنا، ما بعرف وين اولادي، راح نموت من الجوع".

نشرب ماء الشتاء

عفيف كنعان، والالحاح من زوجته وطفله راح يعد العدة للرحيل، استوقفناه: "القصف العشوائي سبب مقتل ابن شقيقي حافظ عادل كنعان وهو داخل المنزل، لم نستطع دفنه وتركناه في الكنيسة صحى بسبب كثافة القصف، نحن في حال اضطراب وخوف، لا نستطيع الهرب الا في الطرق الوعرة لان الطرق المؤدية الى البلدة غير آمنة، بسبب تساقط القذائف عليها، التموين كان يأتينا من طريق حمل، اما اليوم فالقصف يمنعنا من القيام باي عملية تموينية، واما عندي محل في البلدة وكنت امونها واليوم ليس في امكاني السير على الطريق، نشرب ماء الشتاء غير الصالح لانه لا يمكننا الوصول تحت القصف الى العين وسط البلدة، نريد الاهتمام الجدي والسريع والفعلي من الدولة، ونفضل ان نموت جوعا على ان نموت من القصف العشوائي".

استير ابرهيم آخر من بقي في القرية، قالت: "ما في الرئيس سركيس يرجع شعبو وبلادو؟ كيف بدنا نعيش بها الوضع؟".

كاهن رعية القرية الاب مارسيلوس حرب شغلته هموم المهجرين (قرابة ٢٠ مواطنا) من اقامة قداس العيد، وجال طائفا بسيارة لنقل امرأة حامل الى المستشفى.

واستنكر الكاهن "قيام المسؤولين بمفاوضات والمعارك مستمرة" ورأى ان من واجبهم "وقف النزف أولا ثم اجراء المفاوضات".

وشكا من قلة الاطعمة في دير مطة حيث تجمع الاهالي من القرى المجاورة، وهي لا تكفي الا ليوم او يومين، كذلك شكا من فقدان لوازم النوم.

مهجرون من قنات

نسيم نخله فارس وافراد عائلته من قنات استطاعوا مغادرتها منذ ثلاثة أيام، قال: "تركنا الضيعة هربا من القصف، لا شيء مؤمن لنا في الدير، ما نطلبه العودة الى ضيعتنا وارضنا...".

واردفت زوجته: "ولادنا غرباني، جبناهم حافيين تحت الشتي والبرد والتعتير ونمنا عالبلاط بالدير، ما في اغطية تكفينا".

ميخائيل يوسف غادر قنات هو وزوجته الحامل واطفاله السبعة في الثالثة والنصف فجر الاحد وتاه في الاحراج لثلاث ساعات حتى وصل الى الدير، يروي قصته: "كان في ١١ عائلة في قنات. الباقي، ما حدا بيعرف شي عن حدا، التهديم كثير واذا الدجاجة تحركت بيقصفوها، أكل ما في وكل اربعة ارغفة لاربعة ايام، عيدي مجرد رهيبة وحرب ابادة للناس، أربع كنايس ومدرستان تهدمت، شفت ديب وهبه وعمرو ٦٥ سنة قصفوه أمام بيته هوي وعم يحاول يطعم الماشية، وعفتي وليها الدو يوسف عمرا ٨٠ سنة طبق عليها البيت وبعدا تحتو، اكثر البكاء ... انصم الينا في ما بعد عندما بدأ سليمان فرنجيه يخطف اهالينا الذين لم يكن معظمهم كتائبيين، وهذا التهجير العشوائي من المنطقة سبب مشاكل اجتماعية وعائلية شهيرة اضافة الى اننا واجهنا صعوبات هائلة".

واضاف "بقينا على هذا الوضع حتى عاد الدكتور سمير جعجع من باريس حيث اجريت له جراحة في يده التي اصيب فيها اثناء عملية اهدن، وعندئذ انقسمنا الى فئتين: الشباب والعائلات في طرف نمى الحقد في قلوبنا لعدم اهتمام السلطة بقضيتنا ولعدم وجود منازل تأوي اليها بعدما تحولت قرانا الى دمار على ايدي جماعة فرنجيه، ومن هنا تحولنا ثوارا حقيقيين خصوصا ان طوني فرنجيه كان يمتلك نظاما اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا بالقداء، اذ ان الذين قتلوا البايع استعملوا سيارة طوني فرنجيه، ومنذ ذلك الحين اضطررنا الى تحويل نشاطنا كله الى نشاط عسكري وفكرنا في العودة الى الشمال فدخلنا شطين وربحنا معركة هناك وتابعنا الى دير بلا وهي قرية استراتيجية تربط البترون ببشري والكورة، وهنا طلب منا اهالي بلدة قنات التدخل من اجل ان يعودوا الى قريتهم فرأينا انه من الانسب تكتيكيا ...

توقفت الاشتباكات مساء في قنات

"الردع": انهينا التمشيط واوقفنا مسلحين

الكتائب: تحصن الاهالي في التلال

"وفي مساء اليوم السادس توقفت الاشتباكات في منطقة الشمال بين "قوة الردع" وانصار حزب الكتائب، وصمتت المدافع في السابعة مساء بعد خمسة ايام من التراشق المدفعي العنيف الذي هدم منازل كثيرة في بلدة قنات، وهجر الآلاف من سكانها وابناء القرى المجاورة لها في اقضية البترون وبشري والكورة.

وصدر في الحادية عشرة ليلا عن قيادة "قوة الردع العربية" البلاغ الآتي:

"عطفا على بلاغها في تاريخ ١٥/٢/١٩٨٠ حول حادث بلدة قنات في قضاء بشري، تعلن قيادة قوة الردع العربية انها انهت في الساعة السادسة عشرة من تاريخ اليوم ١٧/٢/١٩٨٠ عملية التمشيط التي كانت بدأتها في قرية قنات لاستعادة حاملة الجند التي اعطبت وجثث العسكريين الذين استشهدوا فيها، اذ ان مسلحي الميليشيات في البلدة والتلال المجاورة كانوا قد حاولوا دون استعادتها في حينه.

ان قوات الردع العربية انجزت تنظيف القرية من المسلحين واوقفت عددا منهم رهن التحقيق مع اسلحتهم، كذلك مشطت مزرعة بني صعب التي لجأ اليها قسم من المسلحين في اثناء العملية، وقد اضطرت في اثنائها الى اسكات مصادر النيران مقتصرة الى اقصى الحدود بعدم اصابة الاهلين الابرياء.

ان هذه العملية التي لم يكن هدفها سوى استعادة الجثث والسيارة، قد توقفت كما توقف نهائيا اطلاق النار، وطلب من كل الاجهزة الادارية المختصة العمل بكل جهدها لاعادة الحياة الى مجراها الطبيعي في المنطقة.

ان قيادة قوات الردع العربية تدعو جميع المواطنين في المنطقة والذين اضطرتهم ظروف العملية خلال الايام الثلاثة الماضية الى ترك قراهم الى العودة اليها اعتبارا من صباح غد خصوصا اهالي قرية قنات ومزرعة بني صعب".

وقالت مصادر كتائبية ليلا ان "وقف اطلاق نار غير معلن بدأ في قرى الشمال الجبلية منذ الساعة السادسة والنصف من هذا المساء (امس) بعدما تمكن الاهالي من صد الهجمات التي استهدفت قراهم وكبدوا المهاجمين السوريين خسائر كبيرة في الارواح والعتاد".

اما بالنسبة الى بلدة قنات وبعد صدور بيان عن قوة الردع يعلن عن سقوطها، فقد اوضح مصدر من اهالي البلدة "ان الهدف من المعارك الطاحنة التي دارت حولها كان كسب الوقت لتحصين التلال المشرفة على البلدة وبعد انتهاء التحصينات جرى انسحاب تكتيكي من البلدة في اتجاه التلال التي ضحايا الاشتباكات التي بدأت يوم الخميس في ٧ شباط مع الهجوم على دير بلا بنحو ٢٨ قتيلا و٣٩ جريحا وتهديم عشرات المنازل ومدرسة قنات الرسمية ونزوح عدد كبير من اهالي القرى الواقعة في دائرة القصف والاشتباكات.

وفي الثانية بعد الظهر وردت الى طرابلس معلومات عن تحرك عسكري في بلدة حدث الجبة، وقدر ناقلو هذه المعلومات ان القوات السورية ربما بدأت عملية التفاف حول مواقع انصار الكتائب في بلدة سيحا.

بشير الجميل يتفقد

وامس تفقد قائد "القوات اللبنانية" الشيخ بشير الجميل منطقة الاشتباكات والتقى المقاتلين فيها واطلع على سير المعارك والنقاط التي تم التمركز فيها، وتفقد ايضا العائلات التي هجرت قراها مع فرق الانقاذ التي ارسلها "المجلس الحربي الكتائبي" على تأمين المساعدات والاسعافات الاولية للجرحى.

وفي بيروت عقد المجلس الصحي الاجتماعي والمصلحة النسائية في حزب الكتائب والمسؤولون الحزبيون عن الخدمات الصحية في الشمال وجبل لبنان اجتماعا عرضوا فيه ظروف المهجرين الشماليين، وتقرر تأليف لجنة لتقصي احوالهم والعناية بهم.

ووجه المجتمعون نداء الى المواطنين الشماليين للاتصال بالمستوصفات الكتائبية في المناطق التي نزحوا اليها.

ملحق رقم ١

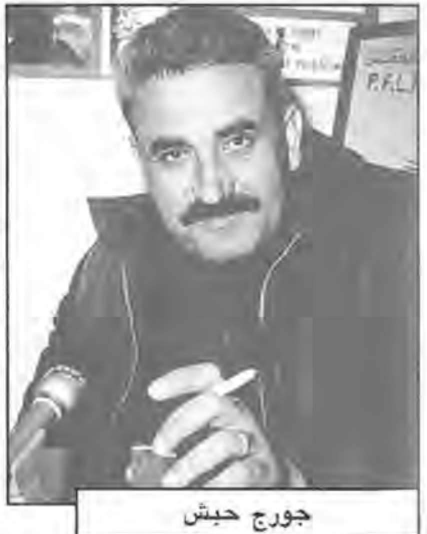
معارك سوريا قبل قوات الردع

على الرغم من أن هذا الكتاب مخصّص لتأريخ مرحلة المواجهات بين قوات الردع السورية والمقاومين اللبنانيين من مختلف المناطق ومن كلّ الإنتماءات، إلاّ أننا لا بدّ أن نذكر ولو بإيجاز، محطّات أساسية حيث خاضت القوات السورية معارك ومواجهات عنيفة، وإن تحت أسماء حركات ومنظّمات مختلفة...


شمعون طلب إبلاغ مجلس الأمن بالدخول السوري

في بداية العام ١٩٧٦، أدخلت سوريا الى لبنان من جهة الشمال عبر منطقة عكار حيلان الضنية، ومن البقاع منظمة الصاعقة ولواءي اليرموك وحطّين النظاميين في الجيش السوري، وذلك بهدف مهاجمة زغرتا وأعالي المتن والدامور والسعديات للضغط على رئيس الجمهورية سليمان فرنجية، وعلى الجبهة اللبنانية للقبول بالمبادرة السورية لحل النزاع في لبنان.

فجر ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٦، أعلن وزير الداخلية كميل شمعون أنّ قوات من الجيش السوري دخلت لبنان من المحورين الشمالي والشرقي لمنطقة البقاع ومن جهة عكار، وهي مجهّزة بأسلحة ثقيلة ومدافع ومصفّحات، وطلب من الصحافة العالمية إثارة هذا الخبر في الرأي العام الدولي، ولدى هيئة الأمم المتحدة لأنّ هذا التدخل يهدّد هذه البقعة في الشرق الأوسط بحرب جديدة ويهدّد السلام العالمي.


جورج حبش

وأضاف شمعون: «بصفتي وزيراً للداخلية وما زلت أمارس صلاحياتي بشكل رسمي، أطلب من مندوب لبنان الدائم لدى هيئة الامم المتحدة أنّ يبلغ مجلس الامن عما يحصل في لبنان».[١]

ورداً على ما أعلنه شمعون، نفت وكالة الأنباء الفلسطينية دخول قوات فلسطينية من سوريا، واعتبرت ان لواء اليرموك موجود منذ سنوات في الجنوب. فيما أكّد الامين العام لجبهة التحرير الفلسطينية جورج حبش من جهته دخول قوات من جيش التحرير الفلسطيني الى لبنان من سوريا، وتساءل في حديث لوكالة «رويترز» ما وجه الغرابة في تدخل جيش التحرير في المعركة الحاضرة.[٢]

في غضون ذلك، أكّدت مصادر اسرائيلية أن قوات فلسطينية دخلت لبنان من سوريا، لكنّ الزعماء المسيحيين في لبنان يبالغون في تضخيم التهديد الذي تشكله هذه القوات. وقال شيمون بيريز وزير الدفاع الإسرائيلي إنّ دخول قوات سورية الى لبنان وازدياد عدد الفدائيين الفلسطينيين فيه، مشكلتان تتعلّقان مباشرة بأمن اسرائيل. من جهتها، أكّدت واشنطن أنّ قوات من جيش التحرير الفلسطيني دخلت الى لبنان من سوريا، رافضة إعطاء أي تقدير لعدد هذه القوات، لكنّها أعلنت أنّ رقم ١٠ أو ١٥ ألف مبالغ فيه، وأعلن الناطق بإسم البيت الأبيض رون نيس أنّ الرئيس فورد يتابع تطور الوضع في لبنان عن كثب.[٣]

---

(١) النهار ٢٠ كانون الثاني١٩٧٦ص ١
(٢) النهار ٢٢ كانون الثاني ٢٠٠٤ ص ٤
(٣) النهار ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٦ص١

وأوردت أجهزة الأمن اللبنانية معلومات تفيد عن دخول لواء اليرموك السوري التابع لجيش التحرير الفلسطيني ومجموعات مسلّحة أخرى قدّر عددها بثمانية آلاف عنصر الى منطقتي البقاع والشمال. وقالت مصادر هذه الأجهزة إنّ هذه العناصر مزوّدة بصواريخ وهواوين من مختلف العيارات ومدافع ١٠٦ ملم وشاحنات وسيارات جيب ركّزت عليها رشاشات دوشكا، إضافة الى شاحنات أخرى محمّلة بالذخائر من مختلف العيارات، وأنّ هذه العناصر دخلت من جهة الشمال عبر العبودية والعريضة، وتوزّع الداخلون في المنطقة فرابط قسمٌ في عكار وتمركز آخر على تخوم منطقة المنية من الجهة الجنوبية وثالث في مرياطة. أمّا الذين دخلوا عبر البقاع، فقد سلكوا غير طريق المصنع وتجمّعوا في السهل وفي راشيا الوادي حتى الهرمل. وأشارت معلومات الى أنّ هذه العناصر طوّقت بعض القرى النائية القريبة من الأماكن التي حلّت فيها.[١]

وروى- ايغور تيموفييف في كتابه «كمال جنبلاط : الرجل والأسطورة» - صفحة ٤٠٨ و ٤٠٩ أنّه «بأمر من الرئيس الأسد، اجتازت الحدود السورية اللبنانية قوات «لواء اليرموك» الفلسطيني ووحدات من لواء «حطين والقادسية» التابعين لجيش التحرير الفلسطيني، واستولت على قسم كبير من البقاع وطريق دمشق - بيروت الاستراتيجية. وتحرّكت في الوقت ذاته فصائل «الصاعقة» وجيش التحرير الفلسطيني في اتّجاه زغرتا، واشتبكت هناك مع فصائل المردة المحلية وجنود الجيش اللبناني».

ويقول هنري كيسينجر في مذكّراته «شجّعنا حافظ الأسد للدخول الى لبنان، ولما تردّد قمنا بإخافته من إجتياح اسرائيلي مقبل». ويؤكّد المطّلعون ان دخول الجيش السوري الى لبنان كان نتيجة اتفاق كيسينجر-رابين-الأسد.



مجموعة من لواء المرده

(١) النهار ٢٠ كانون الأول ١٩٧٦ص ٤

معركة زغرتا

ترافق دخول ثمانية آلاف جندي سوري تحت إسم جيش التحرير الفلسطيني مع زيارة قام بها وفد سوري على رأسه عبد الحليم خدام للقاء المسؤولين اللبنانيين ومنهم الرئيس سليمان فرنجية.

كانت السيطرة على منطقة زغرتا أبرز أهداف لواءي اليرموك وحطين السوريين، وكان المدافعون من مختلف العائلات الزغرتاوية شكّلوا لواء المردة، ومعهم مقاتلين من القرى المجاورة ومجموعات من الجيش اللبناني.

تألّف لواء المردة من خمس كتائب وكلّ كتيبة كانت تمثّل إحدى العائلات:

- كتيبة «آل الدويهي» سمّيت «مجد لبنان» وعرابها الأب سمعان الدويهي، وكان يقودها ميدانياً الملازم أول الطيار بيار زخيا الدويهي وبدوي حبيب الدويهي وسايد حميد مرقس الدويهي وميشال زخيا الدويهي وسايد الطبر الدويهي.

- كتيبة «آل معوض» سمّيت «أرز لبنان»، عرّابها النائب رينيه معوض ويقودها الشيخ هنري معوض.

- كتيبة «آل فرنجية» سميت «وطني دائماً على حق» يقودها مباشرة النائب طوني فرنجية، ويساعده سمعان عزيزة فرنجية وأنطوان يمين مسؤول المدفعية والمحامي أنطوان عيروت ويوسف جبرايل فرنجية وحليم رهجة فرنجية...

- كتيبة «آل كرم» سمّيت «لبيك لبنان» وعرّابها سليم كرم ويقودها بدوي الدنكورة وسايد العم وبدوي زكا...

- كتيبة «آل المكاري» ويقودها الشيخ سيمون بولس المكاري يساعده يوسف شاهين المكاري والشيخ فكتور المكاري...



كتيبة «مجد لبنان»

وكان ضباط من الجيش اللبناني يتوزعون على مختلف الكتائب الزغرتاوية وينظّمون مواقع الجبهة. وقام رينيه القارح بتدريب مجموعة كبيرة من طلاب الجامعات شاركوا في الدفاع عن منطقة زغرتا.



مقاتلون على جبهة رشعين بعد صدّ الهجوم

الهجوم



الرئيس فرنجية واجه خدّام بالبطاقات السورية

وصل جنود لواءي اليرموك وحطين الى مرياطة بعدما عبروا الحدود السورية اللبنانية في منطقة عكار حيلان وصولاً الى جبل تربل حيث ركزوا بطاريات المدفعية ومضادات ٤٠ و٥٧ ملم، وتقدّم المشاة الى منطقة مرياطة وأصبحوا على تماس مع مقاتلي زغرتا.

تسرّبت معلومات من مخابرات الجيش اللبناني بأنّ هناك تحركات كبيرة تؤشر لهجوم محتمل على منطقة زغرتا، إما عبر محور رشعين الرميلة أرده، أو عبر محور مجدليا القبة، وجرت الاستعدادات لهذين الاحتمالين.

ليل ٢١ كانون الاول ١٩٧٦، تسلّل عناصر لواءي اليرموك وحطين وانتشروا بين بساتين الزيتون على مقربة من متاريس الجبهة على خط رشعين ارده الرميلة، وتسلّل خمسة عشر عنصراً غريباً من جهة مرياطة الى منطقة زغرتا، واجتازوا مناطق الحراسة بشكل مموّه، وكانوا يرتدون ثياباً خضراء شبيهة بلباس الجيش اللبناني ويضعون في أعناقهم صلباناً كبيرة، وعرّفوا عن أنفسهم في المرة الأولى بأنهم كتائبيون، ثم قالوا لآخرين أنّهم من الجيش اللبناني. وبهذه الطريقة تمكّنوا من الوصول الى تلّة أرده، لكنّ المدافعين كشفوا المتسللين عندما عرّفوا عن أنفسهم في المرة الثالثة أنهم زغرتاويون لأن أهل زغرتا يعرفون بعضهم البعض وسرعان ما بدأ الاشتباك مع المتسللين.

كانت جبهة رشعين مقسّمة الى أربعة مراكز، مركز بيت الخواجا تتمركز فيه مجموعة من كتيبة «آل كرم»، ومركز بيت رستم مجموعة من كتيبة «آل الدويهي»، ومركز حارة الترب (المقابر) مجموعة من كتيبة «آل معوض» مع جيب عليه رشاش دوشكا, فيما تمركز شباب رشعين على نبع رشعين البيادر. كان عناصر لواء المردة مع الأهالي يحرسون الجبهة على مدار ٢٤ ساعة.

صباح ٢١ كانون الاول الساعة ٦.١٥، أطلقت ثلاث قذائف هاون عيار ٨٢ ملم كعلامة من المهاجمين للبدء بالهجوم الكبير، وما هي الا لحظات حتى بدأ الالتحام على المتاريس. كان عدد المهاجمين نحو ٤٠٠٠ عنصر يملكون جميع الأعتدة العسكرية والسلاح الفردي والمتوسّط والثقيل معزّزين بناقلات جند نوع بي تي آر، ويرتدون خوذات الجيش النظامي السوري. بدأت المدفعية المرابضة في جبل تربل تقصف منطقة زغرتا لمساندة المهاجمين الذين تمكّنوا من اختراق الجبهة جهة رشعين «آل رستم».

تداخل المقاتلون ببعضهم البعض، وأصبح القتال في قطر كبير يمتد من زغرتا الى أرده، حيث دارت مواجهات طاحنة وصلت الى حد استعمال السلاح الابيض. وتمكّن المدافعون من صد الهجوم ودحره في خلال ساعات وترك المهاجمون وراءهم أكثر من ٥٠٠ قتيل.

استعملت في هذا الهجوم على زغرتا الصواريخ وقذائف المدفعية من مختلف الأعيرة وكان يستعمل المضاد ٢٣ لأول مرّة في معارك الشمال.

كانت أوامر المهمة التي حملها المهاجمون موقّعة من اللواء حكمت الشهابي، وكان عبد الحليم خدام في القصر الجمهوري في بعبدا يلتقي الرئيس سليمان فرنجية، الذي جعله ينتظر حتى فشل الهجوم فواجهه بالبطاقات السورية للمهاجمين التي وصلت إليه من أرض المعركة.



النائب طوني فرنجية ومقاتلين من المرده بعد الهجوم

دور قوات اليرموك وحطّين في شهادة فلسطينية

كتب حسن البطل في صحيفة الأيام الفلسطينية في ٢٠٠٧/١٠/٧ يقول عن لواءي اليرموك وحطين: «سأضع جانباً شهادات موثّقة في كتب فلسطينية قليلة، والتفت إلى شهادة صديقي الجندي القديم في جيش التحرير الفلسطيني - قوات حطين، ودور كتيبة ٤١٣ والكتيبة ٤١٢، وهما كانتا قوات الصدمة، ورأس الحربة في الهجوم السوري لتحرير الجولان (بضربة مدرعات) كثيفة وصاعقة...

كانت القوات التي أمسكت برؤوس التلال هي جنود الكتيبتين ٤١٢ و ٤١٣ لجيش التحرير الفلسطيني - قوات حطين؛ وبعضها بهجوم بري (تل الشحم) ومعظمها بإنزال مجوقل (إبرار جوي) بطائرات مروحية سورية... وجوبهت بنيران أرضية إسرائيلية مضادة وشديدة الفاعلية، ما كبّد القوات الفلسطينية عدداً كبيراً من الشهداء».

ويضيف: «كان زميلي محمد هواش جندياً في جيش التحرير الفلسطيني، وقاتل في الجولان بشجاعة وتهور الجندي الفلسطيني في سن العشرين، ثم قاتل، لاحقاً، في (حرب الاستنزاف) المصغرة السورية - الإسرائيلية العام ١٩٧٤، وأخيراً في شمال لبنان شتاء ١٩٧٦.

الإنجاز العسكري السوري البارز في حرب أكتوبر ١٩٧٣ كان في بداية الحرب، أي احتلال مرصد جبل الشيخ، الذي

استرده الإسرائيليون سريعاً: «الآن، يقولون إنهم يراقبون سكان الشام في بيوتهم من مناظيرهم العسكرية في الجبل».

ويتابع: «إبان حرب الاستنزاف السورية (أثمرت فصل قوات واسترداد سورية مدينة القنيطرة، عاصمة الجولان، بعد أن دمرها الإسرائيليون)، كان للكتيبة الفلسطينية ٤١٣ دورها من مراكزها الأمامية بالجولان في قرى: قلعة جندل، عرنة (مصيف الشوام المفضل) وحنيه، ومغر المير مقابل قرية سعسع... أقصى نقطة وصلها التمدد الإسرائيلي.

مرة أخرى، تمكّن جنود جيش التحرير من تحرير مرصد جبل الشيخ، بفضل شجاعة متهوّرة للجندي أحمد عويس (من بلدي: طيرة حيفا)، الذي ثمل في إحدى الليالي، وانطلق بمفرده دون أوامر، لاستكشاف المرصد، فاكتشف أنه يكون خالياً من أي جندي إسرائيلي خلال ساعات الليل... هكذا، أبلغ الفلسطينيون قيادة الأركان السورية بالأمر، فحضر عماد الجيش مصطفى طلاس، وصعد الى المرصد مع قوات خاصة فلسطينية - سورية... وبدأت حرب ليل - نهار. في الليل يكون المرصد بأيدي السوريين، وفي النهار في أيدي الإسرائيليين».

نهاد شلحط (أبو كمال) مع مقاتلين من الأحرار

يقول الجندي القديم ان سورية فرضت سياستها على لبنان، أيضاً، بدماء جنود جيش التحرير، بدءاً من معركة هجوم الكتيبة ٤١٢ على زغرتا (معقل لواء المردة التابع لرئيس الجمهورية سليمان فرنجية...).

خلال المعركة، أعلن فرنجية موافقته على المبادرة السورية... ولكن كان ثمن المعركة التي استمرّت من ٦ صباحاً حتى ٢ ظهراً سقوط ٦٨ جندياً فلسطينياً وجرح ١٥٠ آخرين من أصل كتيبة تعدادها ٤٥٠، وتعود الخسائر الفلسطينية العالية الى تنفيذ قوات حطين أمراً ارتجالياً من الأركان السورية، علماً أن الكتيبة ذاتها كانت حاربت في الجولان، ولاحقاً على جبهة جبل الشيخ إبان حرب الاستنزاف، واستقرّت بعض الوقت في مخيم نهر البارد، قبل أن تتمركز في صافيتا على الحدود الشمالية اللبنانية - السورية.

بعد هذه المعركة المرتجلة غير المدروسة، والتي كانت لغايات سياسية، قام سكان زغرتا بالتنكيل بجثث جنود الكتيبة... بينما شهد مخيم اليرموك، في يوم واحد، تشييع ١٢٠ شهيداً من القوات الفلسطينية!

داني شمعون شارك شخصياً في القتال

جبهة المتن

واجهت قوى الجبهة اللبنانية المؤلفة من حزبي الكتائب والأحرار وحراس الأرز والتنظيم وبعض ضباط وعناصر الجيش اللبناني جيش التحرير الفلسطيني في جبهة منطقة المتن والذي استقدم لإسقاط المنطقة ودخول بكفيا وتحقيق انتصار حاسم للحركة الوطنية.

ويروي قائد نمور الاحرار نهاد شلحط (أبو كمال): «وصلتنا أخبار عن لسان وزير الداخلية السورية يقول: «الأحد سنكون في بكفيا».

بدأ جيش التحرير الفلسطيني الإشتباك مع كتائب المتن، فقتل المسؤول الكتائبي كرم صدقة من ترشيش. تراجع الكتائبيون وساد جو من الرعب وخلت بكفيا من الأهالي.

ويضيف أبو كمال: «طلب مني الرئيس شمعون الصعود الى بكفيا



مقاتلون على جبهة المتن سنة ١٩٧٦





وقال لي «لا نريد أن يكون مصير بكفيا مثل مصير السعديات والدامور».

فإنطلق ٢٣٥ عنصراً من نمور الأحرار بقيادة الكولونيل سمراني وعدد من ضباط الجيش اللبناني ومنهم الملازم أول جورج هيدموس وبهجت منصور وجورج خوري وسمير سانسيل وسماحة، وشربل نجيم وسليم الخرياطي...

ويتابع أبو كمال: «كان الطقس بارداً ومثلجاً ولكنّه صاف تماماً، وكان عدد المهاجمين نحو خمسة آلاف مقاتل وعددنا نحو ألف من نمور الأحرار والجيش اللبناني والكتائب والتنظيم وحراس الارز.

وفيما هم يستعدّون لاجتياح المنطقة، سبقناهم بهجوم مباغت على كلّ مواقعهم، فاستشهد الملازم أول جورج هيدموس والملازم أول بهجت منصور الذي كان يرمي على صواريخ الميلان، وتمكنّا من دحرهم وغنمنا ست ملالات وست جيبات عليها مدافع ١٠٦ ملم. وكان داني شمعون يقاتل كباقي العناصر رافضاً ان تمييز بينه وبين باقي المقاتلين».

في غضون ذلك، قامت مجموعات من جيش التحرير الفلسطيني بالنزول الى المقاهي في بسكنتا واحتلوها فحصلت معركة عنيفة مع الجيش اللبناني الذي صد الهجوم وطرد المهاجمين من البلدة.

ويتذكّر أبو كمال انه «كان يقود مدفعية الاحرار إيلي شمعون ابن شقيق الرئيس كميل شمعون، كما شارك شباب التنظيم وحراس الأرز في معارك المتن وفي الدعم المدفعي واستشهد ميشال جبر على مربض للاحرار».

ويعتبر شلحط «انه لو نجحوا في معارك ترشيش وبولونيا والمتين والمروج... وفي الهجوم لإحتلال بكفيا وبسكنتا لكانت سقطت المنطقة بأكملها ودخلوا الى كل المتن وكسروان».

إجتياح الدامور

في ٢١ و١٩٧٦/١/٢٢، قامت قوة كبيرة من جيش التحرير الفلسطيني قدّرت بالآلاف بمهاجمة بلدتي الدامور والسعديات وهجّرت أهلها ونكّلت بهم فتركوا بيوتهم في ظروف مأساوية...

تهجير الدامور والسعديات بحسب صحيفة النهار

اليوم في لبنان اوسع وفد سوري: خدام وناجي جميل والشهابي معًا

الحلّ السياسي مع وقف الاقتتال

فرنجيه يؤخر الجواب على الدعوة الى قمة عربية وشمعون يمضي في التدويل

خطف في بيروت ودخول الدامور واجتياح في عكار واحتلال شتوره



الرئيس كميل شمعون في باحة قصر بعبدا أمس. (همبار بركيزيان)

النار تحرق المنازل في الجيّة والدامور

واهاليهما ينزحون بحرًا الى جونيه

المهاجمون تقدموا ليلاً من قصر السعديات

«النهار» الخميس ٢٢ - ١ - ١٩٧٦

الاحرار يعلنون سقوط الدامور والكتائب يجمعون المقاتلين

النازحون يتحدثون عمّا تعرّض له الاطفال والبنات والنساء

امرأة تضع مولودًا في ملجأ قصر السعديات

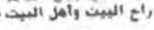
"النهار" في الدامور التي اصبحت كومة من حجار

من منازلها يتصاعد دخان وطن احترق وفي شوارعها بقايا شعب يتوجّع

مصريّة: "راحوا أهالي الدامور، يا حرام. ويا ويل اللي ما بيخفش الله"!



بيوت تزفر دخاناً.



راح البيت وأهل البيت.



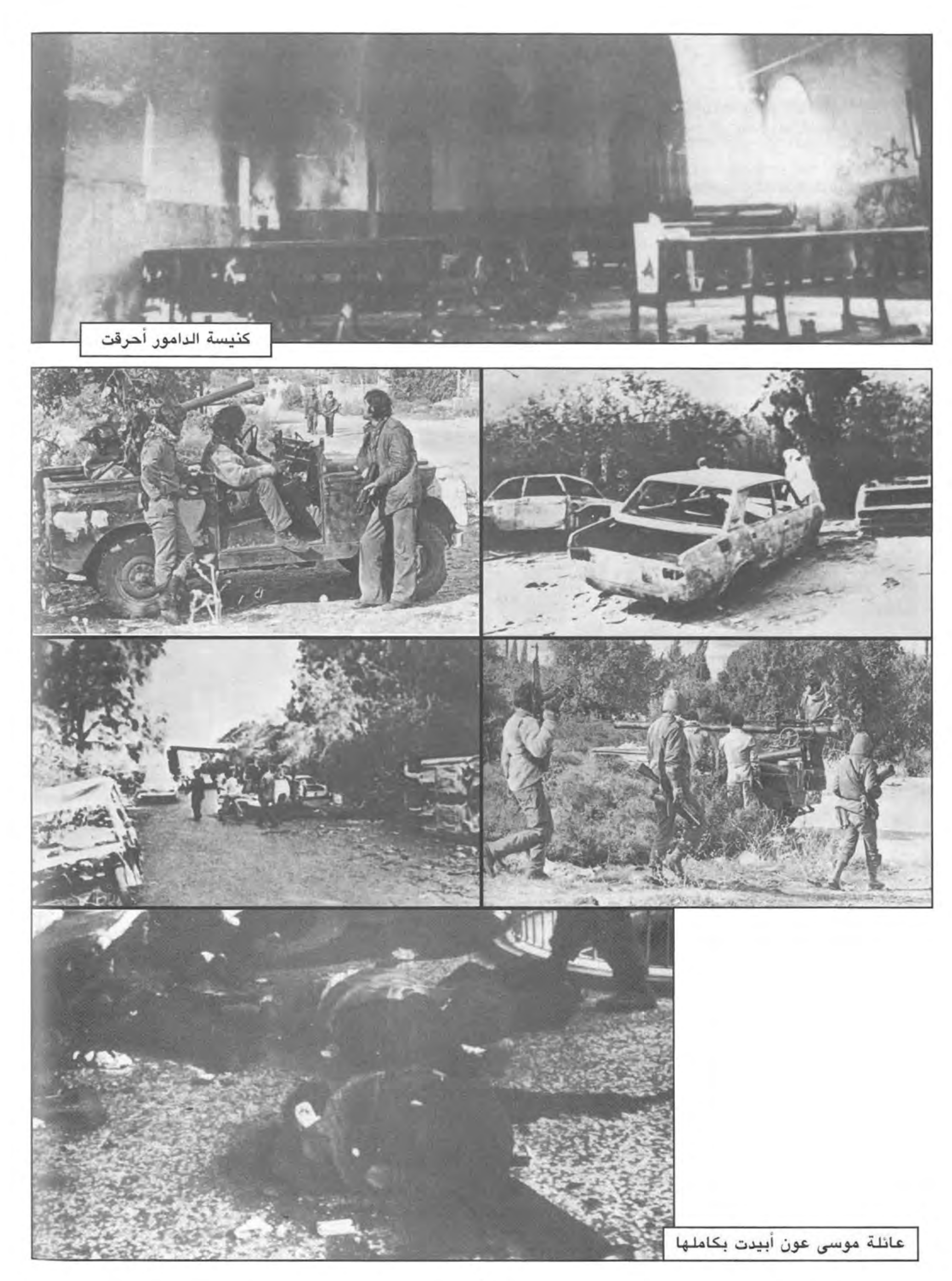
صار البيت بقعة.



لم يبق شيء في الداخل.



يتعاونون على تفريغ البيوت والمحلات.



كنيسة الدامور أحرقت

عائلة موسى عون أبيدت بكاملها

مواجهات صوفر وصيدا

بتاريخ ٦ و٧ حزيران ١٩٧٦، دخلت مدرّعات القوات السورية مدينة صيدا عن طريق جزين... فتعرّضت لكمين من «القوى الوطنية»، وكذلك تمّت مواجهتها في مناطق المديرج وصوفر وبحمدون.

المواجهات كما أوردتها صحيفة النهار في عناوينها:

تقدم سوري نحو الجنوب وانذار الى مواقع الجبل ... ترفضه «القوات المشتركة»

سركيس يتحرك لتفادي الصدام وتعجيل الوفاق

جنبلاط يفتح الحوار في اتجاه شمعون ويلتقي اليوم المفتي ثم الرئيس المنتخب
محادثات خدام في باريس ومنع السفر من جونيه ... تمهيداً لدخول الفرنسيين ؟



العاصمة معزولة عن العالم: المطار مغلق والتلفون مقطوع والكهرباء لا تعود
المدرعات السورية تواصل زحفها والطيران يقصف المخيمات ومواقع «القوات المشتركة»

معارك ضارية في بيروت والجبل وصيدا

السادات يبرق الى الملوك والرؤساء وعرفات يدعو بريجنيف وتيتو الى التدخل
دمشق تعلن ليلا عن اتفاق لوقف النار ووزراء الخارجية يجتمعون اليوم

ليل مشتعل في المحاور التقليدية وَ «جبهات المنظمات»

معارك مدفعية وصواريخ في المديرج وصوفر وبحمدون

"جيش لبنان العربي": دمّرنا الآليات السورية التي هاجمت صيدا

لم تتوقف الحرمان في بيروت والجبل حتى ساعة متقدمة من الليل، واختلطت "حرب الجبهات" بـ"حرب المنظمات" التي شملت بيروت وصيدا وصور والجبل ومناطق اخرى. وقد تعرضت معظم الاحياء في المنطقة الغربية لقصف مدفعي ثقيل وصواريخ متعددة المصادر والجهات، في حين استمرت الاشتباكات في المحاور التقليدية في منطقة المرفأ - ساحة الشهداء - ساحة الدباس - طريق الشام وتوالي سقوط القذائف في المنطقة الشرقية. كذلك لم تتوقف الاشتباكات في مناطق متعددة من المنطقة الغربية بين قوات "الصاعقة" والوحدات السورية من جهة "والقوات المشتركة" من جهة اخرى. في حين تجددت المعارك والقصف المدفعي بين بيت الفيل والنبعة وبين تل الزعتر والحازمية والمنصورية.

وفي صيدا احتدمت الاشتباكات في المساء بين مدرعات سوريه حاولت دخول المدينة و"جيش لبنان العربي" و"القوات المشتركة". واستمرت المعارك بالدبابات والمدفعيه الثقيلة ومختلف انواع الاسلحة حتى ساعة متقدمة من الليل.

معارك صيدا

وفي الثامنة سمعت انفجارات عنيفة في شارع جزين في صيدا اندلعت على اثرها حرائق كبيرة كما سقطت في ساحة النجمة قذائف عدة رافقها تراشق كثيف بالرشاشات الثقيلة والخفيفة.

وقال ناطق في "القياده المركزية للثوره الفلسطينية والحركه الوطنية اللبنانية وجيش لبنان العربي" انه "في السابعة مساء هذا اليوم (امس) اندفعت كتيبه دبابات سورية غازية الى مدينة صيدا آتية من محور جزين وقد تعاملت معها قوات الثوره الفلسطينية وقوات الحركه الوطنية اللبنانيه بكل الاسلحة وهاجمتها مجموعات صغيرة وكثيفة من مقاتلينا.

وفي الثامنة والدقيقة ٤٥ مساء كان تم تدمير آخر دبابه في الكتيبة".

وكانت شعبه الاعلام والعلاقات العامه في "جيش لبنان العربي" اذاعت الاتي: "في تاريخ ١٩٧٦/٦/٧ الساعة ١٧/٠٠ اقتحمت قوات مدرعة من الجيش العربي السوري مدينة صيدا آتية عن طريق جزين قوامها كتيبتا مدرعات وكتيبتا مشاة معززة بالمدفعية الصاروخية وباشرت قصف ثكنة الشهيد محمد زغيب والاحياء السكنية ومخيمات الفلسطينيين بقذائف المدرعات والصواريخ فتصدت لها قوات جيش لبنان العربي والحركة الوطنية وقوى الثورة الفلسطينية واشتبكت معها بكل انواع الاسلحة وما زالت المعركة مستمره حتى اعداد هذا البيان.

بلغت خسائر جيش لبنان العربي تدمير دبابة ومصفحة وجرح ستة عسكريين بينما بلغت خسائر المعتدين تدمير ست دبابات وخمس شاحنات عسكرية واستسلام دبابتين مع طاقميهما واسر ١٤ عسكريا وقد بدأت القوى المعتدية تتراجع تحت ضغط قواتنا الصامدة".

وبعد منتصف الليل ادلى ناطق عسكري باسم "جيش لبنان العربي" بتصريح اعلن فيه ان مدينة صيدا "طهرت من كل القوى التي غرر بها ودخلت لتقاتل اخوانها في جيش لبنان العربي والقوى الوطنية والثوره الفلسطينيه وقد دمرت ١٣ دبابة وأسرت ٤ دبابات مع طواقمها وسحبت الى ثكنة الشهيد محمد زغيب كما دمرت ٥ شاحنات وقد تاهت بعض الدبابات السورية على طريق الغازية ويجري الان مطاردتها بغية توقيفها".

وجاء في بيان موجه من قيادة "جيش لبنان العربي" الى الرتباء والجنود "لقد تحقق ما كنتم تنتظرون فهزمت قوات جيشكم جيش لبنان العربي قوات الجيش المغرر به والذي زج به في مدينة صيدا الباسلة فدمرت كل آلياته من دبابات وملالات وشاحنات وأسرت اربع دبابات بقيت صالحة للعمل تم نقلها الى ثكنة الشهيد محمد زغيب. لقد سكتت المدافع والرشاشات بعدما حققنا النصر مرة اخرى. واننا هنا معكم في صيدا الصامدة والنصر لنا بإذن الله".

كذلك خاطب "جيش لبنان العربي" ضباط الجيش السوري وافراده بالآتي:

"لقد اضطررنا مجبرين الى التصدي لكم في صيدا وندمر آلياتكم من دبابات وملالات وشاحنات استطاعت دخول المدينة وكنا ننتظرها لتدخل تل ابيب لا صيدا لكن الجهل والعمالة في نظامكم الحاكم الاعمى جعلاكم تغيرون وجهة سيركم دون الجنوب.

أيها الضباط والجنود السوريون، ان لكم في صيدا وصور وكل الجنوب أخوة لا يريدون بكم السوء فلا تقبلوا مضللين فان قلب كل لبناني جنوبي عربي هو بيت لكم فادخلوه والتحقوا به فأهلا وسهلا بكم ضيوفا كراما لا غزاة.

المقدم منصور

رئيس الاركان العامة

في جيش لبنان العربي".

الجبل مشتعل

وفي الجبل تجددت الاشتباكات في محورين. محور عاليه - الكحالة التقليدي حيث ذكر "صوت فلسطين" ان "قوات انعزالية تقدمت في اتجاه عاليه في محاولة التفاف" ودارت هناك معارك عنيفة استخدمت فيها المدفعية والرشاشات الثقيلة. ومحور صوفر - بحمدون حيث تقدمت القوات السورية المدرعة في اتجاه بحمدون وبدأت معارك ضارية مع "القوات المشتركة" التي زرعت الطرق هناك بالالغام المضادة للدروع.

في التاسعة والربع ليلا أذاعت "القيادة المركزية للثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية" و"جيش لبنان العربي" البيان الآتي:

"لا يزال القتال مستمرا بين القوات المشتركة والمدرعات



دبابة سورية مدمرة في صوفر



آليات سورية دمرت على مدخل صيدا

قمة في الحازمية وقمة في الكفور تحددان اليوم "الخط الاحمر" الماروني

تحرّك سوري في اتجاه الجبل

الأحزاب والمقاومة و"جيش لبنان العربي" توحّد القيادة للتصدّي

دمشق وباريس تستبعدان الانزال الفرنسي ... وجنبلاط يبرق لفالدهايم

ستطرح حالة "اللاحرب واللاسلم" امس على جبهات القتال الساخنة ولف شيء من الجمود والانتظار القلق المواجهة بين دمشق من جهة و"الحركة الوطنية" والمقاومة الفلسطينية من جهة اخرى. فبقيت هذه المواجهة قابلة للتفاعل سياسياً من غير صدام عسكري.

اذاً، لا الصدام وقع ولا الصلح تم ولا الانزال حصل... حتى بعض الاجتماعات التي كانت متوقعة تأجل حدوثها. منها لقاء الرئيس المنتخب السيد سركيس والسيد كمال جنبلاط الذي لم يتيسر تحديد موعد له. ثم اجتماع المفتي الشيخ حسن خالد ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي الذي تأجل الى اليوم.

تصعيد سياسي

غير ان حالة الجمود لم تحل دون بروز اتجاهات نحو التصعيد. قد تتفاعل خلال الساعات القليلة المقبلة اذا بقي التناقض كبيراً في المواقف وفي وجهات النظر. وبعد تعدد الاشارات والاشارات المضادة...

ذلك ان قراراً صدر عن "الحركة الوطنية" والمقاومة الفلسطينية و"جيش لبنان العربي". يقضي بتوحيد القيادات العسكرية في قيادة مركزية واحدة "لمواجهة الاجتياح السوري". كذلك صعّدت "الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية" حملتها السياسية والشعبية. فوجهت برقية الى الامين العام للامم المتحدة تطلب فيها تدخله "لوقف اجتياح لبنان". كما وجهت نداء الى الشعب السوري وجيشه. وأقرت مذكرة سيسلمها السيد جنبلاط الى الرئيس الياس سركيس. كل ذلك في جو من التصميم على البقاء في المواقع الحالية ورفض الانذارات حتى يتم التوصل الى اتفاق سياسي بين اطراف الحرب اللبنانية.

وعلم في هذا المجال ان اتصالات فلسطينية - كتائبية بحثت امس من اجل تثبيت الهدوء على جبهات

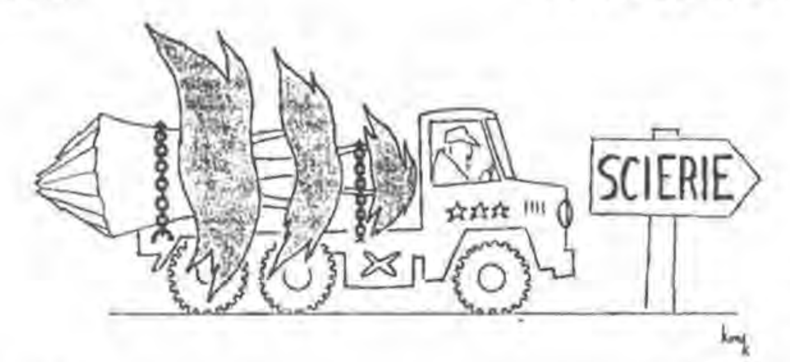
- البقية في الصفحة ٦ -

بين الفزاعة والمنشار!





التدخل الفرنسي في "النوفيل اوبسرفاتور" (ريشة فيزار)



التدخل السوري في "اللوموند" (ريشة كونك)

رسّاما الكاريكاتور الفرنسيان فيزار في "النوفيل اوبسرفاتور" وكونك في "اللوموند" التقيا في تصوير مصير أرز لبنان متشابهين...

المقاومة، "الحركة الوطنية"، "جيش لبنان العربي"

«قيادة عسكرية مركزية» لمواجهة "خطر الاجتياح السوري"

اعلنت وكالة الانباء الفلسطينية "وفا" انه تشكلت امس "قيادة عسكرية مركزية" تضم ممثلين عن الثورة الفلسطينية و"جيش لبنان العربي" و"الحركة الوطنية".

وقالت الوكالة: "عقدت قيادة الثورة الفلسطينية صباح امس في مقر العمليات المركزية اجتماعاً في حضور الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وجبهة النضال الشعبي والجبهة الديموقراطية وحركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح" والجبهة الشعبية - القيادة العامة وجبهة التحرير العربية وناقشت الوضع الراهن في لبنان على ضوء الخطر الجدي الذي يمثله الاجتياح السوري لمناطق واسعة في لبنان،

- البقية في الصفحة ٦ -

ليلاً: هدأت خطوط الجبل وبقي التوتر في بيروت والضواحي

لم يتبدل الوضع الامني ليل امس. فقد استمرت الاشتباكات المتقطعة في محاور العاصمة والضواحي، في حين سيطر هدوء على محاور عيون السيمان - فاريا - حدث بعلبك.

وهنا عرض للوضع الامني ليلاً (تقرير النهار ص ٥)

● بيروت: استمرت الاشتباكات داخل الاسواق التجارية خصوصاً في قطاع المرفأ ومحيط فندق - البورصة - سوق الخضر. كما دارت رمايات على طول خط الشهداء الامير بشير - سوق الخضر - اللعازارية.

وفي طريق الشام كان اطلاق النار متقطعاً وسقطت قذائف في سوديكو ومحيط المتحف ورأس النبع والبرجاوي.

● الشياح - عين الرمانة: تجددت الاشتباكات في محور غاليري سمعان - الحازمية - بولفار كميل شمعون، وجرت رمايات مكثفة بين حي الشياح ونحوطة فرن الشباك فيما شهدت الخطوط الاخرى رمايات متقطعة. شملت طريق صيدا القديمة ومحور مار مخايل - الطاحون والماردا وسوبر كولا.

● الحدث - الليلكي: لم تهدأ خطوط هذه الجبهة وجرت قرابة الحادية عشرة رمايات مكثفة على طول محاورها. وسقطت في منطقة تحويطة والاوبرزا والجامعة قذائف من عيار ٨٢.

وعلى جسر كفرشيما سقطت قذائف هرقلية ذكر ان مصدرها صحراء الشويفات تبعتها رمايات بالاسلحة الرشاشة والمدفعية.

● الضاحية الشرقية: سمعت خلال الليل انفجارات في منطقة الاشرفية على جبهة رأس الدكوانة - الدكوانة. تل الزعتر واطلقت نار في حي النبعة وسانت تيريز. اما في محاور المتن - بيت الكيل، خصوصاً في خط عرمون فقد استمر ...

الاستخبارات الاميركية: في لبنان بين ٥ وَ ٦ آلاف جندي سوري

«السوفيات عززوا اسطولهم في المتوسط»

واشنطن - رويتر - قالت تقارير الاستخبارات الواردة الى واشنطن ان سوريا ارسلت قوة اضافية من الف رجل الى لبنان واحتلت احدى القاعدتين الجويتين الرئيسيتين في لبنان.

واوضحت وزارة الدفاع الاميركية ان ٨٠٠ جندي من هذه التعزيزات التي تحركت عبر الحدود في الايام الماضية توجهوا الى المنطقة الوسطى في لبنان. ولا دليل على ...

والاربعين الساعة الماضية وان له في المتوسط الآن ٧٠ سفينة، واشار هؤلاء الى ان ٢٠ سفينة من بين التي وصلت حديثاً هي سفن مقاتلة. وقبل اسبوع لم يكن هناك غير ١٠ سفن من هذا النوع في المنطقة.

واعلن ناطق رسمي اميركي ان عدد السفن الحربية الاميركية في المتوسط لا يزال ٤٤ سفينة بينها ٢٨ سفينة مقاتلة.

وقال ناطق باسم البحرية ان زيارة الوحدات البحرية الفرنسية للمياه المصرية والمناورات التي اعقبتها لا علاقة لها بالاحداث الجارية في لبنان وان "جان دارك" ستعود اليوم الى طولون.

● في بروكسل ذكرت مصادر حلف شمال الاطلسي امس ان البحرية السوفياتية عززت اسطولها في البحر المتوسط خلال الايام الماضية



آليات سورية دمرت
في صوفر وصيدا



ملحق رقم ٢

اغتيال كمال جنبلاط

كشف العميد المتقاعد في الأمن الداخلي عصام أبو زكي لمجلة الشراع في عددها الصادر بتاريخ ١٧ - ٣- ٢٠٠٦ لأول مرة ملفّ جريمة اغتيال كمال جنبلاط بعد ٢٩ عاماً على ارتكابها، وكرّر سرد المعلومات لمحطة العربية - برنامج «بالعربي» مع جيزيل خوري الخميس ١٣-٤-٢٠٠٦، مؤكّداً أنّ الجناة كانوا أربعة، وأنّهم توجّهوا بعد الجريمة الى مكتب القوات السورية في الصالومي، وأنّ كمال جنبلاط تخلّى عن عناصر الحراسة بعد مضايقات كان يتعرّض لها على الحواجز السورية، فيما لا يزال وليد جنبلاط يحتفظ بسيارة والده وآثار الجريمة في داخلها.

وأكّد أبو زكي أن أحد الجناة هو الضابط السوري ابراهيم الحويجي[1] الذي أصبح مديراً للإستخبارات الجوية، وقد قابله وليد جنبلاط في ليبيا، وأعلن في برنامج كلام الناس أنّه اضطر الى مصافحة قاتل والده. كما أورد أبو زكي تفاصيل عن السيارة المستخدمة في الجريمة، وهي كانت محتجزة في مرفأ بيروت واستلمها ضابط سوري داخل المرفأ، وبعد اختفائها، دخلت لبنان بلوحة عراقية، واعتبر أن القتلة كانوا يحاولون قتل جنبلاط في منطقة مسيحية لإثارة الفتنة بينهم وبين الدروز.

كان العميد أبو زكي أوّل من حقّق في الحادث، وجمع الأدلة من مسرح الجريمة، وتحفّظ على السيارة التي كان يستقلّها الجناة ونقلها الى العدلية، وقال :«... لم يكن مع كمال جنبلاط سوى المرحومين العريف في قوى الأمن الداخلي فوزي شديد وحافظ الغصيني... وهو كان معه رخصة لستة عشر عنصراً كمواكبة حصل عليها من قوات الردع العربية، وكان يرافقه شخص إسمه محمود زين الدين وسيارة أخرى فيها ما بين ثمانية الى عشرة عناصر، إلاّ أنّه تخلّى عن المواكبة الكبيرة بعدما تكرّر إيقافه على حواجز لقوات الردع العربية وسؤاله عن سبب تواجد هذا العدد الكبير من المرافقين، ولم يكن يتفاهم مع عناصر وضباط الحواجز السورية، حتى قرّر الا يصطحب أحداً معه».

يتذكّر العميد عصام ابو زكي ما حصل، ويقول «كيف أنسى ما حصل في ذلك اليوم المشؤوم في ١٦ آذار ١٩٧٧ عند الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر؟ يومها، كنت متوجّهاً من بيروت الى بعقلين، ولدى وصولي الى مفرق دير دوريت شاهدت سيارة «بونتياك -«فيرل برد»، تحمل لوحة عراقية، متوقّفة الى جانب الطريق ومفتوحة الأبواب، وبقربها جثتان الأولى بلباس عسكري، والثانية بلباس مدني. وعندما أكملت طريقي، فوجئت بسيارة «المرسيدس» العائدة للشهيد كمال جنبلاط وتحمل الرقم ٥٨٨٨، وبقربها وَقَف رئيس بلدية غريفة نديم حرب يلطم رأسه ويبكي، والى جانبه الضابط السابق معين أبو شقرا، ولما رآني صرخ قائلاً: «نزال شوف مين في بالسيارة». ورأيت مشهداً لن أنساه ما حييت عمري. كان كمال جنبلاط داخل السيارة مائلاً بجسده ناحية اليسار والدمّ ينزف من رأسه حتى ربطة عنقه، والى جانبه كتاب يحمل عنوان «نكون أو لا نكون». وبما أنّي ضابط أمن مفصول الى المباحث العامة، وبما أنّه لا يوجد مخافر ولا قوى أمنية وقتذاك في الجبل، بدأت فوراً في الحفاظ على مسرح الجريمة، لأنه الدليل الوحيد الذي سيؤدي الى اكتشاف الفاعل. ولأنّ المجرم دائماً يترك أثراً».



العميد عصام ابو زكي

(١) العقيد ابراهيم الحويجي كان برتبة رائد ورئيس قسم الامن والاستطلاع في بيروت الشرقية عندما اغتيل كمال جنبلاط. كان متواجداً في ليبيا - من أواخر ١٩٧٩ مروراً بالعام ١٩٨٠ وذلك بصفته قائد القوة الجوية السورية الخاصة والتي أرسلها الرئيس حافظ الاسد الى ليبيا حينها بناء على طلب العقيد القذافي وذلك في مهمة لتدريب الطيارين الليبيين.

ويتابع أبو زكي «هكذا جمعت القذائف الفارغة، واستدعيت أحد المصورين الذي التقط صوراً للشهيد ولرفيقيه، وفتشت سيارة «البونتياك»، وعثرت في داخلها على أشرطة تسجيل وسكاكين مسنونة وحادة كالشفرة ومواد حارقة...

سيارة «البونتياك» التي استخدمها الجناة

بعدما نقلنا الشهيد ورفيقيه والسيارة الى المختارة - وما زالت السيارة على حالها حتى اليوم- وصل وليد جنبلاط بسيارة العميد رجا حرب، وأخبرني أن عناصر الحاجز السوري في منطقة الزير في الدامور صادروا مسدسه ومسدس رجا حرب مع علمهم ان والده استشهد. وتابع جنبلاط موجّهاً تعليماته للجميع لوقف مسلسل الفتنة والحوادث الدموية التي رافقت اغتيال كمال جنبلاط».

وفي رأي أبو زكي أنّ «معظم الذين ارتكبوا المجازر في الشوف وبقية المناطق عشية إغتيال جنبلاط هم من المجموعات الدرزية التابعة للسوريين وقتذاك، ومن المطلوبين للعدالة، وأسماؤهم معروفة».

وعن كيفية حصول الجريمة وفق ما توصلت اليه التحقيقات، يقول أبو زكي «يوم الجريمة كانت سيارة «البونتياك» متوقفة على مثلث بعقلين بالقرب من حاجز سوري معروف بحاجز الدوّار برئاسة الضابط السوري محسن سلوم. كانت مهمة مَن في سيارة «البونتياك» رصد تحركات سيارة كمال جنبلاط إثر خروجها من المختارة، فما أن مرّت سيارة جنبلاط، حتى لحقت بها «البونتياك». كان جنبلاط جالساً الى جانب السائق حافظ الغصيني، فيما جلس في المقعد الخلفي مرافقه الدركي فوزي شديد. كانت الساعة تقارب الثانية والربع بعد الظهر، عندما اعترضت سيارة «البونتياك» في داخلها أربعة اشخاص مسلّحين (اثنان بلباس عسكري مرقط) سيارة جنبلاط بعدما تجاوزتها وأقفلت عليها الطريق عند منعطفات دير دوريت، وترجّل منها المسلحون شاهرين سلاحهم، واقتادوا السائق حافظ الغصيني مع العريف فوزي شديد الى سيارة «البونتياك»، وصعد إثنان من المسلّحين الى سيارة «المرسيدس» حيث كان الشهيد جنبلاط، فقادها أحد المسلحين، فيما جلس الآخر في المقعد الخلفي وتبعتهم سيارة «البونتياك»، وبداخلها المسلحان الآخران ومعهما مرافقا جنبلاط».

غباء أم ثقة زائدة بالنفس؟

تابع أبو زكي «صودف مرور سيارة مدنية من هناك، فأمرها المسلحون بمتابعة سيرها. وروى صاحب السيارة أنّه سمع جنبلاط وهو يسأل المسلحين «مين إنتو يا عمي؟». وكما ثبت لدينا من خلال التحقيق أنّ الشهيد جنبلاط، وعندما شعر بالخطر وكونه في منطقته وبين أهله، حاول ان يلفت الإنتباه اليه، فقام بتغيير وجهة السيارة وهذا مؤكد لدينا من خلال التحقيقات، لأن الشّخص المسلّح الذي تولى قيادة سيارة الشهيد أوقفها بشكل مفاجئ، ما أدّى الى اصطدام سيارة «البونتياك» التي كانت تسير خلف «المرسيدس» بمؤخّرتها من ناحية اليسار، وهذا كان ثابتاً لدينا أيضاً من خلال التحقيق، إذ ظهرت آثار الاصطدام في مقدمة «البونتياك» التي كانت تسير ومؤخرة المرسيدس، وتمّ إطلاق النار على الشهيد جنبلاط من المسلّح الذي كان يجلس في الخلف. وتبين من الكشف الطبي أنّ الشهيد جنبلاط أصيب برشقات عدّة: ثلاث رصاصات في ذراعه اليمنى المحطّمة العظم، وثلاث رصاصات في الصدر من ناحية اليمين نفذت إحداها الى الكتف الايسر، وعدة رصاصات في القسم العلوي من الجمجمة حطّمت العظم، وأتلفت المادة النخاعية وهي التي سببت الوفاة. لقد كان رأس الشهيد مهشّماً كلّياً من الخلف، وكان دماغه ملتصقاً في سقف السيارة. ثم قام المسلحان

في سيارة «البونتياك» بإنزال فوزي شديد وحافظ الغصيني وأطلقا عليهما الرصاص، وفرّ الجميع بسيارة «البونتياك» التي كانت تحمل لوحة عراقية. ويبدو أنّه، وبسبب توترهم، اصطدموا بمرتفع ترابي فتركوها، واستقلّوا بالقوة سيارة «فيات» كانت تمرّ مصادفة في المكان يقودها سائقها سليم حداد وبقربه شاب يدعى جميل عازار الذي أرغموه على النزول من السيارة والإنبطاح أرضاً، وطلبوا من السائق أن ينقلهم الى مستديرة الصالومي في سنّ الفيل. وأكّد حدّاد في إفادته بأنّهم كانوا أربعة مسلحين: اثنان بملابس مدنية، وآخران بملابس عسكرية وكانت لهجتهم سورية، وكانوا يبرزون بطاقات خاصة لدى مرورهم على الحواجز السورية «فيضربون لهم السلام». ثم نزلوا الى مكتب قوات الردع السورية في الصالومي وقالوا لحداد: «إذا حكيت أي كلمة ستموت».

يعتبر أبو زكي ان هذا التصرف من المسلّحين فيه الكثير من الغباء أاو الثقة الزائدة بأن لا أحد سيجرؤ على كشف أمرهم. وإذا كانت سيارة «البونتياك» التي استقلّها الجناة تشكل دليلاً حسياً على الجهة التي اغتالت جنبلاط، فإنّ لهذه السيارة قصة غريبة يرويها أبو زكي، مستعيناً بالوثائق والادلة، يقول: «قبيل الجريمة النكراء، ضبطت الجمارك اللبنانية في مرفأ بيروت بتاريخ ١٩٧٧/١/٨ سيارة أميركية الصنع من نوع «بونتياك»، بداخلها ٧٩ كلغ من حشيشة الكيف، وكانت تحمل لوحة لبنانية مجمركة رقم ١٣٣٠١٤/ل مسجّلة باسم مالكها حسين محمد علي شمس الدين، وأوقف شمس الدين ومعه معقّب المعاملات وليد محمد زرقوط بناء لأمر من مدعي عام بيروت ديب درويش، وحضرت



يوم وداع كمال جنبلاط

الى المرفأ دورية من المباحث العامة لتسلم السيارة والموقوفين والمخدرات. وعند إخراجها من المرفأ، أوقفها حاجز سوري على بابه وأخذها بالقوة من رجال المباحث اللبنانية. وعندما راجعت السلطات الأمنية اللبنانية السوريين، أفاد آمر قوات الردع السورية في المرفأ الملازم أول أحمد سكابا أنّه تسلّم الموقوفين والسيارة، وسلّم الضابط سكابا السلطات اللبنانية إفادة خطية أكّد فيها تسلّمه المخطوفين والسيارة ومحتوياتها... كما عاد الرائد السوري ابراهيم حويجي وقدّم إفادة بتسلمه السيارة، التي أعيد إدخالها الى لبنان عن طريق الحدود اللبنانية - السورية بموجب معاملة جمركية مؤرخة بتاريخ ١٩٧٧/٣/١٠، بإسم المدعو حسين جعفر كاظم جواد، وتحمل لوحة عراقية رقم ٧٢٧١٩/ بغداد، وهي التي استقلّها قتلة الشهيد كمال جنبلاط. وشوهدت السيارة نفسها قبل عملية الاغتيال في اكثر من مكان في بيروت، إذ يؤكد المعاون محمد الحسن، شقيق العميد اسماعيل الحسن، انه، وقبل حادثة اغتيال جنبلاط، وبينما كان يتولى حراسة مبنى مخفر حبيش شاهد السيارة نفسها تسير عكس السير ويستقلها مسلحون، ونزل منها مسلح أخذ يطلق النار إرهاباً وهو يقول: «نحن مخابرات «فتح» افتحوا الطريق...».


وليد جنبلاط وحشد أمام النعوش

ويضيف أبو زكي «حتى أن المرحوم أبو طالب (الذي كان يملك محلاً تجارياً في نزلة ابو طالب التي صارت تعرف بإسمه)، أكّد أنّه شاهد السيارة نفسها تتوقف أمام فندق «لورنزو موزارت»، حيث تبيّن بعد التحقيق والتفتيش في سجلات الفندق أنّ المسلّحين الأربعة كانوا من نزلائه، وسجّل إثنان منهم اسميهما: احدهما حسين جعفر كاظم جواد، والثاني ساهر محمود جبيلي، أما الاثنان الآخران فرفضا إعطاء اسميهما. وقد بقي حسين جواد في الفندق حتى صباح السادس عشر من آذار (يوم الاغتيال)، وعلمنا أنه بعد ساعة على مغادرتنا الفندق بعد التفتيش في سجلّ النزلاء، حضرت مجموعة أمنية سورية وطلبت السجل، وأخذ عناصرها صاحب الفندق الى جهة مجهولة وأهانوه».

هوية المسلحين

وعن توصل التحقيق الى معرفة هوية أحد المسلحين الأربعة الذين نفذوا عملية الاغتيال، يؤكد أبو زكي «أنّه الرائد السوري ابراهيم حويجي الذي كان مسؤولاً عن مكتب المخابرات السورية في مستديرة الصالومي، والذي تسلّم سيارة «البونتياك» واحتفظ بها، وهو من الذين شاركوا في معركة تل الزعتر. ولدينا إفادات تؤكّد أنه كان يقود «البونتياك» ويستخدمها في تنقّلاته الشخصية، وتوصّلنا فعلاً الى اكتشاف تطابق صفاته مع أحد المسلحين الاربعة. كما أن الشاهد سليم حداد، الذي نقل المسلحين الى الصالومي، أكّد أن شخصاً جلس بقربه وكانت لديه رتبة عسكرية عالية، اذ كان عناصر الحواجز السورية الذين ينتشرون على الطرقات يؤدون له التحية العسكرية، والدليل أنهم قصدوا الصالومي حيث كان مركز الرائد حويجي والذي رقّي بعد ذلك، وصار مدير الاستخبارات الجوية في سوريا، وكان وليد جنبلاط اكد انه التقى بـ«حويجي» في ليبيا خلال إحدى زياراته الماضية». ويعتقد أبو زكي «أن المسلحين كانوا يخطّطون لخطف كمال جنبلاط الى منطقة مسيحية وارتكاب جريمتهم هناك حتى يندلع اقتتال طائفي بين المسيحيين والدروز، وربما

كانوا ينوون قطع رأسه، وإحراق جثته، نظراً الى وجود سكاكين حادّة في سيارتهم وكمية من البنزين. وهذا يدعم الاعتقاد السائد، والذي لنا عليه الكثير من الأدلة بأن الأعمال الدموية التي حصلت في الجبل يومذاك كانت بتحريض وتنظيم من الجهة الجانية نفسها، اذ كانت القوات السورية تنتشر وقتها في منطقة الشوف كلها».

ويشير أبو زكي الى أن التحقيق القضائي في اغتيال جنبلاط كان في عهدة المحقق العدلي القاضي حسن قواس الذي أصرّ على متابعة التحقيق والسير به غير آبه بالمخاطر والتهديدات التي تعرّض لها من محاولة خطفه الى إطلاق قذيفة صاروخية على منزله أدّت الى إحتراقه، لمنعه من استكمال التحقيق، كما تعرّضت شخصياً لأكثر من محاولة خطف، والأرجح بقصد الاغتيال، لأنّنا كنّا إلى جانب القاضي قواص نساعده في التحقيق وجمع المعلومات». وقال: «أذكر انه جاءني شخص أعرفه يدعى عبدالله شيا ومعه ضابط سوري قدّمه لي بأنه الرائد زيد رضوان، وأنّه مكلف بالتحقيق في جريمة اغتيال كمال جنبلاط، وكان مع الرائد مرافقون مسلحون، فطلبت منه أن ينتظراه في الخارج، وكان برأي عبدالله شيّا ان هذا الرائد معروف ويريد التحقيق، وبدأ الرائد يعدد صفات الزعيم جنبلاط وأنّ الأمة العربية والقوى الوطنية خسرت الزعيم الكبير، وأنّه جاءني للإستعانة بي لتزويده بالمعلومات كي يتابع تحقيقه، فقلت له أنّ المعلومات لدى المحقق العدلي الرئيس حسن قواس، قال لي أنّ قواس كان يجري التحقيق في منـزله، فأجبته نعم، لأنّه لا يوجد مركز لقوى الامن كي يجري التحقيق فيه، فكان قوّاس يجري تحقيقاته واستجواباته في إحدى الغرف بينما أنا أكون متواجداً في مكان آخر، ثم بدأ يسأل عن السيارة فقلت له أنّها في العدلية، ثمّ سألني عن الشاب الذي قمت بحمايته، الى أن سألني من برأيك قتل كمال جنبلاط، فقلت له اسرائيل، فكّر قليلاً ثم ضحك وقال لا، ليست اسرائيل، بل النظام العراقي وصدام حسين، ثمّ قام بحملة كلامية هجومية على صدام حسين وكيف كان يضع الزئبق في الحنطة، ويهدي ساعات اليد الملغومة بالمتفجرات فأجبته، هذا صحيح والدليل أنّ السيارة كانت تحمل لوحة عراقية، فابتسم وقال، صحيح.



ابو زكي بعد ٣٠ عاماً على الاغتيال

ومرة أخرى جاءني ضابط سوري اسمه نزيه نمر، قُتل فيما بعد، وكان يحمل كيساً في يده وقال لي أنه أتى لي بقبّعة عسكرية (بيريه) وجدوها داخل السيارة «البونتياك» وقد كتب عليها اسم الجاني، لكنني كنت أعرف تماماً أنّه لم يكن يوجد أي قبعة داخل السيارة لانني كنت اول من بحث ونقب فيها قلت له: «دع هذه القبعة داخل الكيس وإمضِ في حال سبيلك». كانت هناك محاولة تضليل وإلصاق التهمة بشخص معين».

٢٩ عاماً على الإغتيال... وليد جنبلاط لكلام الناس

قال النائب وليد جنبلاط في حديث الى برنامج «كلام الناس» عبر «المؤسسة اللبنانية للإرسال»، الخميس ٣٠ آذار ٢٠٠٦: «...وبالمناسبة قررت اليوم وبعد سنة (على إغتيال الرئيس الحريري) فتح ملف كمال جنبلاط، وأوّل من بدأ في ذلك العميد عصام أبو زكي في مجلة «الشراع»، لذا صعب عليه بشّار أن ينفي موضوع الاغتيال السياسي من كلّ نظامه وسلالته وطبيعته. وقد تحدث أبو زكي مفصلاً، وفي هذا الملف الذي قام به القاضي حسن قواس وغيره من القضاة معلومات كافية، وستكون المعلومات بتصرف الشعب اللبناني، فالذي قام بموضوع الاغتيال المسؤول في المخابرات الجوية إسمه ابراهيم الحويجي، آنذاك كان رئيس المخابرات الجوية في سوريا محمد الخولي. وفي الملف أيضاً السيارة التي سرقت وأسماء الذين قاموا بالعملية سوريين ولا يوجد بينهم شركاء لبنانيين، ونحن يكفينا العنوان



ابراهيم الحويجي مخابرات جوية. ثم لماذا ننسى ما قام به النظام السوري تجاه محمد عمران الذي قتل في طرابلس وهو أحد أركان الطائفة العلوية السورية، صفّوه، ووضع رفاقه بالسجن، صلاح جديد، محمد رباح الطويل، نور الدين الأتاسي ٢٠ سنة. والأتاسي أخرجوه بعد ٢٠ سنة، ومات بالسرطان بعد أسبوعين، والباقون توفوا بطرق غامضة، ربما لأنهم زرعوا لهم شيئاً ما، وهل ننسى حماه وعشرات الآلاف من المعتقلين السوريين، وهل ننسى الترك وعارف دليلا الذي ما زال في السجن وغيرهما. هناك أسلوب لهذه الأنظمة الديكتاتورية. رحمة الله عليهما جبران تويني وسمير قصير لماذا اغتيلوا؟ لأنهما دانا سلوك هذا النظام من حافظ إلى بشار. أنا اتّخذت قراراً متأخراً وصحوة الضمير أتتني متأخرة. عندما تكون ملتصقاً بهذه الأنظمة تحت شعار القضية الوطنية والقومية وفلسطين يصبح هناك غسيل دماغ، وكان لديّ صحوات ضمير والكبرى منها كانت مع الأسف نتيجة الاغتيال في لبنان وحادثة مروان حمادة ونهاية بقضية جبران، وأتمنى أن يكون هو آخر اغتيال... لا عروبة من دون حريات وهذا كان مبدأ كمال جنبلاط وعندما رفض الدخول في السجن الكبير كان سجن حافظ الأسد، كان يعلم ماذا يقول وكان يملك الجرأة وقال له «لن أدخل في سجنك الكبير» لذلك أُعدِم»[1].

(١) حديث وليد جنبلاط لبرنامج كلام الناس الخميس ٣٠ آذار ٢٠٠٦

المراجع

DAYS OF WRATH LEBANON 77-82-

LE MEMORIAL DE LA GUERRE-JOSEPH G. CHAMY-

- وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٧٧ -المركز العربي للابحاث والتوثيق
- السلام المفقود - كريم بقرادوني -عهد الياس سركيس ١٩٧٦ - ١٩٨٢
- قوات الردع العربية في لبنان- الوضع القانوني والسياسي والعسكري -العميد الركن فؤاد عون
- الحرب في لبنان ١٩٧٥ - ١٩٧٦- ....
- موسوعة الحرب اللبنانية - مسعود الخوند.
- وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٧٨ -المركز العربي للابحاث والتوثيق
- كتاب كمال جنبلاط : الرجل والاسطورة - ايغور تيموفييف .
- وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٨٠ -المركز العربي للابحاث والتوثيق
- في عين الحدث. سامي الخطيب خمسة وأربعون عاماً لأجل لبنان.
- مذكرات فؤاد بطرس - اعداد انطوان سعد
- بلاد البترون من الشرارة الى الانتفاضة ١٩٧٥- ٢٠٠٥- نبيل يوسف
- بشري ولبنان ١٩٧٥- ١٩٨٢ في وجهيها السياسي والعسكري - انطوان الخوري طوق
- هذه شهادتي- بول عنداري - لبنان ١٩٧٥- ١٩٩٢
- القوى النظامية الكتائبية - مؤصّل الجذور ومفصّل الوقائع
- اعداد العمل الشهري الصادرة عن حزب الكتائب
- وثائق الحرب اللبنانية لعام ١٩٧٩ -المركز العربي للابحاث والتوثيق
- واخيراً أحرقوه - حوادث لبنان ١٩٧٧- ١٩٧٨ - انطوان الخويري
- شهداء منطقة بشري ودير الاحمر ١٩٧٥- ١٩٨٥ - غازي جعجع
- سلسلة الوثائق الاساسية للأزمة اللبنانية - الجزء الثاني - الادوار الاقليمية في لبنان
- شهادة حياة - الاب ميشال بركات -راس بعلبك ٢٠٠١
- سليمان فرنجية شهادات وذكريات- جورج فرشخ
- جردة حساب الحروب من أجل الآخرين على أرض لبنان - بطرس لبكي الصحف والمجلات
- المقاومة اللبنانية والاحتلال السوري، حرب المئة يوم، صيف ١٩٧٨.
- لبنان، تعايش في زمن الحرب.
- جريدة النهار
- جريدة العمل
- جريدة الانوار
- جريدة الانشاء
- جريدة اللواء
- جريدة البيرق
- مجلة المسيرة
- مجلة وطني (اصدرتها القوات اللبنانية اعوام ١٩٧٩ حتى ١٩٨١)
- مجلة صوت النمور (صادرة عن حزب الوطنيين الاحرار)
- وثائق وتقارير وصور رسمية عن مجزرة البقاع
- المقابلات والشهادات أخذت من عشرات المقاتلين والأشخاص الذين كانوا في صلب هذه الأحداث...

الفهرس



المؤلف

- كلوفيس بطرس الشويفاتي، مواليد ١٩٦٧، بلاّ - قضاء بشرّي.
- ماجستير في العلوم السياسية، الجامعة اللبنانية، ١٩٩٢.
- عمل في الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع منذ ١٩٩٠.
- مؤلفاته:
  - طريق الألغام من الطائف الى اليرزة، ٢٠٠٥.
  - عراق صدّام حروب وآلام، ٢٠٠٧.